إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والأربعين من القرآن الكريم

(سورة الأحزاب الآيات: 31-73، وسورة سبأ الآيات: 1-23)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise refèrenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:	اسم الطالب/ة: محمد حافظ طاعة
Signature:	التوقيع:
Date:	التاريخ: 30 / 3 / 2016

الجامعة الإسلامية – غـزة
عمـادة الدراســات العليــا
كلـــــية أصــول الديـــن
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والأربعين من القرآن الكريم

(سورة الأحزاب الآيات: ٣١-٧٣، وسورة سبأ الآيات: ١-٢٣)

Analytical study of the purposes and objectives of the forty third party from the Holy Quran

(Al-Ahzab sura verses: 31-73, and Saba'a sura verses: 1-23)

إعـــداد الــطــالــب:
محمد حافظ حسين طاعة

إشـــراف الــدكــتــور:
زهدي محمد أبو نعمة

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التَّفسير وعلوم القرآن

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

ج س غ/35/
الرقم Ref .....
2016/03/01م
التاريخ Date .....

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد حافظ حسين طاعة** لنيل درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والأربعين من القرآن الكريم

(سورة الأحزاب الآيات: 31-73، وسورة سبأ الآيات: 1-23)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 21 جمادى الأولى 1437هـ، الموافق 2016/03/01م الساعة الحادية عشرة صباحاً بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. زهدي محمد أبو نعمة	مشرفاً و رئيساً	.....
أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي	مناقشاً داخلياً	.....
د. رمضان يوسف الصيفي	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

P.O. Box108, Rimal, Gaza, Palestine fax:+970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

الإهـــداء

إلى أبي العزيز الذي أزال الأشواك من دربي ليمهد لي طريق العلم والأمل

إلى أمي الغالية التي كان دعاؤها سرّ نجاحي، بارك الله لها في عمرها وصحتها

إلى إخوتي وأسرتي الذين كانوا سنداً وعوناً لي على إكمال دراستي

إلى المجاهدين الذين يحملون أرواحهم على أكفّهم رخيصة في سبيل الله ﷻ

إلى المهتمين بالعلوم الشرعية والباحثين فيها

أهدي هذا الجهد المتواضع

شـكر وتقديــر

الحمد والشكر لله أولاً وآخراً أن وفَّقني ويسَّر لي إتمام هذه الرسالة على هذا النحو، فهو صاحب الفضل والمنَّة، واعترافاً لأهل الفضل لفضلهم، وانطلاقاً من قول الله ﷻ: **﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾** [النمل: ٤٠] وامتثالاً لقول النبي ﷺ: **(مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ)**[1]، فإنَّه يسرُّني ويشرِّفني أن أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني وتقديري إلى مشرفي فضيلة الدكتور: **زهدي محمد أبو نعمة** الذي تفضَّل عليَّ بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وبذل الكثير من وقته لنصحي وإرشادي، فكان نعم الأستاذ الموجه، والأخ الناصح، وأسأل الله ﷻ أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى عُضْوَي لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور: زكريا إبراهيم الزميلي

والدكتور: رمضان يوسف الصيفي

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما بذلاه من جهد في تنقيح هذه الرسالة كي تخرج في أبهى حُلّة وأحسن صورة، فهم أهلٌ لتقويمها، وإظهار مواطن الخلل فيها.

والشكر موصول للجامعة الإسلامية منارة العلم والعلماء، وأخص بالّذكر أساتذتي في كلية أصول الدين، كما أشكر الدراسات العليا التي أتاحت لي الفرصة لإكمال دراستي العليا.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لكل من قدم عوناً ومساعدة سواء بتوفير كتاب أو بإسداء نصيحة أو بدعاء في ظهر الغيب أو بمراجعة فصل من الفصول.

راجياً المولى ﷻ أن يبارك فيهم جميعاً وأن يجعلهم ذخراً للإسلام والمسلمين.

---

[1] سنن الترمذي (٤/ ٣٣٩)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم (١٩٥٤)، قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله... أما بعد:

فقد أنزل الله ﷻ القرآن هدىً ورحمةً للعباد، وتبياناً لكل شيء، وتفصيلاً لكل ما يحتاجه النَّاس في دينهم ودنياهم وأخراهم، فهو يدور على تقرير الأصول النافعة، والأحكام الحسنة، والعقائد الصحيحة، ويُوَجِّه العباد إلى كلِّ خير، ويُحَذِّرهم من كلِّ شر.

وما من شكٍ بأنَّ علم التفسير من أجلِّ العلوم على الإطلاق، وأفضلها وأوجبها وأحبِّها إلى الله ﷻ، وأرفعها قدراً في ديننا الإسلامي، حيث إنّ شرف العلم بشرف المعلوم، فهو يتعلق بكلام الله ﷻ، ولا أهمَّ وأشرف من كلام الله ﷻ، فهو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، كما أنَّ هذا العلم من أهم العلوم التي ينبغي لطالب العلم العناية به، فإنَّ الله ﷻ أمر بتدبر كتابه، والتفكر في معانيه، والاهتداء بآياته، وأثنى على القائمين بذلك، وجعلهم في أعلى المراتب، ووعدهم أسمى المناقب، فهم أهل الله وخاصته، وقد بيّن لهم أوضح السبيل، وأصحّ الدليل، وهو القول الذي فصلت آياته، وفاضت على العارفين عند التأمل أسراره، فقال ﷻ:﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد:٢٤].

ولنا في السلف الصالح قدوة حسنة في تدبرهم للقرآن بقلوبٍ واعية، وبصائرَ متفتحة، حيث تمكَّنوا من فهم معانيه، واستنباط أحكامه، ولقد رأينا ثمار ذلك في حياتهم سلوكاً وواقعاً، وإنَّ ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من ضعفٍ وهوانٍ، وتفرقٍ وهزائم، ليدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ القرآن لم يعد مُسَيِّراً لأمور حياتها، ولا ضابطاً لسلوكات أفرادها ومجتمعاتها، وهذا يقتضي مِنّا التفكير بالخلاص من ذلك بالدراسة المتعمقة لمقاصد وأهداف وغايات القرآن، فلا عزة وقوة للأمة إلا بالعودة إلى كتاب ربها، ولأهمية هذا الموضوع، وهاتين السورتين (الأحزاب–سبأ)، رأيت أن أتناول دراسة الأهداف والمقاصد القرآنية، وشرعت في ذلك، من خلال هذا البحث وهو بعنوان: **(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والأربعين من القرآن الكريم لسورتي الأحزاب الآيات:٣١–٧٣، وسبأ الآيات: ١–٢٣)**

الحمد لله ﷻ الذي وفقني ويسّر لي القيام بهذه الدراسة، فقد أمدّني بعونه ولطفه، وشرح صدري لفهم كتابه، وأسأله ﷻ أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم.

أولاً: أهمية البحث

١- تعلق موضوع الدراسة بأشرف الكتب وهو القرآن الكريم، فالاشتغال فيه من أجلّ الأعمال وأرفع الخصال.

٢- اشتمال سورة الأحزاب على الكثير من الأحكام الخاصة بالنبي ﷺ وزوجاته، وما ينبغي على المسلمين فعله تجاه هذه الآداب، ما يؤدي إلى تماسك الأسرة المسلمة وقوة المجتمع.

٣- ورود قصص لم يتم ذكرها في القرآن الكريم إلا في هاتين السورتين كقصة قوم سبأ.

ثانياً: أسباب اختيار البحث

١- تعميق النظر في كتاب الله ﷻ، والتفكر والتدبر لآياته، والغوص في ثنايا النصوص لاستخراج المكنون فيها.

٢- الوضع المتردي الذي حلّ بالمسلمين في زماننا، وهذا يتطلب مِنّا دراسة متعمقة للنصوص، وتدبراً للقرآن برؤية معاصرة.

٣- بيان المقاصد والأهداف للآيات التي من شأنها أن تحفظ على الإنسان عقيدته، وتبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والتحاكم إليه.

٤- الاهتمام المتزايد والإقبال على المقاصد والأهداف القرآنية باعتبارها حاجة العصر والمستقبل.

٥- بيان أنّ القرآن هو السبيل للنهوض بهذه الأمة من غفلتها، وإيجاد الحلول للقضايا المستجدة.

ثالثاً: أهداف البحث

١- ابتغاء الأجر والثواب من الله ﷻ، حيث جاء هذا البحث للإسهام في بيان مقاصد وأهداف سور القرآن الكريم وآياته.

٢- بيان الموضوعات الأساسية للحزب الثالث والأربعين من سورتي (الأحزاب-سبأ) وإظهار مقاصدها العامة وأهدافها التي تهدف لترسيخها في المجتمع الإسلامي.

٣- فتح آفاق جديدة أمام الباحثين، وذلك من خلال الموضوعات التي تم طرحها في هذه الرسالة، والنتائج التي سيتوصل إليها الباحث.

٤- التشجيع لمثل هذا النوع من التفاسير.

٥- إثراء المكتبة الإسلامية.

رابعاً: الدراسات السابقة

جاء هذا البحث استكمالاً لسلسة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة لسور القران الكريم وآياته، وكان نصيبي من هذه السلسلة هذا البحث وهو بعنوان: **(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والأربعين من القران الكريم لسورتي الأحزاب الآيات:٣١-٧٣، وسبأ الآيات: ١-٢٣)**.

خامساً: منهج البحث

اتبع الباحث المنهج التّحليلي والموضوعي في التفسير وسيكون عملي في البحث على النحو التالي:

١- تقسيم آيات الحزب الثالث والأربعين إلى فصول يتفرع عنها عدّة مباحث، جاعلاً لكل مبحث آياته المناسبة ، حسب موضوع آيات البحث نفسه.

٢- كتابة الآيات مضبوطة بالحركات والرّسم العثماني ، مع عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقمها في المتن.

٣- تحليل المقاصد والأهداف للنصوص القرآنية تحليلاً عميقاً، واستنباط ما فيها من منهجيات إصلاحية في العقيدة والأخلاق والتربية وغيرها، وذلك باستخدام الأدوات التي تخدم هذا المنهج من: علوم القرآن، والسنّة، واللُّغة وغيرها.

٤- الرجوع إلى المراجع الأصلية والمعتمدة من كتب التفسير وغيرها.

٥- الاستدلال بالأحاديث النبوية التي تخدم الموضوع، وتخريجها تخريجاً علمياً مع بيان حكم العلماء عليها ما أمكن، ما لم تكن في الصّحيحين.

٦- بيان معاني المفردات الغريبة من كتب غريب القرآن والمعاجم اللغوية.

٧-عمل تراجم للأعلام المغمورين الذين سيردون في البحث من مظانّها.

٨- التعريف بالأماكن غير المشهورة.

٩- عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها وتوثيقها حسب الأصول، ومراعاة الأمانة العلمية في النَّقل والتوثيق والتعليق.

١٠- توثيق المراجع بذكر اسم الكتاب ومؤلفه، ورقم المجلد والصفحة، وترك الباحث مواصفات المرجع لقائمة المراجع في نهاية البحث.

١١- عمل فهارس للآيات، والأحاديث، والأعلام المُتَرجَم لهم في البحث، والبلدان، والمصادر والمراجع، والمحتويات.

١٢- ترتيب المصادر والمراجع حسب الأحرف الهجائية لاسم الكتاب.

سادساً: خطة البحث

يتكون هذا البحث من مُقدِّمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس كما يلي:

المُقدِّمة وتشتمل على:

أولاً: أهمية البحث.

ثانياً: أسباب اختيار البحث.

ثالثاً: أهداف البحث.

رابعاً: الدراسات السابقة.

خامساً: منهج البحث.

سادساً: خطة البحث.

الفصل التمهيدي ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الدِّراسة التحليلية ومُتطلَّباتها، ويشتمل على:

أولاً: الدِّراسة التحليلية لغة واصطلاحاً.

ثانياً: مُتطلَّبات الدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: تعريف بالأهداف والمقاصد وأهميتها، ويشتمل على:

أولاً: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.

ثانياً: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

ثالثاً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

رابعاً: طرق معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

خامساً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة الأحزاب

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه تسميتها، وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة، وجوُّ نزولها.

المطلب الثالث: فضائل السورة، وترتيبها.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الخامس: المحور الأساس للسورة.

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣١-٤٨)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣١-٣٤)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بيان ثواب زوجات النبي ﷺ.

المطلب الثاني: مكانة زوجات النبي ﷺ بين نساء المسلمين.

المطلب الثالث: نهي زوجات النبي ﷺ عن الخضوع في القول.

المطلب الرابع: أوامر ونواهي لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

المطلب الخامس: فضل أهل بيت النبي ﷺ.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣٥-٤٠)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المساواة بين الرجال والنساء في التكليف والثواب.

المطلب الثاني: وجوب السمع والطاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ وعاقبة مخالفتهما.

المطلب الثالث: زينب بنت جحش رضي الله عنها وزواج النبي ﷺ بها.

المطلب الرابع: الرسول ﷺ خاتم النبيين.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤١-٤٨)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضائل ذكر الله ﷻ.

المطلب الثاني: صفات النبي ﷺ.

المطلب الثالث: التوكل على الله ﷻ يدفع أذى الكافرين.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤٩-٦٢)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤٩-٥٢)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: لا عدَّة للمرأة المطلقة قبل الدخول بها.

المطلب الثاني: أحكام الحياة الزوجية الخاصة بالنبي ﷺ.

المطلب الثالث: نهي النبي ﷺ عن الزواج بغير نسائه أو استبدالهنَّ بغيرهنَّ.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٥٣-٥٥)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أحكام دخول المسلمين بيوت النبي ﷺ.

المطلب الثاني: حرمة إيذاء النبي ﷺ بنكاح زوجاته بعد وفاته.

المطلب الثالث: اطّلاع الله ﷻ على قلوب عباده.

المطلب الرابع: المحارم الذين أبيح للنساء أن يظهرن أمامهم.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٥٦-٦٢)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله ﷻ وملائكته على النبي ﷺ.

المطلب الثاني: عاقبة إيذاء النبي ﷺ والمؤمنين.

المطلب الثالث: الأمر باحتجاب النساء.

المطلب الرابع: تهديد المنافقين من التعرُّض للنبي ﷺ وزوجاته والمؤمنين.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٦٣-٧٣)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٦٣-٦٩)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: علم الساعة مرجعه إلى الله ﷻ.

المطلب الثاني: وعيد الله ﷻ للكافرين باللعنة والعذاب الأليم.

المطلب الثالث: تقلب وجوه الكافرين في نار جهنم.

المطلب الرابع: تحذير المؤمنين من إيذاء النبي ﷺ.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٧٠-٧٣)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أمر المؤمنين بتقوى الله ﷻ وفضائل ذلك.

المطلب الثاني: حمل الإنسان للأمانة.

المطلب الثالث: أثر حمل الإنسان لأمانة التكليف.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١-٢٣)

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة سبأ

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه تسميتها، وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة، وجوُّ نزولها.

المطلب الثالث: فضائل السورة، وترتيبها.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الخامس: المحور الأساس للسورة.

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١-٩)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: افتتاح السورة بالحمد وشمول علم الله ﷻ.

المطلب الثاني: إثبات الله ﷻ لقضية البعث.

المطلب الثالث: العلم يهدي إلى الإيمان.

المطلب الرابع: استهزاء الكافرين بالنبي ﷺ.

المطلب الخامس: تهديد المنكرين للبعث بالخسف.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١٠-١٤)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نعم الله ﷻ على سيدنا داود عليه السلام.

المطلب الثاني: نعم الله ﷻ على سيدنا سليمان عليه السلام.

المطلب الثالث: نفي علم الغيب عن الجنّ.

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١٥-٢٣)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نعم الله ﷻ على أهل سبأ في مساكنهم، ومعاقبتهم لكفرهم بها.

المطلب الثاني: نعم الله ﷻ على أهل سبأ في أسفارهم، وما حلَّ بهم لجحودهم.

المطلب الثالث: اتباع قوم سبأ لوساوس الشيطان سبب هلاكهم.

المطلب الرابع: الشفاعة يوم القيامة مرهونة بإذن الله ﷻ.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس وتشتمل على الآتي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس البلدان.

٥- فهرس المصادر والمراجع.

٦- فهرس المحتويات.

الفصل التمهيدي

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة الأحزاب

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها

المطلب الثاني: تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتهما

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها

أولاً: الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً

وهذا المصطلح مركب، وقد قمت بتعريفه بصورته المفردة ثم بصورته المركبة على النحو التالي:

١- الدراسة التحليلية لغةً:

أ- الدراسة

"(درس) الدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء، فالدرس: الطريق الخفي...ومن الباب درست القرآن وغيره، وذلك أن الدارس يتتبع ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتبعه"[١]، ودرست الكتاب أي: ذلّلته بكثرة القراءة حتى خفّ حفظه، ودارست الكتب وتدارستها أي: درستها.[٢]

وبناءً على ما سبق فإنه يتضح من هذا المعنى اللغوي لكلمة (درس) أنّ الباحث يسير مع النص أياً كان هذا النص، ويتتبع ما فيه كلمة كلمة حتى يصل إلى المراد ويزيل الخفاء واللّبس عن هذا النص.

ب- التحليلية

"(حل) الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلها عندي فتح الشيء، لا يشذّ عنه شيء، يقال حللت العقدة أحلها حلاً، ويقول العرب: " يا عاقد اذكر حلاً"[٣]، وحلّ العقدة يحلها حلاً: بمعنى فتحها ونقضها فانحلت.[٤]

---

[١] مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢٦٧).

[٢] انظر: تهذيب اللغة: للأزهري (٢٥٠/١٢).

[٣] مختار الصحاح: للرازي (ص: ٧٩)، مقاييس اللغة: لابن فارس (٢/ ٢٠).

[٤] انظر: العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (٢٧/٣)، لسان العرب: لابن منظور (١١/ ١٦٩).

ويتبيّن من المعنى اللغوي لكلمة (حلّ) أنّ التحليل يكون هنا بمعنى التجزئة والتتّبع أيضاً، وإرجاع الشيء إلى أصله ومكوناته الأساسية التي يتكون منها، وبيان ارتباطها مع الجمل الأخرى، فكما أن نقض العقدة وحلها يكون بالرجوع بها إلى أصلها وتفكيكها خطوةً خطوة، أيضاً فإنّ الباحث يتتبع النص ويسير معه خطوة خطوة، فيقوم بتحليل الجملة وبيان عناصرها ومكوناتها، وتحديد المعنى من سياق الكلام.

٢- الدراسة التحليلية اصطلاحاً:

بعد البحث والتنقيب لم أعثر على تعريف خاص بالدراسة التحليلية، وقد تناولت الدراسة التحليلية بغرض الوصول للمقاصد والأهداف القرآنية، وليس الهدف هو تحليل الآيات، فقد تناولها المفسرون وأسهبوا في ذلك كثيراً، فقد عرّف العلماء التفسير التحليلي بأنّه: "بيان الآيات القرآنية بياناً مستفيضاً من جميع نواحيها، بحيث يسير المفسر في هذا البيان مع آيات السورة آيةً آية، شارحاً مفرداتها، وموجهاً إعرابها، وموضحاً معاني جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ومبيناً أوجه المناسبات بين الآيات والسور، مستعيناً في ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، وبأسباب النزول..."[١]، فالتفسير التحليلي نسبة إلى التحليل، وهذه الطريقة في التفسير لا يستغني عنها الباحث في دراسته للمقاصد والأهداف القرآنية، والتي تقوم على التفسير والنقد والاستنباط، بغرض الوصول إلى تلك المقاصد والأهداف القرآنية.

ويرى الباحث أنّ الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات والنصوص القرآنية يمكن تعريفها بأنّها: سير الباحث مع النص القرآني وتفكيك أجزائه إلى أصولها، مستعيناً بذلك بالعلوم ذات الصِّلة والتي تعين على فهم النصوص، وباستخدام عقله وبما أوتي من فطنةٍ وذكاء؛ من أجل الوصول إلى استنباط دلالات النصوص، وبيان معانيها، واكتشاف أسرارها ومضامينها.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية

هناك عدة مرتكزات تقوم عليها الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن، ومن أراد أن يخوض هذا الميدان لابد من أن تتوافر فيه عدة شروط، من أهمها:

١- صحّة المعتقد والتجرد عن الهوى: بأن يكون صاحب عقيدةٍ صحيحة، يستمد أصولها من القرآن والسنة، فإن كانت عقيدته باطلة فإن ذلك يؤدي إلى تحريف النصوص، وحملها على غير

---

[١] الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (١/ ٢٧٨).

المراد منها، لتوافق مذهبه وأهوائه الباطلة، لذا كان لابدّ لمن يقوم بهذه الدراسة أن يملك معتقداً صحيحاً، فالّذي لا يملك اعتقاداً سليماً، لا يمكن له فهم القرآن فهماً صحيحاً.

٢- الإخلاص وصحّة القصد ومخافة الله ﷻ، ليسدّد الله طريقه وخطاه، فإنّ إدراك الحقائق القرآنية إنما يحتاج إلى قلوبٍ طاهرةٍ، ونيةٍ صادقةٍ، يقول الزركشي[١]: " واعلم أنّه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبرٌ، أو هوىً، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان أو ضعيف التحقيق، أو معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلّا علم بظاهر، أو يكون راجعاً إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع وبعضها آكد من بعض إذا كان العبد مصغيا إلى كلام ربه ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه ناظراً إلى قدرته تاركاً للمعهود من علمه ومعقوله متبرئاً من حوله وقوته معظماً للمتكلم مفتقراً إلى التفهم بحالٍ مستقيم وقلبٍ سليم وقوة علم وتمكن سمع لفهم الخطاب..."[٢].

٣- الفطنة والذكاء، ودقة الفهم، وعمق الاستنباط، والموازنة بين الآراء، بحيث يستطيع أن يفكر ويستنتج، ويأتي بمعانٍ جديدة، وآراءٍ سديدة، "وإنما يَفْهم بعض معانيه ويَطّلع على أسراره ومبانيه من قوي نظره، واتّسع مجاله في الفكر وتدبره، وامتدّ باعه ووقت طباعه، وامتدّ في فنون الأدب، واحتَطَّ[٣] بلغة العرب"[٤].

٤- أن يكون عالماً باللغة العربية وعلومها، كعلم اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والبلاغة وغيرها، حيث إنّ فهم المراد من الآيات يتوقف على معرفة ألفاظ اللغة العربية ودلالاتها، فالقرآن نزل باللغة العربية، حتى لا يقول من يتناول هذا العلم في كلام الله ﷻ بغير علم.[٥]

---

[١] بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تركي الأصل، وقد اعتنى بالفقه والأصول والحديث، وقد أخذ عن الشيخ الأسنوي والبُلْقِينيّ وابن كثير، من مؤلفاته: البرهان في علوم القرآن، البحر المحيط، التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، توفي سنة ٧٩٤هـ بالقاهرة. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلاني (٥/ ١٣٣)، الأعلام: للزركلي (٦/ ٦٠).

[٢] البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٨٠).

[٣] احتاطَ واحْتَطْ، فهو مُحتاط، واحتاط فلانٌ: أخذ في أموره بأوثق الوجوه، واحتاط للشَّيء: حاذر واحترز تفاديًا لما يُتوقَّع، وتحوَّط في الأمر: احتاط وحذِر، وحوَّط الشَّيءَ: حاطَه؛ حفظه وتعهّده بجلب ما ينفعه ودفع ما يضرّه. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (١/ ٥٨٣).

[٤] البرهان في علوم القرآن: للزركشي (١/ ٥).

[٥] انظر: نفحات من علوم القرآن: لمحمد معبد (ص: ١٢٦).

٥- العلم بالعلوم التي لها صلة بهذه الدراسة كأصول العقيدة والفقه والحديث والسيرة والتاريخ وغيرها، بالإضافة إلى علوم القرآن، كعلم أسباب النزول، وعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، والمكِّي والمدني، والعام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمُحْكَم والمتشابه...إلخ.

٦- أن يكون الاعتماد على التفسير بالمأثور أولاً، فيُفَسّر القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين، ثم اللجوء إلى التفسير بالرأي والذي يعتمد على الاجتهاد في فهم آيات القرآن واستنباط الأحكام مع الالتزام بضوابطه، بحيث لا يخالف التفسير بالمأثور أو دلالات اللغة.

٧- ربط الآيات بالواقع المعاصر، ومحاولة معالجة المشكلات التي نواجهها في واقعنا الحالي، وبيان موقف الإسلام من قضايا العصر وأزماته.

المطلب الثاني: تعريف بالأهداف والمقاصد وأهميتها

أولاً: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً

١- الهدف لغة

"الهدف كل شيء عظيم مرتفع"[١]، كما أنها تأتي بمعنى: "كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل والغرض والرجل العظيم"[٢]، ومنه " والرجل هدفا: كسل وضعف وإلى الشيء: قصده وأسرع وإلى الأمر: رمى كأنه جعله هدفا له، (أهدف): قرب ودنا، ويقال: أهدف منه وفلان على التل: أشرف، وإليه: لجأ، وله: نهض واستقبل، وفلان للخمسين: قاربها"[٣].

من خلال ما سبق يتبين أنّ الهدف يقصد به الغرض أو الغاية أو الشيء العظيم أو القصد الذي نرمي إلى الوصول إليه.

٢- الهدف اصطلاحاً: للأهداف عدة تعريفات، وقد ذكر الباحث تعريفها من ناحيتين:

أ. الأهداف من منظورٍ تربوي:

---

[١] لسان العرب: لابن منظور (٩/ ٣٤٦).

[٢] القاموس المحيط: للفيروزآبادى (ص: ٨٦١).

[٣] المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون (٢/ ٩٧٧).

تنقسم الأهداف التربوية إلى قسمين رئيسين:[١]

- (الأهداف الأغراض): أي التي تشتمل على الأغراض والمقاصد النهائية التي يراد من التربية إنجازها، وتحقيقها على المستويات الفردية والاجتماعية والعالمية.
- (الأهداف الوسائل): أي التي تشتمل على الوسائل والأدوات الفعالة لتحقيق (الأهداف الأغراض).

ويمكن تعريف الأهداف التربوية بأنها: "هي تلك التغيرات التي يراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد وفي ممارسات واتجاهات المجتمع المحلي أو المجتمعات الإنسانية"[٢].

ب. الأهداف من منظور شرعي:

"والمراد بأهداف الشريعة: مقاصدها التي شرعت الأحكام لتحقيقها، ومقاصد الشارع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وأخراهم، سواء أكان تحصيلها عن طريق جلب المنافع، أو دفع المضار"[٣].

ويرى الباحث أن الأهداف في الشريعة الإسلامية يقصد بها: الأشياء التي تحقق العبودية لله تعالى بما يضمن التنشئة السليمة للفرد المسلم في شتى مجالات الحياة، وبما يضمن حفظ الضروريات الخمس، وأن تكون هذه الأهداف الشرعية كاملة وافية بحاجات البشر في كل زمان ومكان.

ثانياً: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً

١- المقاصد لغة: جمع مقصد، ولفظ (قصد) القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأَمُّه، والآخر على اكتناز في الشيء، فالأصل: قصدته قصداً ومقصداً، ومن الباب: أقصده السهم، إذا أصابه فقتل مكانه، والأصل الآخر: قصدت الشيء كسرته، والقصدة: القطعة من الشيء إذا تكسر.[٤]

---

[١] أهداف التربية الإسلامية: لماجد عرسان الكيلاني (ص١٥).

[٢] المرجع السابق (ص ١٨).

[٣] المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د. يوسف حامد العالم (ص ٧٩).

[٤] انظر: مقاييس اللغة: لابن فارس (٥/ ٩٥).

وقد استُعمل لفظ القصد للدلالة على عدة معاني غير التي بيّناها، منها:

أ- استقامة الطريق: قال تعالى: **﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾** [النحل: ٩] أي على الله ﷻ تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة **﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾** [النحل: ٩] أي ومنها طريق غير قاصد، ومنه قوله تعالى: **﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾** [التوبة: ٤٢] قال ابن عرفة سفراً قاصداً أي: غير شاق، وطريق قاصد بمعنى سهل مستقيم.[١]

ب- الهدف والنية: فيقال: أساء إليه من غير قصد: بمعنى لم يكن هدفه الإساءة إليه، ويقول الشخص قصدي كذا: أي نيتي كذا، وقصدت كذا: أي بنيّة واضحة وصريحة.[٢]

ت- التوسط بين أمرين: ومنه قوله تعالى: **﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾** [لقمان: ١٩]، وقول النبي ﷺ: **(وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا)**[٣] أي: عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل وهو الوسط بين الطرفين"[٤].

٢- المقاصد اصطلاحاً:

تطرّق العلماء قديماً وحديثاً إلى المقاصد في القرآن الكريم، وهناك عدة مصطلحات للمقاصد ذكرها العلماء القدامى والمعاصرون في كتبهم، وسنعرّف نوعين من المقاصد:

أ- علم مقاصد الشريعة القرآنية:

١- عرّفه الغزالي[٥] فقال: "أما المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة"[٦].

---

[١] انظر: لسان العرب: لابن منظور (٣/ ٣٥٣).

[٢] انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٣/ ١٨٢٠).

[٣] صحيح البخاري (٨/ ٩٨)، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم (٦٤٦٣).

[٤] انظر: تاج العروس: للزبيدي (٣٨/٩).

[٥] الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، زين الدين أبو حامد محمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، برع في الفقه والكلام والجدل، له تصانيف كثيرة، منها: إحياء علوم الدين، المستصفى، توفي سنة ٥٠٥هـ، وله خمس وخمسون سنة، انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي (٢٦٧/١٤)، وفيات الأعيان: لابن خلكان (٤/ ٢١٦).

[٦] المستصفى (ص ١٧٤).

٢- عرّفه ابن عاشور[١] فقال:" المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[٢].

٣- عرّفه علّال الفاسي[٣] فقال: "الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[٤].

ب- علم مقاصد السور والآيات القرآنية:

وهذا القسم هو محور ما تدور عليه الموضوعات في هذا البحث، وقد عرّفه الدكتور محمد الربيعة فقال: "علم يُعرف به مغزى السورة الجامع لمعانيها ومضمونها"[٥].

ويرى الباحث أنه يمكن تعريف مقاصد السور والأهداف القرآنية بأنها: المعاني والغايات التي تضمنها القرآن والتي تدور عليها السورة القرآنية ويسعى الباحث إلى إبرازها لتواكب المستجدات والواقع المعاصر.

ثالثاً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

١- بمعرفة مقصد السورة يظهر لنا انتظام الكلام وائتلافه، بحيث تكون السورة كالبناء المتكامل، يقول البقاعي[٦] مؤكداً هذه الحقيقة: "ومن حقّق المقصود من السورة عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها.."[٧].

---

[١] محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه، مالكي المذهب، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية، التحرير والتنوير في تفسير القرآن، توفي سنة (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) انظر: الأعلام للزركلي (١٧٤/٦).

[٢] مقاصد الشريعة الإسلامية (ص ٢٥١).

[٣] علال بن عبد الواحد الفاسي، من كبار العلماء في المغرب، تعلم بالقرويين، وقاوم الاستعمار الفرنسي، من مؤلفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، توفي سنة ١٣٩٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢٤٦/٤).

[٤] مقاصد الشريعة ومكارمها (ص ٧).

[٥] علم مقاصد السور (ص٧).

[٦] برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، وقد تعلّم الفقه والنحو والقراءات وبرع في جميع العلوم وفاق أقرانه، وقد كان من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف، المفرطين في الذكاء وجمع علميّ بين المعقول والمنقول، وهو كثير النّظْم جيد النثر، من أشهر مؤلفاته: نظم الدرر، ومصاعد النظر. توفي سنة ٨٨٥هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكاني (١/ ١٩).

[٧] مصاعد النظر: للبقاعي (١/ ١٤٩).

٢- يعين على فهم كتاب الله ﷻ وتدبر أحكامه ودقائق معانيه، يقول الشاطبي[١]: " قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢] التدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد"[٢]، ويقول أيضاً: "أنّ المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان؛ فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإنّ القضية وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض"[٣].

٣- يؤدي التّبحُّر في هذا العلم والغوص في معانيه إلى رسوخ الإيمان في القلب، واطمئنان المؤمن وثقته بكتاب الله ﷻ، وأنّه كلام ربّ العالمين، ما يدفعه إلى الإقبال عليه والتحاكم إليه.

٤- يعمل هذا العلم على ربط الآيات بالواقع المعاصر، من خلال الجو الذي نزلت فيها السور، والموضوعات التي تناولتها، وهذا ما يدفعنا إلى إيجاد علاج للمشكلات التي نعيشها.

٥- يبرز هذا العلم إعجاز القرآن في نظمه، فالقرآن حين تتناوله من أوله إلى آخره تجده على نسقٍ واحد، وهذا ينطبق أيضاً على سوره، فتناول هذا العلم يرسخ هذا المعنى ويبرزه ويوضحه، قال سعيد حوى[٤] في تفسيره: " قد استطعت بحمد الله ﷻ أن أبرهن على أنّ كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة وكماله في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سوره وآياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلاً، ولا تخطر على قلب بشر"[٥].

---

[١] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ، من أهل غرناطة، وهو من أئمة المالكية، من مؤلفاته: الموافقات في أصول الفقه، المجالس، الاعتصام، أصول النحو، توفي سنة ٧٩٠هـ - ١٣٨٨م. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٧٥).

[٢] الموافقات (٤/٢٠٩).

[٣] المرجع السابق (٤/ ٢٦٦).

[٤] سعيد بن محمد ديب حوّى، حمل لواء دعوة جماعة الإخوان المسلمين، وقد تميز بغزارة الإنتاج وكثرة النشاط. له مؤلفات عديدة، من أهمها: الأساس في التفسير، الأساس في السنة وفقهها، الرسول، توفي سنة (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م). انظر: (http://ar.wikipedia.org/wiki/).

[٥] الأساس في التفسير (١/٢٧).

٦- يعصم الإنسان من الوقوع في التأويلات والتفسيرات الخطأ؛ لأن اعتماده هنا يكون على تفسير القرآن بالقرآن، فيقوم الباحث باستقراء الآيات مع التدبر العميق والتفكر الطويل للاهتداء إلى مراد الله من كلامه، يقول الدكتور محمد الربيعة: "إن معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها سبيل للسلامة من الخطأ وتفسير كلام الله ﷻ على غير مراده"[١].

رابعاً: طرق معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

١- الإخلاص لله ﷻ في هذا العمل والاستعانة به والتوكل عليه واللجوء إليه، فلن يستطيع الباحث وغيره الوصول إلى ذلك إلا بعد عون الله ﷻ وتوفيقه، وقد قال تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال النبي ﷺ: **(احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)**[٢].

٢- الفهم الصحيح للمقصد: إذ إنّ "أول ما ينبغي معرفته للوصول لمقاصد السور هو الفهم الصحيح للمقصد، فإنَّ ذلك يهدي للطريق الصحيح إليه".[٣]

٣- قبل البحث عن غرض السورة ومقصدها لابدّ من التعرف إلى الأحوال والظروف التي نزلت فيها السورة وهل هي مكية أو مدنية، ومعرفة خصائصها وفضائلها، فإنّ هذا يعتبر مفتاح أساس للوصول لغرض السورة ومقصدها.[٤]

٣- اللجوء إلى التفاسير والكتب التي تناولت في طياتها مقاصد السور القرآنية، بالإضافة إلى أن ينصّ أحد العلماء المعروفين بالتحقيق في العلم أنّ موضوع هذه السورة كذا، أو المقصد الذي تناولته هذه السورة كذا، من ذلك ما قاله ابن القيم في حديثه عن سورة الكافرون، حيث قال: "وهي اشتمال هذه السورة على النفي المحض فهذا هو خاصة هذه السورة العظيمة فإنّها سورة براءة من الشرك، كما جاء في وصفها أنّها براءة من الشرك، فمقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين؛ ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقاً للبراءة المطلوبة، هذا مع أنّها متضمنة للإثبات صريحاً"[٥]، وفي حديثه عن سورة الناس يقول: "ويندفع

---

[١] علم مقاصد السور: د. محمد الربيعة (ص ١٢).

[٢] صحيح مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، (٢٠٥٢/٤)، حديث رقم (٢٦٦٤).

[٣] علم مقاصد السور: د. محمد الربيعة (ص ٤٨).

[٤] انظر: المرجع السابق (ص: ٥٠).

[٥] بدائع الفوائد (١/ ١٣٨).

شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب: أحدها: التعوذ بالله تعالى من شره واللجوء والتحصن به واللجوء إليه، وهو المقصود بهذه السورة"[1].

٤- البحث عن أسماء السورة الواردة في القرآن الكريم أو في السنة النبوية أو على لسان السلف الصالح، يقول البقاعي:" وقد ظهر لي أنّ اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تظهر المناسبات بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه"[2].

٥- ما ورد عن السلف من إشارات لمقاصد السور؛ ليكون منطلقاً لتحديد مقاصدها.

خامساً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات

لم يفرد الأئمة المتقدمون هذا العلم بتصنيف مستقل، وإنما ضمَّنوه مصنفاتهم في التفسير وعلوم القرآن، حيث كان هذا شأن جميع العلوم التي تنشأ في بداياتها، فقد كانت مختلطة بغيرها من العلوم.

ومن الملاحظ خلال تناول هذا الموضوع أنّ بعض المفسرين اكتفى بالإشارة إلى مقاصد السور القرآنية دون التنصيص على ذلك، وبعضهم صرَّح بمقصد السورة دون أن يكون له منهج محدد في هذا الشأن، في حين أنّ المتأخرين قد اعتنوا بهذا العلم كثيراً وأوْلُوا له أهمية على كثير من العلوم، وقد رأينا اهتماماً بارزاً في هذا العلم من المفسرين المعاصرين، وسنذكر هنا المصنّفات التي أشارت إلى هذا العلم والمصنفات التي اعتنت بدراسة مقاصد السور والآيات.

وبالنظر إلى المفسرين الذين أشاروا لمقاصد السور من غير تصريح بلفظ المقصد، نجد أن غالب المفسرين قاموا بهذا الأمر في تفاسيرهم، ومن هؤلاء:

١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.

٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

---

[1] بدائع الفوائد: لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٣٨).

[2] نظم الدرر في تناسب الآي والسور: للبقاعي (١٨/١).

أمّا المفسرون الذين صرَّحوا بمقصد السورة في تفاسيرهم دون أن يكون لهم منهج محدد في هذا الشأن:

١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري.

٢- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي.

٣- الموافقات للشاطبي.

٤- البرهان في علوم القرآن للزركشي.

كما أنّ هناك من صرح بذلك من المفسرين كابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

أمّا المصنفات التي اعتنت بدراسة مقاصد وأهداف السور فهي:

١- البرهان في تناسب سور القرآن لأحمد ابن الزبير الغرناطي.

٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي.

٣- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للإمام برهان الدين البقاعي.

٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين البقاعي.

٥- أسرار التنزيل للسيوطي.

٦- أسرار ترتيب القرآن للسيوطي.

٧- نظام القرآن لعبد الحميد الفراهي.

٨- فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صدِّيق خان القِنَّوجي.

٩- تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي.

١٠- في ظلال القرآن، للأستاذ المفكر سيد قطب.

١١- الأساس في التفسير لسعيد حوى.

١٢- التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور.

١٣- زهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة.

١٤- قبس من نور القرآن الكريم، الشيخ محمد علي الصابوني.

١٥- التفسير المنير للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي.

١٦- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم للدكتور عبد الله شحاتة.

١٧- مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير للشيخ صالح آل الشيخ.

١٨- رسالة دكتوراة في فواتح السور ومناسبتها للدكتور عبد العزيز الخضيري.

١٩- مدخل إلى علم مقاصد السور للدكتور محمد عبد الله الربيعة.

المبحث الثاني

تعريف عام بسورة الأحزاب

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه تسميتها، وعدد آياتها

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة، وجوُّ نزولها

المطلب الثالث: فضائل السورة، وترتيبها

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

المطلب الخامس: المحور الأساس للسورة

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة

المبحث الثاني

تعريف عام بسورة الأحزاب

المطلب الأول: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها

أولاً: الأسماء التوقيفية

الاسم التوقيفي الذي ورد لهذه السورة هو (الأحزاب)، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور حيث يقول: "هكذا سميت سورة الأحزاب في المصاحف وكتب التفسير والسنة، وكذلك رُوِيت تسميتها عن ابن عباس وأُبَيّ بن كعب بأسانيد مقبولة، ولا يعرف لها اسم غيره"[١]، ويقصد بذلك ما رواه (زر[٢] **قال: قال لي أبيّ بن كعب ﷺ كائن (أي كم) تقرأ سورة الأحزاب، أو كائن (أي كم) تعدّها؟ قلت: ثلاثا وسبعين آية، فقال (أي أبيّ): لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة...)**[٣]، وأخرج البخاري في تاريخه عن حذيفة ﷺ قال: **(قَرَأْتُ سورة الأحزاب على النبي ﷺ فَنَسِيتُ منها سبعين آية ما وجدتها)**[٤].

ثانياً: وجه تسميتها

سميت هذه السورة بسورة الأحزاب لذكر غزوة الأحزاب فيها واشتمالها على قصة هذه الأحزاب في قوله: **﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠]** ، وقوله تعالى: **﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ**

---

[١] التحرير والتنوير (٢١/ ٢٤٥).

[٢] هو زر بن حبيش بن أوس الأسدي، من بني خزيمة، يكنى أبا مريم، وقيل: أبا مطرف، أدرك الجاهلية، ولم يرَ النبي ﷺ وهو من كبار التابعين، روى عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهم، روى عنه: الشعبي، والنخعي، وآخرون، وكان فاضلًا عالمًا بالقرآن، توفي سنة ثلاث وثمانين للهجرة، وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة. انظر: أسد الغابة (٢/ ٣١٢).

[٣] انظر تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٣٣٥)، فتح القدير: للشوكاني (٤/ ٢٩٩)، وقد صححه الألباني وقال: إسناده صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة: الألباني (٩٧٥/٦).

[٤] التاريخ الكبير: للبخاري (٤/ ٢٤١)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي (٦/ ٥٦٠).

إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] فقد تحزّب المشركون ومن تحالف معهم لغزو المدينة، لكنّ الله ﷻ ردّ كيدهم في نحورهم.

وقد بيّن ذلك الزحيلي بقوله: "سميت سورة الأحزاب لاشتمال الكلام فيها على وقعة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين ومحاولة استئصالهم"[١]، ويقول القاسمي[٢]: "سميت بها؛ لأنّ قصتها معجزة لرسول الله ﷺ متضمنةً لنصره بالريح والملائكة، بحيث كفى الله المؤمنين القتال، وقد ميز بهم بين المؤمنين والمنافقين، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[٣].

ثالثاً: الأسماء الاجتهادية

ومن أسمائها الاجتهادية الفاضحة، قال الزحيلي: "كما سميت الفاضحة؛ لأنها افتضحت المنافقين، وأبانت شدّة إيذائهم لرسول الله ﷺ في أزواجه وتألبهم عليه في تلك الموقعة"[٤]، لكنه لم يرد أي أثر في هذا الباب بأنّ السورة قد سميت بالفاضحة.

رابعاً: عدد آياتها

وقد ذكر المفسرون وعلماء القرآن أنّ عدد آياتها " سبعون وثلاث آيات في جميع العدد، ليس فيها اختلاف "[٥]، وهذا ما هو موجود في مصاحفنا اليوم، ولم أرَ خلافاً بين المفسرين أو علماء العدد في عدد آيات هذه السورة إلا ما قاله حجازي بأنّ عدد آياتها سبعون آية، مع أنّه عند تفسيره قام بتفسير ثلاث وسبعين آية، فلعلها سقطت من كتابه.[٦]

---

[١] التفسير المنير (٢١/ ٢٢٥).

[٢] جَمَال الدين القاسِمي أو محمد جمال الدين بن محمد الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، وقد نشر بحوثا كثيرة في المجلات والصحف، توفي في دمشق سنة (١٣٣٢هـ-١٩١٤م). انظر: الأعلام: للزركلي (١٣٥/٢).

[٣] محاسن التأويل (٨/ ٤٦).

[٤] التفسير المنير (٢١/ ٢٢٥).

[٥] البيان في عد آي القرآن: للداني (ص: ٢٠٨).

[٦] انظر: التفسير الواضح: لحجازي (٣/ ٧١).

خامساً: عدد حروفها وكلماتها

"حروفها خمسة آلاف وسبعمائة وستة وتسعون، كلمها ألف ومائتان وثمانون"[١].

والناظر للروايات التي تناولت تلك السورة يظهر له أنّ عدد آياتها كانت أكثر من ذلك، لكنّ الله ﷻ نسخ عدداً من آياتها تلاوةً وحكماً، وقد وردت رواياتٌ تقول بأنّها كانت تعدل سورة البقرة، وقد ورد أنها كانت تعدل في عهد الرسول ﷺ مائتي آية، **(عن زر قال: قال لي أبىّ بن كعب كائن (أي كم) تقرأ سورة الأحزاب، أو كائن (أي كم) تعدّها؟ قلت: ثلاثا وسبعين آية، فقال (أي أبىّ): لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة...)**[٢].

فهذه الرواية تدلل على أنّ هناك نسخاً في هذه السورة، لكنّنا لا نُسَلم للروايات الضعيفة التي رويت في هذا الموضوع، ويمكن تفسير ذلك بأنّ سورة الأحزاب كانت تعدل في طولها أو امتدادها سورة البقرة، وأنّه في العرضة أو العرضات التي كانت بين جبريل وبين النبي ﷺ أخذت كثير من الآيات في سورة الأحزاب مواضعها من سور القرآن المكي أو المدني، حتى صارت على هذه الصورة التي هي عليها.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة، وجوُّ نزولها

أولاً: مكان وزمان نزول السورة

ذكر المفسرون أنّ هذه السورة من السور المدنية بالإجماع،[٣] وقد ورد عن بعض المفسرين وعلماء القرآن خلاف ذلك، حيث ورد عن المقري[٤] قوله عند حديثه عن هذه السورة: "نزلت بالمدينة إلا آيتين وهما قوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ...﴾** [الأحزاب: ٤٥] إلى

---

[١] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري (٥/ ٤٤٣).

[٢] سبق تخريجه. انظر (ص١٦).

[٣] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٣٦٧)، التفسير الوسيط للواحدي (٤٥٧/٣)، تفسير السمعاني (٤/ ٢٥٦).

[٤] هبة الله بن سلامة، أبو القاسم، مفسر، ضرير، من أهل بغداد. وتوفي بها عام٤١٠هـ -١٠١٩م، كانت له حلقة في جامع المنصور، له كتب، منها: الناسخ والمنسوخ في القرآن، الناسخ والمنسوخ من الحديث، المسائل المنثورة في النحو. انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٧٢).

قوله ﴿وَلَا تُطِعِ...﴾ [الأحزاب: ٤٨]"[١]، بينما قال السمرقندي[٢] وابن عادل الحنبلي[٣] أن سورة الأحزاب مكية،[٤] وما يؤخذ على ابن عادل أنه يقول بعد هذا القول مباشرة أنها نزلت بعد سورة آل عمران، مع أنّ هناك إجماعاً على أن سورة آل عمران مدنية، وبعدما تتبعت تفسيره رأيت بأنه يرى أن سورة آل عمران مدنية، فكيف تكون هذه السورة مكية مع أنها نزلت بعد سورة آل عمران!!! لكن الرأي الذي يميل إليه الباحث أن هذه السورة من السور المدنية، حيث إنّ كثير من محاورها وأحكامها ومواضيعها نزلت في مرحلة متأخرة كالتبني ونزول الحجاب وغيره، كما أنّ هذه السورة تحدثت عن المنافقين وإيذائهم للرسول ﷺ، ومن المعلوم أن النفاق لم يظهر إلا في المدينة المنورة بعد الهجرة.

"وهذه السورة تتناول قطاعا حقيقياً من حياة الجماعة المسلمة، في فترة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى، إلى ما قبل صلح الحديبية"[٥]، قال ابن عاشور: " وكان نزولها على قول ابن إسحاق[٦] أواخر سنة خمس من الهجرة...وعن مالك[٧]: أنها كانت سنة أربع وهي سنة غزوة الأحزاب"[٨].

---

[١] الناسخ والمنسوخ (ص: ١٤٤).

[٢] نصر بن محمد السَّمَرْقَنْدي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى، وهو من أئمة الحنفية، ومن الزهاد المتصوفين. له تصانيف عديدة، منها: تفسير القرآن المسمى بحر العلوم، بستان العارفين، النوازل من الفتاوى وغيرها، توفي عام ٣٧٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٢٧).

[٣] عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقيّ، أبو حفص، سراج الدين، صاحب التفسير الكبير "اللباب في علوم الكتاب"، توفي عام ٨٨٠هـ -١٤٧٥م. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٥٨).

[٤] انظر: بحر العلوم (٣٥/٣)، اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٤٩٥).

[٥] في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨١٧).

[٦] هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي(نسبة إلى المطلب بن عبد مناف) بالولاء المديني، كان ثبتاً في الحديث عند أكثر العلماء، صاحب المغازي والسير وهو إمام فيها، وقد أتى أبا جعفر المنصور وهو بالحيرة فكتب له المغازي، وتوفي ببغداد سنة (١٥١هـ) على الراجح، ودفن في مقبرة الخيزران وهي منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد لأنها مدفونة بها. انظر: وفيات الأعيان: لابن خلكان (٢٧٦/٤).

[٧] هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، روى عن: أيوب السختياني وحميد الطويل وغيرهم، وعنه كثير منهم: شعبة وابن وهب وابن القاسم والشافعي والزهري، كان ثقةً، مأموناً، ثبتاً، فقيهاً، عالماً، حجةً، روى له الجماعة، قال البخاري: أنّ له نحو ألف حديث، مات بالمدينة ودفن بالبقيع في خلافة هارون سنة (١٧٩هـ). انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للمزي (٩١/٢٧).

[٨] التحرير والتنوير (٢١/ ٢٤٥).

ثانياً: جوُّ نزول السورة

تتناول السورة جانباً من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة وإبراز تلك الملامح وتثبيتها في حياة الأسرة والجماعة، وبيان أصولها في العقيدة والتشريع، كما تطرقت إلى الحديث عن بعض الأوضاع التي كانت سائدة والعمل على إبطالها والقضاء عليها، وقد تمّ كل ذلك في إطار التصور الإسلامي الجديد، كما نزلت هذه السورة في أجواء دسائس اليهود والمنافقين وسط الجماعة المسلمة، سواء عند الحصول عند الحديث عن غزوة الأحزاب وبني قريظة، أو الكيد للمسلمين في بيوتهم ونسائهم، فسياق السورة أتى ليعالج الآثار الناجمة عن مواقف الكافرين والمنافقين وسعيهم لإيقاع الفتن وسط الجماعة المسلمة، عن طريق خلخلة الأوضاع الاجتماعية والتصورات والأخلاق التي نتجت عن ذلك، فمن خلال ذلك تبدو الوحدة الزمنية التي تربط بين الأحداث والتنظيمات التي تناولتها السورة.[١]

المطلب الثالث: فضائل السورة، وترتيبها

أولاً: فضائل السورة

ومما ورد من فضائل لهذه السورة ما رواه مسلم عن عدي بن حاتم ﷺ، أن رجلاً خطب عند رسول الله ﷺ فقال: **(من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله)**[٢].

ثانياً: ترتيبها

ترتيب هذه السورة في المصحف الشريف هي الثالثة والثلاثون، أما بالنسبة لترتيب نزولها فقد نزلت بعد آل عمران،[٣] بينما يرى ابن عاشور أنها " نزلت بعد سورة الأنفال، وقبل سورة المائدة"[٤]، وهو أيضاً الرأي الذي قال به صاحب تفسير المنار، حيث قال: " وهي مفصلة

---

[١] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨١٨).

[٢] صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٢/ ٥٩٤)، حديث رقم (٨٧٠).

[٣] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥١٨)، التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي (١٤٥/٢).

[٤] التحرير والتنوير (٢١/ ٢٤٥).

وسورتها قد نزلت بعد سورة الأنفال، وفيها الكلام على غزوة الأحزاب التي كانت بعد غزوة بدر بسنتين وقيل بثلاث سنين".[1]

ويقول دروزة معلقاً على ترتيب نزول هذه السورة بعدما ذكر ما بيّناه من أقوال للمفسرين في ترتيب نزول السورة: " والتدقيق في مضامين فصول السورة وما روي من ظروف نزولها يسوّغ القول إنها نزلت في فترات متباعدة ثم ألّف بينها، ولقد احتوت مثلا فصلاً في أنكحة النبي ﷺ يدلّ فحواه وما روي في نزوله على أنّه نزل بعد نزول الآية التي فيها تحديد لعدد الزوجات في سورة النساء التي ذكر الرواة ترتيبها بعد هذه السورة، وفيها آيات في صدد تزوج النبي ﷺ بمطلقة ابنه بالتبني زيد، ولا بد من أنّ ذلك كان قبل نزول آية النساء في تحديد عدد الزوجات؛ لأن في السورة آية تحرّم على النبي ﷺ الزواج بعد تحديد العدد وإقراره على زوجاته اللاتي في عصمته، ولقد ذكرت الروايات أنّ النبي ﷺ تزوج بعض زوجاته في أثناء زيارته للكعبة في السنة السابعة للهجرة، حيث يسوغ هذا القول أنّ تأليفها قد تأخر إلى وقت متأخر من العهد المدني، أما ترتيب المرتبين لها في النزول بعد سورة آل عمران أي كرابعة سورة فلم نرَ له مبرراً إلا احتمال كون مطلعها قد نزل مبكراً على بعده؛ لأنّ مطلعها الذي فيه تسفيه لتقاليد التبني والظهار متصل بحادث زواج النبي ﷺ بمطلقة متبنيه كما نرجح، ولأن في الروايات ما قد يفيد أنّ هذا الحادث لم يقع مبكراً، ولم نرَ أي مبرر لرواية نزولها بعد الأنفال أو بعد النور، ومهما يكن من أمر فإننا بعد تقديمنا سورة الحشر صار وضعها بعدها سائغاً؛ لأن وقعتي الأحزاب وبني قريظة قد وقعت بعد قليل من وقعة بني النضير التي نزلت فيها سورة الحشر، وبذلك نكون قد راعينا التسلسل الزمني للسيرة النبوية".[2]

ويميل الباحث إلى الرأي القائل بأنّ هذه السورة نزلت بعد سورة آل عمران على فترات حسب الوقائع والأحداث، فقد تكفلت سورة الأنفال بالكلام على بدر، أما سورة آل عمران فقد تناولت عدة غزوات منها بدر وأحد وحمراء الأسد وبدر الآخرة، وكانت غزوة بدر الآخرة في شعبان من السنة الرابعة، ونزلت بعدها سورة الأحزاب التي نزلت في آخر السنة الخامسة، فقد كانت هذه الغزوة (الأحزاب) في شوال من السنة الخامسة للهجرة، بالإضافة إلى أنّ هذا الترتيب هو الذي استقر عليه العلماء اعتماداً على بعض الروايات، قال الإمام الزركشي: "وعلى هذا

---

[1] تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا (١٠/ ١٠٣).

[2] التفسير الحديث (٧/ ٣٤٥).

الترتيب استقرت الرواية من الثقات"[1]، كما أنّ هذا الترتيب بين السور القرآنية في النزول لا يُنافي تأخُّر بعض الآيات من بعض السور عن سورها في ترتيب النزول؛ كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فقد تأخَّر نزولها حتى قيل: إنّها آخِر ما نزل من القرآن على الإطلاق، وبذلك يظهر للباحث أنّ هذه السورة قد نزلت بعد آل عمران، كما أنّ هذا الترتيب لا ينافي أن تكون بعض الآيات المتعلقة بعدد من الأحكام الخاصة بزوجاته أو غيرها قد نزلت في مرحلة متأخرة عن نزول هذه السورة، وبذلك نخرج من هذا الإشكال الذي ذكره ابن عاشور وغيره.

المطلب الرابع: المحور الأساس لسورة الأحزاب

تحدثت هذه السورة في عدّة موضوعات، وتدور موضوعات هذه السورة وأحداثها حول الأصل العام وهو العقيدة، وقد ظهر هذا من خلال أكثر من موضع في هذه السورة، بالإضافة إلى أنّ الموضوعات التي تناولتها هذه السورة كسائر موضوعات السور المدنية التي تهتم بالجانب التشريعي للأُمَّة، وتناولت السورة العديد من الآداب الإسلامية التي يحتاجها المجتمع المسلم في واقعنا المعاصر، وقد تطرقت إلى الأحكام التي تعالج بعض عادات الجاهلية التي كانت قد ترسخّت عندهم، ولم تغفل المستجدات التي حصلت مع المسلمين كالحديث عن الغزوات والمنافقين الذين ظهروا في المدينة.[2]

ويقول البقاعي: "مقصودها الحثُّ على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق، من غير مراعاة بوجه ما للخلائق؛ لأنّه عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله فهو يُعلي من يشاء وإن كان ضعيفاً، ويُردي من يريد وإن كان قوياً، فلا يتهم الماضي لأمره برجاء لأحد منهم في بره، ولا خوف منه في عظيم شره وخفي مكره".[3]

---

[1] البرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

[2] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨١٨)، التفسير المنير: للزحيلي (٢٢٥/٢١)، التفسير الواضح: لحجازي (٣/ ٧١).

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٥/ ٢٧٣).

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

ذكر الباحث فيما سبق زمان نزول السورة، وبَيَّن أنّها من السور المدنية بالإجماع، في حين أنّ السورة التي قبلها وهي سورة السجدة من السور المكية، ومع هذا فإنّ المتأمل يرى مدى التلاحم الواضح بين هاتين السورتين واتصالهما ببعضهما البعض، وكأنّهما سورةٌ واحدة، وسأتناول في هذا المطلب المناسبات في هذه السورة على النحو التالي:

أولاً: تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً

١- المناسبة لغةً:

"(نسب) النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به"[١]، "المناسبة: المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل"[٢]، "وتقول: ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة"[٣]، "وفلان (يناسب) فلانا فهو (نسيبه) أي قريبه. وبينهما (مناسبة) أي مشاكلة"[٤].

فتكون المناسبة بمعنى الاتصال والمقاربة والمماثلة، حيث إنّ المشاكلة تأتي بمعنى الموافقة والمماثلة، "والمشاكلة الموافقة والتشاكل مثله"[٥].

٢- المناسبة اصطلاحاً:

وقد ذكر العلماء عدة تعريفات لعلم المناسبة، ومن هذه التعريفات:

أ- "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[٦].

---

[١] مقاييس اللغة: لابن فارس (٥/ ٤٢٣).
[٢] تاج العروس: للمرتضى الزبيدي (٤/ ٢٦٥).
[٣] لسان العرب: لابن منظور (١/ ٧٥٦).
[٤] مختار الصحاح: للرازي (ص: ٣٠٩).
[٥] المرجع السابق (ص: ١٦٨).
[٦] مباحث في التفسير الموضوعي: لمصطفى مسلم (ص: ٥٨).

ب- تأتي بمعنى بيان "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أوبين السورة والسورة"[١].

ج- ويُعرِّفه البقاعي بقوله: "فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه عِلَل ترتيب أجزائه"[٢].

ثانياً: مناسبة سورة الأحزاب لما قبلها (السجدة)

ووجه اتصال هذه السورة بما قبلها، أنّ خاتمة السورة السابقة (سورة السجدة) أمرت بالإعراض عن الكافرين والنهي عن الشك في لقائه، والإخبار بأنّ يوم الفتح لا ينفع هؤلاء إيمانهم، وافتتح هذه السورة بتقوى الله ﷻ والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين والمخالفين، والأمر باتباع الوحي مع التوكل على الله ﷻ،[٣] وبعدما أمر الله ﷻ في آخر سورة السجدة بانتظار الفرج والفتح والنصر، أمر في مطلع هذه السورة بتقوى الله ﷻ وعدم طاعة غيره،[٤] حيث إنّ "الفتح إنّما يكون مع التقوى، فأمره بها، بعد أمره بانتظار نصره، كأنّه قيل: يا أيها النبي اتق الله ترَ الفتح طوع يدك"[٥].

يقول أبو جعفر بن الزبير[٦]: " ولما تحصل من السورتين قبل ما يَعقب العالِمَ من الخوف أشده لغيبة العلم بالخواتم، وما جرى في السورتين من الإشارة إلى السوابق **﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾** [السجدة: ١٣] كان ذلك مظنة لتيئيس نبي الله ﷺ وصالحي أتباعه، فلهذا أعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس والبشارة ما يجرى على المعهود من لطفه تعالى وسعة رحمته، فافتتح سبحانه السورة بخطاب نبيه بالتقوى وإعلامه بما قد أعطاه قبل من سلوك سبيل النجاة، وإن ورد على طريقة الأمر ليشعره باستقامة سبيله، وإيضاح دليله،

---

[١] مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان (ص: ٩٦).

[٢] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ١٤٢).

[٣] انظر: تفسير المراغي (٢١/ ١٢٣)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي (١٥/ ٢٧٣).

[٤] انظر: البحر المحيط في التفسير: لأبي حيّان الأندلسي (٨/ ٤٥١)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري (٥/ ٤٤٥).

[٥] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لأبو العباس أحمد بن عجيبة الفاسي (٤/ ٤٠٣).

[٦] أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، شيخ القراء والمحدثين بالأندلس، وقد ألّف وعمل تاريخًا للأندلسيين، وأفاد الناس في القراءات وعللها ومعرفة طرقها، وأحكم العربية وتصدر مدة وتخرّج به الأصحاب، أخذ عنه الإمام أبو حيان النحوي وغيره، توفي سنة ثمان وسبعمائة بغرناطة. انظر: تذكرة الحفاظ: للذهبي (٤/ ١٨٣).

وخاطبه بلفظ النبوة؛ لأنه أمر ورد عقب تخويف وإنذار بيان كان عليه السلام قد نَزّه الله قدره عن أن يكون منه خلاف التقوى، وعصمه من كل ما ينافر نزاهة حاله وعَلي منصبه".[١]

ويقول أيضاً: " وفي هذه الآيات من تأنيس المؤمنين وبشارتهم وتعظيم حرمتهم ما يكسر صورة الخوف الحاصل في سورتي لقمان والسجدة ويسكن روعهم تأنيساً لا رفعاً، ومن هذا القبيل أيضاً ما تضمنت السورة من تعداد نعمه تعالى عليهم وتحسين خلاصهم كقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٩ -١١]**، وقوله تعالى: **﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾** إلى قوله: **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٧]**"[٢].

ثالثاً: مناسبة سورة الأحزاب لما بعدها (سبأ)

ومناسبة هذه السورة لما بعدها واضحة، فقد ختمت سورة الأحزاب ببيان أنّ الإنسان حمل الأمانة، وأنّ نتيجة هذا الحمل للأمانة إمّا الثواب وإمّا العقاب، وأنّ كل ما في الملك هو له، وأنّه المتصرف به وحده، وأنّ بعض من يعيشون في ملكه يخافون من عظمته ومشفقون منه، وختم ذلك بصفتي الرحمة والمغفرة، فناسب أن يبتدئ ما بعدها بالحمد، بمعنى الإحاطة بأوصاف الكمال، وهذا لا يحيط به إلا الله.[٣]

ويقول أبو جعفر بن الزبير: " ولما كان حاصلها رحمةً ولطفاً ونعمةً لا يقدر عظيم قدرها وينقطع العالم دون الوفاء بشكرها، أعقب بما ينبغي من الحمد (يعنى أول سبأ)".[٤]

رابعاً: مناسبة فاتحة سورة الأحزاب لخاتمتها

ووجه المناسبة بينهما واضح، حيث إنّ السورة قد تضمنت العديد من الأحكام والتوجيهات والتشريعات التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، وقد أمر الله بالالتزام بأوامره، والأمانة التي ختمت بها السورة تعمّ جميع وظائف الدين، فهي تظهر جسامة التبعة وعظم

---

[١] البرهان في تناسب سور القرآن: (ص: ٢٧٩).

[٢] المرجع السابق (ص: ٢٨٢).

[٣] انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي (١٥/ ٤٢٨).

[٤] البرهان في تناسب سور القرآن (ص: ٢٨٣).

الأمانة، والتي تتضح من خلال قيام الإنسان بواجباته والخضوع لمشيئته وأوامره، فبهذا الإيقاع تختم هذه السورة، والتي بدأت بأمر النبي ﷺ بتقوى الله وطاعته والتوكل عليه مع مخالفة الكافرين والمنافقين، وبذلك يظهر لنا التناسق بين بدء السورة وختامها والمواضيع التي تناولتها،[1] بالإضافة إلى أنّ "ختم السورة بذكر التوبة والمغفرة أوضح شاهد لما تمهد منْ دليل قصدها وبيانها على ما وضح"[2].

ويقول الدكتور عبد الكريم الخطيب مبيّناً مدى التلاحم بين خاتمة السورة وفاتحتها: "وبين بدء السورة وختامها تلاقٍ وتجاوب، بحيث يرى وجه أحدهما في الآخر، كما يرى الشيء وصورته في مرآة مجلوّة[3]، ففي بدء السورة جاء قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ..**﴾ [الأحزاب: ١] وفي ختامها جاء قوله تعالى: ﴿**لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٧٣] ففي تحذير النبي ﷺ من الكافرين والمنافقين، حراسةً له ولكل من اتبع سبيله – من هذا الخطر الداهم، وهذا البلاء النازل من موالاة الكافرين والمنافقين أو مهادنتهم، وبعد بدء السورة بقليل جاء قوله تعالى: ﴿**ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ [الأحزاب: ٤] وقبل ختام السورة بقليل جاء قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ**﴾ [الأحزاب: ٧٢] ففي قوله تعالى: ﴿**ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ – إشارة إلى أنّه كما لا يجتمع في الجوف قلبان، يبطل كل منهما عمل الآخر، كذلك لا يجتمع في القلب شيئان ينقض أحدهما ما يبنيه الآخر، فلا يجتمع في القلب إيمان وكفر، ولا يسكن إليه إيمان يخالطه نفاق، وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ**﴾ – إشارة إلى أن الأمانة هي مما يحمل القلب، وأنّه كما انفرد القلب بالسلطان على الجسم، كذلك تنفرد الأمانة بالسلطان على القلب"[4].

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٥٣)، في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٨٥).

[2] البرهان في تناسب سور القرآن: لأبو جعفر بن الزبير الغرناطي (ص: ٢٨٣).

[3] جلا يَجلُو، اجْلُ، والمفعول مَجْلوّ، وجلا المرآة بمعنى: صقلها وأزال صدأَها. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٣٨٧)، واجْتَلَيْتُها بمعنى إذا نظرت إليها مَجْلُوّةً. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٥٢).

[4] التفسير القرآني للقرآن (١١/ ٧٦١).

المطلب السادس: الأهداف العامة لسورة الأحزاب

اشتملت سورة الأحزاب على عدّة توجيهات وأحداث وأحكام شرعية، يقول سيد طنطاوي: " المتأمل في سورة الأحزاب، يراها زاخرة بالأحكام الشرعية، وبالآداب الاجتماعية، وبالتوجيهات الربانية، تارة من الله تعالى لرسوله ﷺ وتارة لأزواجه ﷺ، وتارة للمؤمنين، كما يراها تهتم اهتماماً واضحاً بتنظيم المجتمع الإسلامي تنظيماً حكيماً، من شأنه أن يأخذ بيد المتبعين له إلى السعادة الدنيوية والأُخروية"[١]، وقد قام الباحث بذكر أهداف هذه السورة وخطوطها العامة على شكل نقاط كما يلي:

١- توجيه الرسول ﷺ إلى تقوى الله ﷻ والتوكُّل عليه، واتباع ما يوحى إليه من ربّه، كما دعاه الله ﷻ إلى عدم طاعة الكافرين والمنافقين.[٢]

٢- بيان بعض الأحكام الشرعية وإظهار حكم الله ﷻ في بعض التقاليد والأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة عندهم في ذلك الوقت، كإبطال التبنّي والظِّهار وإبطال التوارث عن طريق المؤاخاة التي تمّت بعد الهجرة، وردّ هذا التوارث إلى القرابة.[٣]

٣- الحديث عن غزوة الأحزاب ووصف أحداثها، وتصوير حال المؤمنين، وفضل الله ﷻ عليهم في هذه الغزوة بحمايته لهم، وثنائه عليهم وتذكيره بنعمه عليهم بِرَدّ الأحزاب مدحورين خاسرين بما أيّدهم الله ﷻ من المعجزات كإرسال الملائكة والروح، كما بينت هذه السورة موقف المنافقين، وقد كشفهم الله ﷻ وفضحهم وحذرنا من مكائدهم، وقد تحدثت عن غزوة بني قريظة وأظهرت خيانتهم ونقضهم لعهدهم مع المسلمين.[٤]

٤- الحديث عن زوجات النبي ﷺ وعن الأحكام المتعلقة بهنّ، وتخيير الآيات لأزواج النبي ﷺ بين متاع الحياة الدنيا وزينتها وبين الله ورسوله والدار الآخرة، كما ذكرت فضلهنّ وفضل آل بيت النبيﷺ، وتطهير المجتمع من مظاهر تبرج الجاهلية وبعض الواجبات المطلوبة من زوجات النبي ﷺ إلى غير ذلك من الأحكام.[٥]

---

[١] التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١٦٨).

[٢] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨١٨).

[٣] انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١٦٣)، في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨١٩).

[٤] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢١/ ٢٤٨)، التفسير المنير: للزحيلي (٢١/ ٢٢٦).

[٥] انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١٦٤)، في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٢٠).

٥- بيان قصة زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، وزينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، والحكمة من ذلك، وأنّ هذه الحادثة كانت بأمر من الله ﷻ.[١]

٦- تنظيم الحياة الزوجية للنبيﷺ، وعلاقة المسلمين ببيوت النبي ﷺ وزوجاته، والآداب الواجب على المسلمين التحلي بها عند دخولهم بيوت النبيﷺ، وتقرير احتجابهنّ عن غيرهنّ، وبيان جزاء الذين يؤذون رسول اللهﷺ، وعقّب على هذا بأمر أزواج النبي ﷺ وبناته ونساء المؤمنين كافّة أن يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ.[٢]

٧- تهديد المنافقين وتحذيرهم من إشاعة الفاحشة، وبيان سنة الله ﷻ في خلقه في معاقبة من يخالف ذلك، وإرجاع علم قيام الساعة إليه، وإظهار حال الكُفّار يوم القيامة، والدعوة إلى تقوى الله ﷻ وإظهار فضل ذلك، وبيان حمل الإنسان للأمانة وعاقبة ذلك.[٣]

---

[١] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٢٠).

[٢] انظر: المرجع السابق (٥/ ٢٨٢١).

[٣] انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ١٦٥).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣١-٤٨)

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣١-٣٤)

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣٥-٤٠)

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤١-٤٨)

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣١-٣٤)

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: بيان ثواب أمهات المؤمنين ﵃

المطلب الثاني: مكانة زوجات النبي ﷺ بين نساء المسلمين

المطلب الثالث: نهي زوجات النبي ﷺ عن الخضوع في القول

المطلب الرابع: أوامر ونواهي لأمهات المؤمنين ﵃

المطلب الخامس: فضل أهل بيت النبي ﷺ

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣١-٣٤)

المطلب الأول: بيان ثواب أمهات المؤمنين ﷺ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]

أولاً: المعاني اللُّغوية

﴿يَقْنُتْ﴾: قنوت الشخص لربه يأتي بمعنى الطاعة والعبودية له، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾[آل عمران: ٤٣]، كما يأتي بمعنى إطالة القيام في الصلاة، كقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[البقرة: ٢٣٨]، وقنوت المرأةُ لزوجها بمعنى طاعته.[١]

ثانياً: وجوه البلاغة

عند إيتاء الأجر ذُكِر المؤتي وهو الله ﷻ، حيث قال: ﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا﴾، وعند العذاب في الآية السابقة لم يُصَرَّح بالمُعذِّب فقال يضاعف، حيث يقول تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، وفي هذا إشارة إلى كمال الرحمة والكرم، كما أن الكريم الحي عند النَّفع يظهر نفسه وفعله، وعند الضُّرِّ لا يذكر نفسه.[٢]

ثالثاً: وجوه القراءات

"قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر ﴿يَقْنُتْ﴾ بالياء، ﴿وَتَعْمَلْ﴾ بالتاء، ﴿نُؤْتِهَا﴾ بالنون، وقرأ حمزة والكسائي كل ذلك بالياء، ولم يختلف الناس في: ﴿يَقْنُتْ﴾ أنه بالياء، وكذلك ﴿مَنْ يَأْتِ﴾ بالياء، قال أبو علي: أمّا من قرأ: ﴿يَقْنُتْ﴾ بالياء، فلأنّ الفعل مسند إلى ضمير ﴿مَنْ﴾ ولم يبيّن فاعل الفعل بعد، فلمّا ذكر ما دلّ على أنّ الفعل لمؤنث حمل على المعنى فأنّث...وأمّا من قرأ كلّ ذلك بالياء، فإنّه حمل على اللفظ دون المعنى واللّفظ ﴿مَنْ﴾ وهو مذكر، وممّا يقوّي قول من حمل على المعنى فأنّث، اتفاق حمزة والكسائي معهم في قولهم: ﴿نُؤْتِهَا﴾ فحملا على المعنى، فكذلك قوله: ﴿وَتَعْمَلْ﴾ كان ينبغي على هذا القياس أن يحملا

---

[١] انظر معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٣/ ١٨٦١).

[٢] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٦٦).

على المعنى، وإنّما لم يختلف الناس في ﴿يَقْنُتْ﴾ و﴿يَأْتِ﴾ لأنّه إنّما جرى ذكر ﴿مَنْ﴾، ولم يجر ذكر ما يدلّ على التأنيث، فيحمل الكلام على المعنى"[١].

رابعاً: وجه المناسبة

مناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة، حيث إنّ كلتا الآيتين من خصوصيات بيت النبوة، بالإضافة إلى أنّ السياق في كلتا الآيتين يتناول الحديث عن زوجات النبي ﷺ (أمهات المؤمنين)، فالآية السابقة تضمنت وعيداً، بينما تضمنت هذه الآية وعداً، فبعدما بيّن الله ﷻ في الآية السابقة زيادة عقاب زوجات النبي ﷺ وحذرهنّ من مضاعفة العذاب إن وقع منهنّ فاحشة، ناسب ذلك أن يتبعه بذكر زيادة ثوابهنّ ويرغبهنّ بمضاعفة الأجر والثواب إن حصل منهنّ طاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ، فلأنّ العقوبة كانت عليهنّ أشد على فعل الفاحشة، كان الثواب لهنّ أكثر على فعل الطاعة، فهذه الآية مقابلة للآية التي سبقتها.[٢]

خامساً: المعنى العام

تخاطب هذه الآية نساء النبي ﷺ وتبين أن من يطع الله ﷻ بالتزام ما أمر وبالخضوع والخشية والطاعة وأداء العبادات على الوجه الذي أراد، وتطع النبي ﷺ وتحرص على رضاه، ثم تتبع ذلك بالعمل الصالح، حيث إنّ الاعتقاد دون عملٍ لا ينفع صاحبه، فإنّ الله سيعطيها الثواب مضاعفاً مثلي ثواب غيرهنَّ من نساء العالمين، وتستحق هذا الثواب على طاعتهنَّ وخشيتهنَّ لله ﷻ، وعلى طلبهنَّ رضا الرسول ﷺ بالقناعة وحسن المعاشرة، ثمّ يهيئ لهنّ زيادة على ذلك في الآخرة عيشاً هنيئاً ورزقاً حسناً لا ينقطع في الجنة.[٣]

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- القنوت من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وإن كانت هنا بمعنى الطاعة لكن القنوت ورد في القرآن بعدة معاني، فهو أشمل وأوسع من ذلك، " فالقنوت عبارة عن إكمال الطاعة وإتمامها، والاحتراز عن إيقاع الخلل في أركانها وسننها وآدابها"[٤]، وهذا يتطلب مداومةً

---

[١] الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسيّ (٥/ ٤٧٤).

[٢] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٦٦)، تفسير المراغي (٢٢/ ٣).

[٣] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٨٠)، جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/٢٥٦).

[٤] مفاتيح الغيب: للرازي (٦/ ٤٨٨)

وملازمةً للطاعة، فلما كان القنوت له مكانة عظيمة في ديننا، استحق فاعله أن يثاب عليه ثواباً عظيماً.

٢- بيان فضل زوجات النبي ﷺ ، فقد خاطب الله ﷻ في هذه الآية زوجات النبي ﷺ، ولشرفهنّ قد ضاعف لهنّ الأجر مرتين، وجعل هذا الحكم خاص بهنّ، ويناسب مقامهنّ، مما يدل على فضلهنّ على غيرهنّ من النساء، وأن منزلتهنّ تزيد على منزلة جميع النساء، وأنّ لهنّ مكانة عظيمة عند رسول الله ﷺ، فإنّ الله ﷻ لم يكن ليختار لنبيه ﷺ إلا أفضل النساء وخيرهنّ وأطيبهنّ، فالطيب لا يختار إلا طيبة مثله، وقد قال تعالى: ﴿**وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾[النور: ٢٦] كما خاطب الله ﷻ مريم عليها السلام بقوله: ﴿**يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾[آل عمران: ٤٣].[١]

٣- مضاعفة أجر زوجات النبي ﷺ ، فإن الله ﷻ يعطها ثواب عملها مثليّ ثواب غيرهنّ من النساء على فعل الطاعات والعمل الصالح، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ** ﴾[الأحزاب: ٣١]، "وفي إضافة الأجر إلى ضميرها إشارة إلى تعظيم ذلك الأجر بأنه يناسب مقامها وإلى تشريفها بأنها مستحقة ذلك الأجر، ومضاعفة الأجر لهنّ على الطاعات كرامة لقدرهنّ، وهذه المضاعفة في الحالين من خصائص أزواج النبي ﷺ لعظم قدرهن"[٢]، لكن مضاعفة الأجر مرتين لا يقتصر على زوجات النبي ﷺ ، فقد روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنّه قال: **(ثلاثة يُؤْتَون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأَمَة، فيعلمها فيحسن تعليمها، ويؤدبها فيحسن أدبها، ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران، ومؤمن أهل الكتاب، الذي كان مؤمنا، ثم آمن بالنبي ﷺ ، فله أجران، والعبد الذي يؤدي حق الله، وينصح لسيده)**[٣]، "وكمن يتصدق على قريبه له أجران: أجر الصدقة، وأجر الصلة، وكالحاكم إذا أصاب في حكمه فله أجران، وكالذي يسن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها، وكالذي

---

[١] انظر: تأويلات أهل السنة: لأبو منصور الماتريدي (٨/ ٣٧٩)

[٢] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٥).

[٣] صحيح البخاري (٤/ ٦٠) كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، حديث رقم (٣٠١١).

تيمم وصلّى، ولما وجد الماء أعاد الصلاة، فقد قال الرسول ﷺ: **(لك الأجر مرتين)**[١] ، وكالذي يقرأ القرآن وهو شاقّ عليه له أجران[٢]"[٣].

٤- اجتماع القنوت والعمل الصالح في الآية يدلل على أنّ المراد بكل منهما يختلف عن الآخر،[٤] وإلا فما الفائدة من اجتماعهما، "والقنوت الطاعة والخضوع، والعمل الصالح هو الترجمة العملية للطاعة والخضوع"[٥]، "وعن عطاء بن يسار[٦]﵁ في قوله: **﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** يعني تطيع الله ورسوله **﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾** تصوم وتصلي"[٧]، ويرى الباحث أن العمل الصالح أقرب ما يكون المقصود به هنا هو التقرب إلى الله ﷻ بصالح الأعمال والقربات من غير الفرائض، والعمل عبارة عن الأثر للقنوت، فهو الذي يُظهِر ما يجول في النفس من خواطر، وفي هذا ترغيب للمؤمنين لعمل الصالحات والإكثار من فعل القربات لينالوا الأجر العظيم على ذلك، وهذا فضل من الله ﷻ على عباده إذ أرشدهم للأعمال الصالحة ووفقهم لفعلها ثم كافأهم على ذلك.

٥- بيّن الله ﷻ أنّه هو الذي يؤتي عباده الأجر، وأنّه هو الذي أعدّه وهيّأه لهم، في قوله: **﴿نُؤْتِهَا﴾** وقوله: **﴿وَأَعْتَدْنَا﴾**، فإنّ زوجات النبي ﷺ في الآخرة لهنّ أعظم المنازل وأرفع الدرجات، فهنّ زوجات النبي ﷺ في الجنة، والنبي ﷺ في أعلى الدرجات، وفي هذا حث على الالتزام بأوامر الله ﷻ؛ لأنّ المؤمن حين يعلم أنّ الله ﷻ هو الذي أعد هذه الكرامات لعباده،

---

[١] المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري، كتاب الطهارة، (١/ ٢٨٦) حديث رقم (٦٣٢)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

[٢] فقد أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٤٩)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن، والذي يتتعتع فيه، حديث رقم (٧٩٨)، عن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ).

[٣] الأدب النبوي: محمد عبد العزيز الخَوْلي (ص: ١٠١).

[٤] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ١٨٣)، وقد توسع في بيان ذلك.

[٥] في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٥٧)

[٦] هو أبو محمد عطاء بن يسار الهلالي المدني، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، وقد كان فاضلاً عابداً وقاصاً، وقد روى عن أمهات المؤمنين عائشة وميمونة، وعن أبي ذر وأبي الدرداء وأبي هريرة وابن عباس وآخرين، وروى عنه وزيد بن أسلم وعمرو بن دينار وصفوان بن سليم وآخرون، وقد كان ثقة كثير الحديث، وقد مات سنة ثلاث أو أربع ومائة وقيل قبل المائة. انظر: تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني (٢١٧/٧).

[٧] الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي (٦/ ٥٩٨).

يقبل عليه، لأنّه يعلم أن الله ﷻ كريم لا يبخل على عباده، يقول الرازي[1]: " وصف رزق الآخرة بكونه كريماً، مع أنّ الكريم لا يكون إلا وصفاً للرزاق إشارة إلى معنى لطيف، وهو أنّ الرزق في الدنيا مُقَدَّرٌ على أيدي الناس، التَّاجِرُ يَسْتَرْزِقُ مِنَ السُّوقَةِ، وَالْمُعَامِلِينَ وَالصُّنَّاعُ مِنَ الْمُسْتَعْمِلِينَ، وَالْمُلُوكُ مِنَ الرَّعِيَّةِ وَالرَّعِيَّةُ مِنْهُمْ، فالرزق في الدنيا لا يأتي بنفسه، وإنما هو مسخر للغير يُمْسِكُهُ وَيُرْسِلُهُ إِلَى الْأَغْيَارِ، وأما في الآخرة فلا يكون له مرسل وممسك في الظاهر فهو الذي يأتي بنفسه، فلأجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم إلا الرزاق، وفي الآخرة يوصف بالكريم نفس الرزق"[2].

٦- مكانة رسول الله ﷺ وعظيم قدره عند ربه ﷻ ، ويتضح ذلك من خلال عطف الرسول ﷺ على الله ﷻ ، فبهذه المكانة تميزت زوجات النبي ﷺ، وفُضِّلْن على غيرهنّ، وتضاعف الأجر لهنّ، مثلما حصل مع قصة الغلامين أصحاب الجدار في سورة الكهف فقد حفظ الله لهما كنزهما بصلاح أبيهما.

المطلب الثاني: مكانة زوجات النبي ﷺ بين نساء المسلمين

قال تعالى: **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ...﴾** [الأحزاب: ٣٢]

أولاً: المعاني اللغوية

﴿اتَّقَيْتُنَّ﴾: تأتي بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية بجعل الشيء وقايةً له من شيءٍ آخر، كما تأتي بمعنى الخوف والخشية وامتثال أوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه، والتقوى هو الاحتراز بطاعة الله ﷻ عن عقوبته، وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، وفي الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر[3].

---

[1] فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيمي الرازي، وقد ولد بالريّ، وأصله من طبرستان، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له مؤلفات كثيرة، منها: مفاتيح الغيب في التفسير، والمحصول والمعالم في أصول الفقه، وقد توفي سنة ٦٠٦هـ بمدينة هراة. انظر: وفيات الأعيان (٢٤٨/٤).

[2] مفاتيح الغيب (٢٥/ ١٦٧).

[3] انظر: المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون (٢/ ١٠٥٢)، التعريفات: للجرجاني (ص: ٦٥)، معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٣/ ٢٤٨٦).

ثانياً: وجوه البلاغة

١- "التشبيه المقلوب[١] في قوله تعالى: **﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ﴾**، فالتشبيه على القلب، والأصل ليس أحد من النساء مثلكن، أما إذا كان المعنى: لستن كأحد من النساء في النزول، فلا قلب في التشبيه"[٢].

٢- قال تعالى: **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾**، ولم يقل كواحدة، لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾** [البقرة: ٢٨٥]، وقوله: **﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾** [الحاقة: ٤٧]، كما أنَّ **﴿أَحَد﴾** قد يقال على ما ليس بآدمي، فيقال: ليس فيها أحد، لا شاة ولا بعير.[٣]

ثالثاً: وجه المناسبة

لمّا بين الله ﷻ في الآيات السابقة أنّ العذاب يضاعف على نساء النبي ﷺ ضعفين إن وقع منهن ما يوجب العقوبة، وأنّ الأجر منهنّ مثل أجر غيرهنّ، ذكر في هذه الآيات أن ما اختصصن به من هذه الميزات لأنهنّ أفضل النساء على الإطلاق.[٤]

رابعاً: المعنى العام

توضح الآية بأنّ نساء النبي ﷺ هنّ أفضل نساء المسلمين على الإطلاق، فقد شرفهنّ الله ﷻ وأعلى مقامهنّ وفضلهنّ على سائر النساء، قال ابن عباس: **(يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركنّ من النساء الصالحات أنتنّ أكرم عليّ، وثوابكنّ أعظم لديّ)**[٥]، فيخاطب الله ﷻ زوجات النبي ﷺ قائلاً: يا زوجات النبي ﷺ إنّكنّ لستن كجماعات النساء إنّ شرفكنّ أعظم

---

[١] التشبيه المقلوب: هو أن يُعكس التشبيه، فيجعل المشبه مشبهاً به وبالعكس، فتعود فائدته إلى المشبه به، لادِّعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه، نحو قول الشاعر يمدح الخليفة: وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح، فقد قلب التشبيه ليشعر بأنه يرى وجه الخليفة أكثر إشراقاً وضياءً من غرة الصباح، وكقوله تعالى حكاية عن الكفار **﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾** في مقام أن الربا مثل البيع، عكسوا ذلك لإيهام أن الربا عندهم أحلّ من البيع، لأن الغرض الرِّبح وهو أثبتُ وجوداً في الربا منه في البيع، فيكون أحق بالحل عندهم. انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: لأحمد الهاشمي (ص: ٢٣٩).

[٢] الجدول في إعراب القرآن الكريم: لمحمود صافي (٢٢/ ١٦١).

[٣] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ١٧٧)، معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي (٣/ ٦٣٥).

[٤] انظر: تفسير المراغي (٢٢/ ٥).

[٥] معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي (٣/ ٦٣٥).

ومقامكنّ أسمى، وهذه المنزلة لم تنالوها إلا بتقواكنّ لله ﷻ، وشرط عليهنّ بالتقوى بياناً أنّ فضيلتهنّ إنما تكون بالتقوى، لا باتصالهنّ بالنبي ﷺ، فأنتنّ بدون تقوى لا شيء يذكر، شأنكنّ شأن سائر النساء[1].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- عِظَمُ مكان زوجات النبي ﷺ، وفضلهنّ على النساء كافة، وتفردهنّ بذلك المكان بين نساء المسلمين، حيث إنّه لا خلاف بين العلماء في أنّ زوجات النبي ﷺ أفضل نساء هذه الأمة، فلن تتساوى أي امرأة مسلمة مع نساء النبي ﷺ مهما بلغت من الفضل والشرف في النسب والدين والعلم، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)**[2]، فقد حكم الله ﷻ بعدم مساواتهنّ مع نساء الأمة، وليس بالنسبة لنساء العالمين كما ذكر بعض المفسرين، وهذا ما يظهر لنا في قوله تعالى عن مريم ﷺ: **﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران: ٤٢] بالإضافة إلى رواية قتادة[3] في قوله تعالى: **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾** قال: يعني كأحدٍ من نساء هذه الأمة.[4]

٢- "بيّن سبحانه أنّ هذه الفضيلة لهنّ إنما تكون بملازمتهنّ للتقوى، لا لمجرد اتصالهنّ بالنبي ﷺ، وقد وقعت منهنّ ولله الحمد التقوى البيّنة، والإيمان الخالص، والمشي على طريقة رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته"[5]، وشرط التقوى الذي اشترطه الله ﷻ عليهنَّ للحصول هذا الفضل وهذه المنزلة، يتضح من قوله تعالى: **﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾**، وأنه بدونه لن يكون لهنّ فضل على سائر

---

[1] انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٦٦)، التفسير الوسيط: للواحدي (٣/ ٤٦٩).

[2] صحيح البخاري (٥/ ٢٩)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة ﵂، حديث رقم (٣٧٦٩)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٦)، كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﵂، حديث رقم (٢٤٣١).

[3] أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري الأكمه، كان تابعياً وعالماً كبيراً، وقيل: قتادة من أنسب الناس، وقد كان الناس يأتونه ويسألونه عن الأخبار والنسب والشعر، توفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط، وقيل ثماني عشرة. انظر: وفيات الأعيان: لابن خلكان (٤/٨٥).

[4] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٢٥٧)، تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (٩/٣١٣٠).

[5] فتح القدير: للشوكاني (٤/ ٣١٩).

النساء، بينما يرى أبو حيان[1] أنّ قوله تعالى: ﴿**إِنِ اتَّقَيْتُنَّ**﴾ بمعنى إن استقبلتنّ أحداً، حيث قال: "ويكون هذا المعنى أبلغ في مدحهنّ، إذ لم يعلق فضيلتهنّ على التقوى، ولا علق نهيهنّ عن الخضوع بها، إذ هنّ متقيات لله ﷻ في أنفسهنّ، والتعليق يقتضي ظاهره أنهنّ لسن متحلِّيات بالتقوى"[2]، ويرى الباحث أن تفضيلهنّ على نساء المسلمين مشروطٌ بالتقوى، وما قاله ابن حيان بأنّ تعليق فضل نساء النبي ﷺ على نساء المسلمين يقتضي ظاهره أنهنّ لسن متحلِّيات بالتقوى يتناقض مع ما رأيناه من تحلِّي زوجات النبي ﷺ بالتقوى واستحقاقهن لهذه المكانة، كما أنّ الوصول إلى هذه المنزلة يقتضي وقوع التقوى منهنّ، حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]، بالإضافة إلى أنّ بعضاً من زوجات الأنبياء السابقين لم يكن لهنّ فضل على غيرهنّ من النساء في قومهنّ لعدم وجود صفة التقوى فيهنّ، بل إنّ من آمن بالأنبياء السابقين من النساء كنّ أفضل من زوجات هؤلاء الأنبياء الذين لم يؤمنوا بأنبيائهم، ومن خلال ذلك يتبيّن أنّ التقوى شرط للوصول على هذه المكانة.

٣- زوجات النبي ﷺ استحققن هذا الثواب وهذه المكانة لقربهنّ من رسول الله ﷺ ، وكونهنّ من بيت النبوة، ومنزل الوحي، ولرؤيتهنّ من رسول الله ﷺ من إرشاد وتوجيه ما لا يراه غيرهنّ، وفي هذا ترغيب في الجلوس مع الصالحين فهم مظنّة الخير والرِّفعة، ونيل الأجر والثواب، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلُمّوا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟.....قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**)[3]، فقد استحقّ هذا الجليس الأجر والثواب برفقة هؤلاء الصالحين.

---

[1] هو أبو حيَّان محمد بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي، اتفق أهل عصره على إمامته، وهو من كبار العلماء بالتفسير واللغة والنحو...إلخ، ولد في غرناطة ثمَّ أقام بالقاهرة بعد أن تنقل بين البلاد، له مصنفات كثيرة، من أشهرها: البحر المحيط في التفسير، شرح التسهيل، التقريب، المبدع، كما أن له نظم كثير وموشحات، توفي بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي (٩/ ٢٧٦).

[2] البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٤٧٥).

[3] صحيح البخاري (٨/ ٨٦)، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، حديث رقم (٦٤٠٨)، صحيح مسلم (٤/٢٠٦٩)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، حديث رقم (٢٦٨٩).

٤- بيان فضل النبي وعظيم منزلته عند ربه، وعدم تسويته بأيٍّ من الخلق، فإن كنّ زوجات النبي ﷺ فُضِّلْنّ على سائر النساء لمرافقتهنّ لرسول الله ﷺ، فكيف بالنبي ﷺ نفسه؟

٥- اتخاذ زوجات النبي ﷺ قدوة لغيرهنّ من النساء في كل شيء ونموذجاً يحتذى به، وهذه خاصة بزوجات النبي ﷺ وتميزهن عن غيرهن من النساء، حيث إنَّ مطلق النساء لسن قدوةً، إلا ما ورد من فضائل لبعض النساء من غير زوجات النبي ﷺ بحيث يمكن اتخاذهنّ قدوة، كامرأة عمران ومريم عليها السلام وزوجة فرعون وغيرهنّ ممن يمكن اتخاذهم أسوة لنا، وإلا فهناك زوجات كثر للأنبياء عليهم السلام لكنهم ليسوا أسوة.[١]

المطلب الثالث: نهي زوجات النبي ﷺ عن الخضوع في القول

قال تعالى: ﴿...**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا**﴾ [الأحزاب:٣٢]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿تَخْضَعْنَ﴾**: خضَعَ خُضُوعًا فهو خاضع، فالخضوع يأتي بمعنى التواضع والذل والانقياد ومنه قوله تعالى: **﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾** [الشعراء: ٤]، وخضع الشخص لرئيسه أي انقاد وذلَّ، والخُضّع: اللواتي قد خضعن بالقول وملْن ما يجعل الرجال يطمعن فيها، ومخاضعة الرجل المرأة إذا خضع لها بكلامه وألانه لها بما يطمعها فيه.[٢]

٢- **﴿فَيَطْمَعَ﴾**: "الطاء والميم والعين أصل واحد صحيح يدل على رجاء في القلب قوي للشيء"[٣]، والطمع ضد اليأس، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **(تعلمون أن الطَّمع فقر، وأن اليأس غِنىً...)**[٤]، وامرأة مطماع: أي التي تُطمِع الآخرين ولا تُمكِّنهم من نفسها.[٥]

---

[١] انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١٢٠١٩).

[٢] انظر: لسان العرب: لابن منظور (٨/ ٧٢)، معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٦٥٧/١).

[٣] مقاييس اللغة: لابن فارس (٣/ ٤٢٥).

[٤] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٥٠).

[٥] انظر: لسان العرب: لابن منظور (٨/ ٢٤٠).

٣- ﴿مَرَضٌ﴾: بمعنى الفتور، فهو في القلب فتور عن الحق، وفي الأبدان فتور الأعضاء، وفي العين فتور النظر، وقيل: المرض أي الظلمة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي ظلمة، أو فتور عما أمر به ونهي عنه، وقيل: أي حب الزنا، وأصل المرض النقصان، يقال: بدن مريض أي: ناقص القوة، وقلب مريض أي: ناقص الدين.[١]

ثانياً: وجه المناسبة

بعد أن بيَّن الله ﷻ في الآيات السابقة فضل نساء النبي ﷺ على نساء العالمين، ناسب أن يذكر في هذه الآيات الواجبات المطلوب فعلها منهنَّ، حيث أمرهنَّ بعدم إلانة القول للرجال، والقرار في البيوت والنهي عن التبرج، وطالبهنَّ بمداومة الطاعة بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ فيما يأمر وينهى، حيث إنَّ فضلهنَّ إنما يكون بالتزامهنَّ بالأوامر واجتناب النواهي، وإلا فلا فضل لهنَّ على غيرهنَّ من النساء.

ثالثاً: المعنى العام

نهت الآيات نساء النبي ﷺ عن ترقيق الصوت وإلانة الكلام إذا استقبلن أحداً، وتحدثن مع الأجانب من الرجال، فإنّ هذا القول اللين يجد فيه من في قلبه مرض وهو المنافق ومن يميل إلى الفجور والتلذذ بالحديث مع النساء سبيلاً إلى الطمع في موافقتهنّ به، إنما المطلوب هو القول والحديث العفيف والصريح الواضح، البعيد عن التكلف والتصنع والخضوع، الذي يطمع مرضى القلوب في قائله.[٢]

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- الإسلام اهتم كثيراً بسلامة قلوب النساء وتجنيبهنّ حب الفاحشة وكل ما ينال من عفتهنّ، بل حرص على استئصال ومنع كل ما يوصل إلى ذلك، فحرص على إرشادهنّ إلى الوسائل التي تحول دون الوصول إلى ذلك، وكل هذه الأوامر والنواهي الخاصة بالنساء الحكمة منها صيانة كرامة المرأة والمحافظة على عفتها وعلى كل ما ينتقص منها، وبذلك رفع الإسلام من نظرة المجتمع الإسلامي إلى المرأة.

---

[١] انظر: تاج العروس: لمرتضى الزبيدي (١٩/ ٥٥).

[٢] انظر: تفسير المراغي (٢٢/ ٦)، أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٦٦).

٢- حرمة خضوع المرأة بالقول بترقيق صوتها وتحسينه وتليين خطابها وتنغيمه عند التكلم مع الرجل الأجنبي، فلا يجوز لها الاسترسال معه في الحديث، والواجب عليها الحديث بصوت طبيعي لا تكلف فيه، وعليها الاحتراز من كل ما يثير الفتنة عليها، لما يترتب على ذلك من مفاسد عظيمة، بحيث يجد المنافق في ذلك سبيلاً للطمع فيهنّ، يقول القرطبي في قوله تعالى: **﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾** "أمرهنّ الله ﷻ أن يكون قولهنّ جزلاً وكلامهن فصلاً، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه، مثل كلام المريبات والمومسات، فنهاهنّ عن مثل هذا"[١]، "وقد يكون الخضوع في القول في نفس الألفاظ ورخامتها، وإن لم يكن المعنى مريباً، والعرب تستعمل لفظة الخضوع بمعنى الميل في الغزل"[٢].

٣- فساد القلب هو الذي يدفع إلى الرذيلة، فلو لم تكن المرأة محبة للفاحشة وقلبها يهواها، لما حصل منها الإغواء بالخضوع في القول، وبهذا يتبين أنّ إشاعة الفاحشة يبدأ من جانب المرأة غالباً، فلو رأى الرجل منها العفاف والزَّهْوَ لما تجرأ على الاقتراب منها، حيث إنّ الخضوع بالقول يكون من جانبها في البداية، فيجب على المرأة أن تعمل على محاربة الفتن والفواحش وعدم إشاعتها.

٤- في خضوع النساء بالقول فتنة عظيمة، خصوصاً إن كانت المرأة تسعى لأجل الإيقاع بالرجال في وحل هذا المستنقع، وقد استُخدمن النساء الساقطات من قبل البعض في هذا الأمر كثيراً لنشر الأفكار المنحرفة، ونشر الفساد وتحقيق الأغراض الشخصية حتى يومنا هذا، والوقائع على ذلك موجودة، وهنّ من أعظم مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان، ومن أعظم الفتن على هذه الأُمَّة التي حذرنا الله ﷻ منها في أكثر من موضع، فقال تعالى: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ...ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾** [آل عمران: ١٤]، وحذرنا النبي ﷺ أيضاً من هذه الفتنة، فقد روى أسامة بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **(ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)**[٣].

---

[١] الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ١٧٧).

[٢] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٣٨٢).

[٣] صحيح البخاري (٧/ ٨)، كتاب النكاح، باب ما يتقي من شؤم المرأة، حديث رقم (٥٠٩٦)، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٨)، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، حديث رقم (٢٧٤١).

٥- الإسلام أرشد إلى كل ما من شأنه أن يقطع الوسائل والطرق للوصول إلى الحرام بل ومن الاقتراب منه، فكيف إن كان المخاطب ضعيف النفس، ينتظر الفرصة المواتية ليرتكب الجريمة؟ يقول الشعراوي في تفسير قوله تعالى: **﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بالقول فَيَطْمَعَ الذي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾** [الأحزاب: ٣٢] "أي: اقْطَعْنَ طريق الفاحشة من بدايته، ولا تقربن أسبابها، واتركْنَ الأمور المشتبهة فيها"[١]، ولو تتبعنا القران الكريم لوجدنا أنّ الله ﷻ حذرنا من اتباع خطوات الشيطان في أربعة مواضع[٢]، جاءت كلها بصيغة **﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾** وهذا النهي عن اتباع خطوات الشيطان جاء معللاً بأنّ هذه الخطوات من وسائل الشيطان وأنه يأمر الإنسان بفعل السوء والفحشاء والمنكر، ولا شك أن الكلام الرقيق مع الرجال والميوعة فيه من خطوات الشيطان التي يستدرج بها هذه المرأة إلى ما هو أكبر من ذلك وهو فعل الفاحشة.

٦- القول المنهي عنه هو القول اللين الذي فيه خضوع، لذا قال تعالى: **﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾** ولم يقل: {فلا تَلِنَّ بالقول}، وهذه هي العلة في النهي عن الخضوع بالقول بحيث تترتب عليه المفسدة بطمع من في قلبه مرض، بخلاف من تكلم كلامًا لينًا، ليس فيه خضوع، بل ربما صار فيه تَرَفُّع وقهر للخصم، فإنّ هذا لا يطمع فيه خصمه، ولهذا مدح الله ﷻ رسوله ﷺ باللين، فقال: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾** [آل عمران: ١٥٩].[٣]

٧- هذه الآيات حذرت زوجات النبي ﷺ من الخضوع في القول الذي يطمع مرضى القلوب ويثير الشهوات ويحرك الغرائز، مع أنهنّ زوجات النبي ﷺ وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وهنّ أهل الطهارة والعفاف، واللاتي لا يطمع بهنّ أحد، وقد كان هذا التحذير لهنّ في عهد النبي ﷺ، لكنّ الله ﷻ يعلم أنّ القلوب المريضة موجودة في كل بيئة، وفي كل زمان، وتجاه كل امرأة، ولو كانت معروفة بطهرها وتقواها وعفافها، وأنه لا طهارة من الرجس إلا بالامتناع عن الأسباب التي تؤدي إلى ذلك، فكيف بهذا المجتمع الذي نعيش اليوم فيه، وفي عصرنا المريض الهابط، الذي تنتشر فيه الفتن وتثور فيه الشهوات، مع ما نراه من ضعف الإيمان، وترك التمسك بالدين، فنرى النساء لا يبالين بذلك مطلقاً، بل لا يلتفتن إلى ما هو أسوأ من ذلك، فإن كان الله ﷻ حذر

---

[١] تفسير الشعراوي (١٩/ ١٢٠١٩).

[٢] وهذه المواضع ذكرت في السور التالية: [البقرة:١٦٨] [البقرة:٢٠٨] [الأنعام:١٤٢] [النور:٢١].

[٣] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي [ص:٦٦٤].

نساء النبي ﷺ وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن من الخضوع في القول وهنّ أطهر النساء، فكيف بنساء اليوم المفتونات، وهم دونهن في كل شيء؟ فهذا النهي في حقهن أولى.[١]

٨- الإسلام أرشد النساء إلى دقائق الأخلاق التي لا ينتبه الكثير لها، فتغفل عنها وعمّا يترتب عليها من آثار، وتظن ألاَّ قيمة من فعلها أو تركها، ولأنها ذرائع خفية نادرة تفضي إلى ما لا يليق بحرمتهنّ في نفوس بعض ممن اشتملت عليه الأمة.[٢]

٩- من طبيعة النساء اللين في الخطاب، وقد يكون لبعضهنّ من اللطافة والرقة في الكلام ما إذا انضم إلى لينها الجِبِلّي قربت هيئته من هيئة التدلُّل، فإذا ظهر ذلك على بعض النساء ظنّ بعض من يحدثها من الرجال أنها تتحبب إليه، فربّما اجترأت نفسه على الطمع فيها، فعلى المرأة الحذر من ذلك[٣]، فإذا كان صوت المرأة مائلاً بطبيعته للّين والخضوع دون تعمّد منها في ذلك، فعليها ألاّ تتحدث إلا لضرورةٍ مُلِحَّة، وبأقلِّ الألفاظ، يقول الشنقيطي: "أما المرأة الشابّة الرخيمة[٤] الصوت، فلا شك أن صوتها من مفاتن النساء ولا يجوز لها رفعه بحال، ومن المعلوم أنّ الصوت الرّخيم من محاسن النساء ومفاتنها"[٥].

١٠- نهي نساء النبي ﷺ عن الخضوع في القول "لا يعني أنّ أزواج النبي ﷺ على حال من السوء تقتضي المنع والكفّ، وإنّما المراد حملهنّ على أسمى الفضائل وملازمتها، فلما منعهنّ من الفاحشة وهي الفعل القبيح، منعهنّ من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال على وجه فيه ريبة وإطماع، وإساءة فهم من في قلبه ميل إلى الفجور والفسوق والنفاق"[٦].

١١- نهي المرأة عن الخضوع بالقول لا يعني أنّ صوت المرأة عورة كما يعتقد البعض، أو أنّ ذلك يعني حرمة الحديث أمام الرجال أو مخاطبتهم، والخضوع بالقول أخص من مطلق الكلام، فلم يقل الله ﷻ: فلا تكلمن الرجال، بل قال: فلا تخضعن بالقول، وإلا فكيف يحق للمرأة الشهادة في المحاكم والبيع والشراء وغير ذلك من المعاملات؟ والمرأة في فعلها ذلك لابد وأن يظهر

---

[١] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٥٩).

[٢] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٨).

[٣] انظر: المرجع السابق (٢٢/ ٨).

[٤] الرَّخِيم: الحَسَنُ الْكَلَامِ، والرَّخامةُ: لِينٌ فِي المَنْطِق حُسْنٌ فِي النِّسَاءِ، وَكَلَامٌ رَخِيمٌ أَي رَقِيقٌ. انظر: لسان العرب: لابن منظور (١٢/ ٢٣٤).

[٥] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ١٠).

[٦] التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٩).

صوتها أمام الرجال الأجانب، بالإضافة إلى أنّ النساء كنّ يأتين إلى النبي ﷺ ويشتكين إليه ويسألنه عن أمور الدِّين وما يحصل معهنّ، فقد كنّ النساء يدخلن عند أم المؤمنين عائشة ﵂ فيسألن النبي ﷺ أو يسأله في الطريق، وقد قالت عائشة ﵂: **(نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)**[١]، بل إنّ الصحابة ﵃ قاموا برواية أحاديث عن بعض الصحابيات، والناظر في السنة النبوية يجد أمثلةً ووقائعَ عديدةٍ على حصول ذلك، ولم يَرِدْ أن أنكر النبي ﷺ عليهم حديثهم مع الرجال، وقد حصل هذا الأمر مع الصحابة والخلفاء الراشدين وغيرهم من الولاة دون إنكار لمخاطبة النساء للرجال الأجانب بغير خضوع، " قال الألوسي[٢]: والمذكور في معتبرات كتب الشافعية وإليه أميل أنّ صوتهنّ ليس بعورة، فلا يحرم سماعه إلا إن خشي منه فتنة"[٣]، إذاً كلام المرأة ليس بعورة أو حرام، لكن القول الليّن الذي يطمع الآخرين ويثير الفتنة هو المُحَرَّم.

١٢- لا يعني نهي المرأة عن الخضوع بالقول أن يستمع الرجل لها لو حصل منها ذلك، فإن فعل فإنه آثم، فلا يجوز للرجل أن يستمتع بكلامها، وإن خاف على نفسه فتنة حَرُم عليه استماعه، لأنّ هذا الفعل يفتح عليه مداخل الشيطان وباب الفاحشة، فقد روى أبو هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: **(كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه)**[٤].

١٣- من يخالف هذا الحكم فيخضع بالقول ويرقّقُ الحديث عند مخاطبة الرجال الأجانب آثم، لأنّه بذلك يكون قد خالف الحكم الذي نهى الله ﷻ عنه.

١٤- إذا كان الله ﷻ قد حرَّم على المرأة الخضوع بالقول في الحديث، ولو كان هذا الأمر الذي تخاطبه فيه ضرورياً، فما بالنا بما هو أعظم من ذلك، والذي نراه اليوم قد انتشر وشاع، وهو

---

[١] صحيح مسلم (١/ ٢٦١)، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، حديث رقم (٣٣٢).

[٢] أبو الثناء شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، مفسر، ومحدث، وأديب، من المجددين، وقد كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ ثم عزل، فانقطع للعلم، وله شعر لا بأس به، من أشهر مؤلفاته: روح المعاني في التفسير، وغرائب الاغتراب، ومقامات، توفي ببغداد سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٤م. انظر: الأعلام: للزركلي (٧/ ١٧٦).

[٣] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (٩/ ٣٤٠).

[٤] صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٧)، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، حديث رقم (٢٦٥٧).

الغناء من النساء وميوعتهنَّ، وما ينتج عن غنائها من الفتنة وإثارة الغرائز، إذاً الغناء من باب أولى حرام، حيث إنَّ الفتنة التي تترتب عليه أشدّ من القول الذي فيه خضوع، وهذا يخالف هذه الأوامر والآداب التي أدب الله ﷻ بها زوجات النبي ﷺ ونساء المؤمنين ﷺ بالنهي عن الخضوع بالقول.

١٥- كما أنَّ هناك قلوباً تثبت أمام المعاصي فلا تقع في الحرام، أيضاً هناك قلوباً مريضة، وتمرض هذه القلوب حين تتمكن الشهوة الحرام وحب الفاحشة من قلبه، وفي هذا خطر على الإنسان بحيث إذا تشرّب هذا القلب المريض حب الفاحشة حينها لا يبالي بتركها، فيكون هواه وقلبه موافقاً لها ومائلاً إليها.

١٦- "يدل قوله تعالى: **﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾** مع أمره بحفظ الفرج وثنائه على الحافظين لفروجهم، والحافظات، ونهيه عن قربان الزنا، أنّه ينبغي للعبد، إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه يهش[١] لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فَلْيَعْرِفْ أن ذلك مرض، فَلْيَجْتَهِدْ في إضعاف هذا المرض وحسم الخواطر الرَدِيَّة، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله ﷻ العصمة والتوفيق، وأنَّ ذلك من حفظ الفرج المأمور به".[٢]

١٧- الذي في قلبه مرض، "هو لضعف إيمانه في قلبه؛ إمّا شاك في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله ﷻ، وإما متهاون بإتيان الفواحش"[٣]، وكلا هذين الأمرين يؤديان بصاحبهما إلى الهلاك والوقوع في نار جهنم، "والمرض: حقيقته اختلال نظام المزاج البدني من ضعف القوة، وهو هنا مستعار لاختلال الوازع الديني مثل المنافقين ومن كان في أول الإيمان من الأعراب ممن لم تُرَسَّخ فيه أخلاق الإسلام، وكذلك من تَخَلَّقُوا بسوء الظن فيرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، وقضية إفك المنافقين على عائشة ﷺ شاهد لذلك"[٤].

١٨- وصف الله ﷻ لهذه الشهوة المحرمة بالمرض، دليل على أنّه يمكن علاج ذلك والتعافي منه، فالإنسان حين يمرض ويأخذ بأسباب العلاج فإنه يشفى بإذن الله ﷻ، كذلك صاحب القلب

---

[١] أي ينشرح صدره فرحا وسرورا به، ويرتاح له ويُسر. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٣/ ٢٣٥١).

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٤).

[٣] جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٢٥٨)

[٤] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٩).

المريض بحب الشهوة المحرمة، إن حرص على العلاج وأخذ بأسبابه فإنّ الله ﷻ يعصمه من الزَّلَلْ، وأول ما على صاحب القلب المريض فعله أن يسأل ربه أن يحفظه من مرض الشهوة وحب الفاحشة، وأن يكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، ويجب عليه أيضاً الابتعاد وعدم التعرض لهذه الفتن حتى لا يقع فيما نهى الله ﷻ عنه.

١٩- التجاوب يكون سريعاً للفتنة إن كانت متمكنة من القلب، بحيث لا يستطيع الصمود أمام هذه الفتن، خصوصاً إن وجد من الدواعي والأسباب ما ييسر عليه ذلك، فهو ضعيف الإيمان لا يخاف الله ﷻ، مريض القلب، فكيف إن وجد مع ذلك ما يغريه من المرأة، فإنه يكون أدعى لأن يخضع لهذه الفتنة، فبمجرد الخضوع بالقول من النساء يخضع هذا الرجل أمامها، لأنه يميل إلى الفجور وحبّ المعصية، وقلبه يهوى الفتن بل لا يستطيع مقاومتها أو مواجهتها، يقول السعدي[١]: "ويطمع **﴿الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾** أي: مرض شهوة الزنا، فإنّه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأنّ قلبه غير صحيح، فإنّ القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم الله ﷻ، فإنّ ذلك لا تكاد تُمِيلُه ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض، بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه"[٢].

٢٠- طلب الله ﷻ من زوجات النبي ﷺ ونساء المؤمنين رضي الله عنهن أن يكون خطابهنّ مع الرجال الأجانب غير الأزواج بحزم وبالمعروف، "والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن"[٣]، ويقصد بالقول المعروف "الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس"[٤]، "ويشمل القول المعروف هيئة الكلام وهي التي سيق لها المقام، ويشمل مدلولاته أن لا ينتهرن من يكلمهن أو يسمعنه قولاً بذيئاً"[٥]، كما أنّ القول المعروف يشمل الموضوع الذي

---

[١] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي، مفسر وعالم من علماء الحنابلة، من أهل نجد، وهو أول من أنشأ مكتبة في القصيم في السعودية، من أشهر كتبه: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، القواعد والأصول الجامعة، توفي سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م. انظر: الأعلام: للزركلي (٣/ ٣٤٠).

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٣).

[٣] فتح البيان في مقاصد القرآن: للقنوجي (١١/ ٨١).

[٤] الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ١٧٨).

[٥] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٩).

يتم التحدث فيه، " فإنّ موضوع الحديث قد يُطْمِع مثل لهجة الحديث"[1]، كما أنّ قولهن مع الأجانب يجب أن يكون على قدر الحاجة، بمعنى عدم الزيادة على ما يُفهم المخاطَب، وقولاً يوجبه الدين عند الحاجة إليه ببيان، والاقتصار على الجواب دون استطراد في الحديث.

٢١- كلام المرأة يجب أن يكون وسطاً بين اللين والغلظة، بحيث لا يكون ليّناً يُطْمِع أهل الفجور في قائله، ولا يكون غليظاً ينفر الآخرين من صاحبه، فيكون وسطاً بين ذلك، فبعدما نهى الله ﷻ عن الخضوع في القول أتى بقوله تعالى: **﴿وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾** ليدفع توهم من يظن أنّ الله ﷻ يريد بذلك الغلظة في القول، وأيضاً قوله تعالى: **﴿وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾** "بمنزلة الاحتراس لئلا يحسبن أنّ الله ﷻ كلفهنّ بخفض أصواتهنّ كَحَدِيثِ السِّرَارِ[2]"[3].

٢٢- الإسلام يحثنا على التزام الأدب عند الحديث مع الناس، بحيث يكون حديثنا معهم غير غليظاً، كما أنه يجب علينا انتقاء الألفاظ التي نخاطبهم بها، بأن تكون بعيدة عن كل ما يخدش الحياء أو يسيء إليهم، بل يكون بأدب، فإن المؤمن ليس بالفاحش ولا البذيء، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أنّه قال: **(إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً)**[4].

المطلب الرابع: أوامر ونواهي لأمهات المؤمنين ﷺ

قال تعالى: **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾** [الأحزاب: ٣٣]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿وَقَرْنَ﴾:** الواو والقاف والراء أصل يدل على ثقل في الشيء، منه الوقر أي: الثقل في الأذن، والوقر بمعنى الحمل، يقال: نخلة موقرة وموقر، أي: ذات حمل كثير، ومنه الوقار أي:

---

[1] في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٥٩).

[2] المقصود بحديث السِّرَار هو كتمان الحديث وإخفاؤه عن الآخرين، فأسرَّ إليه بحديثٍ: حدّثه به سِرًّا، وأطلع بعضهم بعضاً على أنه سِرٌّ ما، وتسارَّ القومُ: تناجَوْا، ومنه قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾** [التحريم: ٣]. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٢/ ١٠٥٦).

[3] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٩).

[4] صحيح البخاري (٥/ ٢٨) كتاب المناقب، باب صفة النبي، حديث رقم (٣٥٥٩)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ حديث رقم (٢٣٢١).

الحلم والرزانة، ورجل ذو قرة أي: وقور، والتوقير بمعنى التعظيم والتبجيل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، أي ما لكم لا تخافون لله ﷻ عظمة، أما قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال بعض العلماء: هو من الوقار، وقال بعضهم: إنما هو من الجلوس.[١]

٢- ﴿تَبَرَّجْنَ﴾: التبرُّج بمعنى التَزَيُّن، يقال: تبرجت السماء أي تزينَّت بالكواكب، وتبرَّجت المرأة: تبهرجت، أي: أظهرت زينتها ومحاسنها لغير زوجها ما يستدعى به شهوة الرجل، وقد قيل: إنّ النساء كن يتكسرن في مشيهنّ ويتبخترن، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قيل: أنّ ذلك كان في زمن ولد فيه إبراهيم النبي ﷺ، كانت المرأة إذ ذاك تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط من الجانبين، ويقال: كانت تلبس الثياب تبلغ المال لا تواري جسدها، فأمرن ألا يفعلن ذلك".[٢]

٣- ﴿الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾: الجهل هو عدم العلم بالشيء، فهو نقيض العلم، وفي اصطلاح أهل الكلام هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، والجاهلية: هو زمان الفترة بين رسولين، وما كان عليه العرب قبل الإسلام من الجهالة والضلالة والجهل بشرائع الدين وأحكامه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.[٣]

ثانياً: وجوه البلاغة

١- ﴿وَقَرْنَ﴾: فيه حذف إحدى الراءين تخفيفاً، وحقّه أن يقال (اقررن) أي اثبتن...فلمّا بني الأمر على السكون لاتصاله بنون النسوة التقى ساكنان هما الراء المضعّفة، فحذفت الأولى تخفيفا ونقلت حركتها الأصلية وهي الفتحة إلى القاف ثمّ حذفت همزة الوصل لتحرّك القاف فأصبح قرن وزنه فلن.[٤]

٢- ﴿تَبَرَّجْنَ﴾: حذفت منه إحدى التاءين تخفيفاً، أصله تتبرجن، وزنه تفعَّلن.[٥]

---

[١] انظر: مقاييس اللغة: لابن فارس (٦/ ١٣٢)، لسان العرب: لابن منظور (٥/ ٢٩١).

[٢] انظر: تهذيب اللغة: للأزهري (١١/ ٤٠)، معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (١٨٢/١).

[٣] انظر: المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون (١/ ١٤٤).

[٤] انظر: الجدول في إعراب القرآن: لمحمود صافي (٢٢/ ١٦٠).

[٥] المرجع السابق (٢٢/ ١٦١).

٣- ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ عطف عام على خاص بعد قوله: ﴿أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ﴾ فإن الطاعة تشمل جميع الأوامر والنواهي.[١]

ثالثاً: وجوه القراءات

﴿وَقَرْنَ﴾: قرأ نافع وعاصم: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بفتح القاف، وقرأ الباقون ﴿وَقِرْنَ﴾ بكسر القاف، قال الأزهري: من قرأ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بفتح القاف فهو من قَرَرْت بالمكان أَقَرُّ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿وَقِرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بالكسر، ففيه وجهان: أحدهما: أنّه من الوَقَار، يقال: وقَر يقرُ، والأمر: قِر، وللنساء قِرْنَ، والوجه الثاني: أن يكون قوله ﴿وَقِرْنَ﴾ بكسر القاف من قولك: قَرَرتُ بالمكان أقِر، حذف إحدى الراءين على أنه في الأصل (واقرِرْن) بكسر الراء الأولى، فالكسر من وجهين: من الوَقَار، أو من القَرَار، والفتح من القرار لا غير[٢]، والقَرَن: الجمع القوي بين شيئين، والقرار من الاستقرار، فتفيد ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ معنى مهم وهو أنّ وجودكن في بيوتكنّ يؤدي إلى قوة الترابط بينكنّ وبين النبي ﷺ، وهذا ينطبق على سائر نساء المؤمنين، فوجود المرأة في بيتها لتؤدي رسالتها الأساسية وهذا يزيد من العلاقة بينها وبين زوجها.

رابعاً: وجه المناسبة[٣]

خامساً: المعنى العام

أمرت الآيات زوجات النبي ﷺ بالإقامة في البيوت وعدم الخروج لغير ضرورة أو حاجة، فهذا أسلم وأحفظ لهنّ كي لا يقعن فريسة لأصحاب الشهوات، وهذا هو حال المؤمنة بالله ﷻ، وهو أن تلتزم بيتها فلا تخرج إلا بإذن زوجها، ونهاهنّ عن إبداء زينتهنّ ومحاسنهنّ للرجال مما يجب ستره عنهم، كما كان النساء يفعلن ذلك في الجاهلية قبل الإسلام، حيث كانت المرأة تخرج متبخترةً مظهرةً لمحاسنها ما يفتن الرجال بها فنهى الله ﷻ عن ذلك، وبعد أن نهاهنّ عن الشر أمرهنّ بالخير، حيث أمرهنّ بإقامة أهم أركان الدين وأعظم وأجل العبادات وهي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتأديتهما على الوجه الذي أمر الله ﷻ، ففيهما طهارة للنفس والمال، ثم أعقب ذلك بالأمر بالطاعة عمومًا، ويدخل في ذلك فعل الأوامر واجتناب النواهي.[٤]

---

[١] التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٦)

[٢] انظر: معاني القراءات: للأزهري (٢/ ٢٨٢).

[٣] تم ذكره في المطلب السابق. انظر (ص٤٠).

[٤] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٣)، تفسير المراغي (٢٢/ ٦)، صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٨١).

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- وجوب لزوم المرأة بيتها، وليس معنى هذا الأمر "ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقاً، إنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهنّ، وهو المقر وما عداه استثناء طارئاً لا يثقلن فيه ولا يستقررن، إنما هي الحاجة تقضى، وبقدرها"[١]، بل إنه ورد أنّ نساء النبي ﷺ كنّ يخرجن في حياة النبي ﷺ وبعده، وقد روى مسلم وغيره عن أنس ﷺ قال: **(كان النبيّ ﷺ يغزو بأمّ سليم ونسوة من الأنصار معه فيسقين الماء ويداوين الجرحى)**[٢]، وقد قال النبي ﷺ لأم المؤمنين سودة ﷺ: **(قَدْ أَذِنَ اللَّهُ ﷻ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَوَائِجِكُنَّ)**[٣]، وقد روى عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **(إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها)**[٤]، "وقد مدح الله ﷻ نساء الجنة بذلك فقال: **﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾** [الرحمن: ٧٢]"[٥]، وعن ابن مسعود ﷺ أنّه قال: **(ما تعبدت الله امرأة بمثل تقوى الله وجلوسها في بيتها)**[٦].

٢- منع الله ﷻ المرأة من الخروج من بيتها لغير حاجة، أمّا خروجها لحاجة كالذهاب للمسجد فجائز، حيث قال النبي ﷺ: **(لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)**[٧]، وقد أراد الله ﷻ بمنعها من الخروج لغير حاجة أن يبعدها عن أماكن الرجال، وأن يحفظها من كل سوء، ومن طمع من يحاول النيل من عفتها أو طهارتها، بحيث يكون البيت هو الأصل في حياتهنّ، فلزوم المرأة بيتها أحفظ لها وللمجتمع من الشرور والمفاسد التي تنتج عن ذلك، لكننا نرى اليوم خلاف ذلك، وذلك بكثرة خروج النساء من بيوتهنّ لحاجة ولغير حاجة، بل نراهم يزاحمن الرجال في كل

---

[١] في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٥٩).

[٢] صحيح مسلم (٣/ ١٤٤٣)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال، حديث رقم (١٨١٠).

[٣] صحيح البخاري (٧/ ٣٨)، كتاب النكاح، باب خروج النساء لحوائجهن، حديث رقم (٥٢٣٧).

[٤] صحيح ابن خزيمة (٣/ ٩٣)، كتاب الإمامة في الصلاة وما فيها من السنن، باب اختيار صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد، حديث رقم (١٦٨٥). قال الألباني: إسناده صحيح.

[٥] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لابن عجيبة الفاسي (٤/ ٤٣٠).

[٦] تفسير القرآن: لأبي المظفر السمعاني (٤/ ٢٧٩).

[٧] صحيح البخاري (٢/ ٦)، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟ حديث رقم (٩٠٠)، صحيح مسلم (١/ ٣٢٧)، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المسجد إذا لم يترتب عليه فتنة، حديث رقم (٤٤٢).

شيء، وقد غفلت النساء عن هذه المعاني كثيراً، لذا وضع الشرع شروطاً لخروج المرأة من بيتها، منها:[1]

أ – أن تكون المرأة غير مخشية الفتنة، أما التي يُخشى الافتتان بها فلا تخرج أصلاً.

ب – أن تكون الطريق مأمونة من توقع المفسدة وإلا حرم خروجها.

ج – أن يكون خروجها في زمن أمن الرجال ولا يفضي إلى اختلاطها بهم.

د – أن يكون خروجها على تستر تام.

٣– حين طلب الله ﷻ من المرأة لزوم بيتها فإنه يعلم أنّ لهنّ مهمة عظيمة لا يساويها شيء، وهي رعاية شئون البيت وتوفير الراحة والطمأنينة داخل المنزل، بالإضافة إلى رعاية الأبناء وتربيتهم تربية سليمة، والعطف والحنان عليهم، والذي لا نجده إلا إن وجدت الأم، وأي مهمة أعظم من ذلك، فكما أن للرجال أعمال لا تحسنها النساء، فإن للمرأة أعمال داخل منزلها لا يحسنها الرجال، ولا تقلُّ أهمية عن أعمال الرجال، بل إنَّها تفوقها في بعض الأحيان،[2] يقول النّبيّ ﷺ: **(والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها)**[3]، والبيت هو المكان الذي تجد فيه المرأة مكانتها وأهميتها، بل إنها بفطرتها تميل إلى التزام بيتها والقيام بواجباتها.[4]

٤– بعدما تضمنت الآية السابقة النهي عن الخضوع بالقول ثمّ الأمر بالقول المعروف، أتبع هذا القول بالفعل، وهو الجلوس في البيوت وعدم الخروج لغير حاجة، أي أنّه لابد من أن يوافق القول الفعل ولا يخالفه، وإلا فإنه سينطبق علينا قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف: ٢–٣].

٥– تعلق الرافضة بقوله ﷻ **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾**، للنيل من أم المؤمنين عائشة ﵂، فهم يرون أنّ عائشة ﵂ خالفت قوله ﷻ وخرجت تقود الجيوش وتباشر الحروب، ونردُّ عليهم بأنَّ الأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، فهي إنما خرجت للصلح بين المسلمين وجمع كلمتهم، وقد كان هذا أيضاً رأي من حولها من الصحابة، فقد شَكَوُا الناس إليها

---

[1] انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٩/ ١٠٨).

[2] انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٢٠٦).

[3] صحيح البخاري (٣/ ١٢٠)، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه، حديث رقم (٢٤٠٩).

[4] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٥٩).

ما حصل من الفتنة، وطمعوا في استحياء الناس منها، لذا امتثلت قوله تعالى: **﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾** [النساء: ١١٤]، والأمر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى، حر أو عبد.[١]

٦- حرمة التبرج وإظهار الزينة والمفاتن أمام الرجال الأجانب، ويشمل ذلك كل أشكال التبرج المعرفة عندنا، سواء بخروج المرأة غير متسترة، بظهور بعض مفاتنها وجسدها مما تطالب بعدم إظهاره، أو بمشيتها بتبختر وتكسر أمام الرجال، وكل من يخالف ذلك فهو آثم، وقد توعده الله ﷻ بأشد العقوبة، لأنّه بفعله هذا يكون قد عصى الله ﷻ ورسوله ﷺ، فقد روى أبو هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ[٢] الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)**[٣]، فقد وصف الله ﷻ النساء التي تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه، ويمشين متبخترات بتكسر وتغنج، ومائلات في مشيهنّ مميلات قلوب الرجال إليهنّ بفعلهنّ بأنّهم من أهل النار، لِعِظَم هذا الجرم المرتكب.

٧- لا يعني قوله تعالى: **﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾**، أنّ الله ﷻ ينهى عن الزينة أو يكره النظافة، بل إنّ الإسلام دعا إلى التزين بشكل عام حين قال: **﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾** [الأعراف: ٣١] ، لكن هذا يعني أن تتزين المرأة بأفضل ما عندها لكن لزوجها لا لغيره بكل ما أباحه الله ﷻ، بل إنّ الإسلام رَخّص للمرأة من الزينة ما يفوق بكثير مما رخص للرجال، لأنّ هذا الشيء يوافق فطرتها وأنوثتها، أما أن تظل المرأة عند زوجها على حالتها دون تزينٍ فإن خرجت أظهرت كل مفاتنها فإنّ هذا ما نهى الإسلام عنه، فالواجب عليها إذا خرجت في الشارع لضرورةٍ أن يكون ذلك بأدبٍ واحتشامٍ وبعدٍ عن التبرج.[٤]

---

[١] انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٦٩).

[٢] أي يعظمن رؤوسهن ويكبرهن بلف عمامة أو عصبة أو نحوها حتى تشبه أسنمة الإبل، والسنام هو أعلى ما في ظهر الجمل. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني (١٠/ ٣٧٥).

[٣] صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٠)، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، حديث رقم (٢١٢٨).

[٤] انظر: التفسير الواضح: لحجازي (٣/ ٩٤).

٨- اختلف المفسرون والعلماء في بيان المراد بالجاهلية الأولى، فقال البعض: ما من جاهلية أولى إلا ولها آخرة، ، فعن ابن عباس ﷺ إن عمر بن الخطاب ﷺ سأله فقال: **(أرأيت قول الله ﷻ لأزواج النبي ﷺ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى هل كانت الجاهلية غير واحدة؟ فقال ابن عباس ﷺ: ما سمعت بأولى إلا ولها آخرة)** ومن وجه آخر وعنه أيضاً في قوله: **(ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال: تكون جاهلية أخرى)**[١]، "ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام، فكأنّ المعنى: ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر"[٢]، ويرى آخرون أنّ "جعلها أولى بالإضافة إلى حالة الإسلام، وليس المعنى أنّ ثم جاهلية أخرى"[٣]، "والجاهلية ليست فترة معينة من الزمان، إنما هي حالة اجتماعية معينة، ذات تصورات معينة للحياة، ويمكن أن توجد هذه الحالة، وأن يوجد هذا التصور في أي زمان وفي أي مكان، فيكون دليلاً على الجاهلية حيث كان"[٤]، ومما يؤكّد هذا المعنى وهو أن المراد بالجاهلية الآخرة ما يكون من أخلاق أهل الجاهلية، ما رواه البخاري عن المعرور بن سويد[٥] قال: **(لَقِيتُ أَبَا ذَرٍ بِالرَّبَذَةِ[٦]، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فقال: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فقال لي النبي ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ.....)**[٧]، فقد وصف النبي ﷺ أبا ذر ﷺ بأنّ فيه خلقاً وخصلةً من خصال الجاهلية وهي التفاخر بالنسب والآباء، وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **(ثلاث من عمل أهل الجاهلية لا يتركهن أهل الإسلام: النياحة، والاستسقاء**

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣١).

[٢] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٣٧).

[٣] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٣٨٤)

[٤] في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٦١).

[٥] هو المَعْرُوْرُ بنُ سُوَيْدٍ أَبُو أُمَيَّةَ الأَسَدِيُّ الكُوْفِيُّ، حَدَّثَ عن: ابن مسعود، وأبي ذر، وجماعة، وعنه: واصل الأحدب، وسالم بن أبي الجعد، وسليمان الأعمش، وغيرهم، وَثَّقَهُ: يحيى بن معين، قال الأعمش: رأيته وهو ابن مائة وعشرين سنة، قلت: توفي سنة بضع وثمانين للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي (٥/ ٩٦).

[٦] من القرى القديمة في الجاهلية، وكانت من أحسن منزل في طريق مكّة، فإن فيه منزل أعراب وماء كثير، وهي من قرى المدينة على ثلاثة أيّام على طريق الحجاز، سنة (٣١٩هـ) خربت الربذة باتصال الحروب بين أهلها وبين ضرية، ثمّ استأمن أهل ضرية إلى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل عن الربذة أهلها فخربت، وفيه منزل أبي ذر ﷺ وقبره وفيها مسجد جامع، وقد جعلها عمر ﷺ حمى لإبل الصدقة. انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي (٣/ ٢٤) الروض المعطار في خبر الأقطار: لأبو عبد الله الحِميري (ص٢٦٦).

[٧] صحيح البخاري (١/ ١٥)، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، حديث رقم(٣٠).

بالأنواء[1] **وكذا قلت لسعيد: وما هو؟ قال: دعوى الجاهلية: يا آل فلان، يا آل فلان، يا آل فلان)**[2]، ومن ذلك يتضح لنا أنّ الجاهلية الأولى يراد بها ما كان من أخلاق موجودة عند الناس قبل بعثة النبي ﷺ، وكل ما خالف الشرع هو من الجاهلية.

٩- لقد كانت المرأة في الجاهلية تتبرّج، لكن للأسف ما نراه اليوم من تبرُّج وسُفور في أغلب المجتمعات الإسلامية ودعوة المرأة إلى التحرر يفوق بل هو أقبح بكثير مما كان عليه أهل الجاهلية، فالصور التي تروى عن تبرج الجاهلية الأولى تبدو ساذجة أو محتشمة حين تقاس إلى تبرج أيامنا هذه في جاهليتنا الحاضرة، يقول مقاتل بن حيان[3]عن تبرج الجاهلية: (والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيداري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج، وقال ابن كثير: كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مُسَفِّحَةً بصدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت عُنُقَهَا وَذَوَائِبَ[4] شَعْرِهَا وَأَقْرِطَةَ[5] آذَانِهَا)[6].

١٠- حين بيّن الله ﷻ أنّ التبرُّج من سمات أهل الجاهلية؛ فلأن المرأة كانت عندهم كالمتاع لا قيمة لها، فأراد الإسلام بنهي المرأة عن التبرج أن يعيد لها كرامتها المسلوبة، وما كان من الممكن أن تعود لها كرامتها، لولا وجود الشريعة الإسلامية التي منحتها مكانتها التي تليق بها، ووصف الله ﷻ للتبرج بأنه من أفعال أهل الجاهلية وسمة من سماتهم، يأتي هذا في سياق الذمِّ والتنفير منه، والإسلام أتى بكل ما من شأنه أن يقضي على مظاهر الفساد ورذائل الجاهلية

---

[1] هي ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط في كل ثلاثة عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، والنوء ليس هو نفس الكوكب، وإنما سمي بذلك لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع، أي: نهض وطلع، وذالك الطلوع: النوء، وبعضهم يجعل النوء السقوط، وكان أهل الجاهلية إذا كان مطر ينسبه أكثرهم إلى الساقط الغارب منهما، وبعضهم للطالع منهما. انظر: انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي (٢/ ٦١).

[2] مسند أحمد (١٢/ ٥١٩)، حديث رقم (٧٥٦٠)، قال الألباني: اسناده صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة: حديث رقم (١٨٠١).

[3] مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام البلخي الخراز، روى عن سعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وجماعة، وعنه علقمة بن مرثد وابن المبارك وآخرون، وقد كان ناسكاً فاضلاً، وثّقَه يحيى بن معين وأبو داود، والنسائي والدارقطني: مات قبل الخمسين ومائة تقريباً. انظر: تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني (١٠/ ٢٧٧).

[4] الذوائب: أعلى كل شيء، أو قمته وناصيته، وذؤابة الفتاة: ضفيرة منسدلة من وسط رأسها إلى ظهرها. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (١/ ٧٩٩).

[5] القُرْط: نوع من الحلي يعلق في شحمة الأذن. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير (٤١/٤).

[6] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٦٠).

ونقائصها، التي كانت سائدة عندهم قبل بعثة النبي ﷺ، وأقام مقام ذلك الآداب والفضائل، ويدل ذلك على أنّ ما يقوم به البعض من دعوة المرأة إلى التحرر من هذه الآداب التي دعا إليها الإسلام بدعوى الديمقراطية والتمدُّن ليس تحرراً، بل هو تخلف ورجوع إلى عادات الجاهلية التي نهى الإسلام عنها، وغرض هؤلاء بخروج المرأة متبرجة إنما هو إشاعة الفاحشة في المجتمعات الإسلامية، والنهي عن التبرج إنما لدفع الشر وأسبابه.

١١- أهل الجاهلية استحقوا الذم لما كان موجوداً عندهم من التبرج وما يؤديه إلى إظهار الفواحش والفتنة، فمن تشبه بهم استحق الذمّ مثلهم.

١٢- حين أمر الله ﷻ النساء بالبقاء في البيوت وعدم الخروج منها لغير حاجة، أرشدهنّ إلى كيفية قضاء هذا الوقت داخل البيت، بحيث ينشغلن بطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ وتأدية الطاعات المطلوبة منهنّ من صلاة وغيرها، وعدم إضاعة الأوقات بلا فائدة أو الاشتغال بالمحرمات.[١]

١٣- لا تعني هذه المكانة التي شرف الله ﷻ بها زوجات النبي ﷺ أن يغتررن بمكانتهن ولا يواظبن على الطاعات والعبادات والاستعداد للآخرة، فإنّ الله ﷻ "أمرهنّ بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لله ورسوله؛ لئلا يغتررن بما اخترن المقام مع رسول الله ﷺ وإيثارهنّ إياه على أن ذلك كاف لهنّ في الآخرة، ولا شيء عليهنّ سوى ذلك من العبادات؛ بل أخبر: أنكنّ وإن اخترتنّ المقام معه وآثرتنّ إياه على الدنيا وزينتها لا يغنيكنّ ذلك عما ذكر"[٢]، يقول ابن عاشور: " أريد بهذه الأوامر الدوام عليها لأنهنّ متلبسات بمضمونها من قبل، وليعلم الناس أن المقربين والصالحين لا ترتفع درجاتهم عند الله ﷻ عن حق توجه التكليف عليه"[٣]، فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من الواجبات التي لا تسقط عن العبد المؤمن مهما بلَغ من المكانة.

١٤- تخصيص الصلاة والزكاة من العبادات بالأمر يدلل على أهميتهما، فهاتان الطاعتان البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرّتاه إلى ما وراءهما،[٤] وهاتان العبادتان أهم دعائم هذا الدين فهما أكبر العبادات، وأجلّ الطاعات، وأعظم القربات، ففي

---

[١] مجلة البيان (١٤١/ ٦)، د. عبد الرحمن آل عثمان.

[٢] تأويلات أهل السنة: لأبو منصور الماتريدي (٨/ ٣٨٢).

[٣] التحرير والتنوير (٢٢/ ١٣).

[٤] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٣٨).

الصلاة تجد إخلاص المعبود لخالقه، فيكون في ذلك طهارة للنفس، وفي الزكاة تجد الإحسان إلى الخلق فتكون سبباً لطهارة المال وتزكيته[1].

١٥- أمر الله ﷻ لزوجات النبي ﷺ بالطاعة عموماً لله ﷻ ورسوله ﷺ بعد الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، يُدَلّل على أنّ التكليف ليس محصوراً في هاتين العبادتين (الصلاة والزكاة)، بل هو شامل لكل ما أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ بفعله، أو أتى النهي منهما عنه[2].

١٦- يدلل قوله تعالى: ﴿**وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ على وجوب طاعة الرسول ﷺ وأنه لا سبيل إلى مخالفة أوامره، فإنّ الله ﷻ قرن في هذه الآية بين طاعته وطاعة نبيه، بل إنّ طاعة النبي ﷺ طريقاً لتوفيق العبد والوصول إلى كل خيرٍ وسعادة.

١٧- يُفْهَم من أمر الله ﷻ لزوجات النبي ﷺ بإيتاء الزكاة أنّ للمرأة ذمّتها المالية الخاصة بها، بدليل أنّ الله كلفها بإيتاء الزكاة، ويفهم من ذلك أيضاً أنّه لا يجوز للرجل أن يأخذ من مال المرأة شيئاً إلا بإذنها، وبعد موافقتها ورضاها على ذلك.[3]

١٨- لو تأملنا جيداً لرأينا أن هناك حكمة في إيراد هاتين العبادتين وهما الصلاة والزكاة بعد مجموعة من الأوامر والنواهي التي تحفظ على الأسرة أخلاقها، فبالنظر إلى الصلاة فإنها تغرس في النفس حب الطاعة والبعد عن المعصية، وتنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وتعالج النفس البشرية من الشوائب التي تعتريها، وتغرس في قلب صاحبها الخوف من الله ﷻ، فيبتعد الإنسان بذلك عن الرذائل، قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]، كما أن الزكاة تطهر النفس من العادات السيئة كالبخل وغيرها من الصفات الذميمة، قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾ [التوبة: ١٠٣]، يقول سيد قطب: " وعبادة الله ﷻ ليست بمعزل عن السلوك الاجتماعي أو الأخلاقي في الحياة إنما هي الطريق للارتفاع إلى ذلك المستوي والزاد الذي يقطع به السالك الطريق، فلا بد من صلة بالله ﷻ يأتي منها المدد والزاد، ولا بد من صلة بالله ﷻ تطهر القلب وتزكيه، ولا بد من صلة بالله ﷻ يرتفع بها الفرد على عرف الناس وتقاليد المجتمع وضغط البيئة ويشعر أنه أهدى وأعلى من

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص:٦٦٤).

[2] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١١).

[3] انظر: تفسير الشعراوي: للشعراوي (١٩/ ١٢٠٢٣).

الناس والمجتمع والبيئة، وأنه حري أن يقود الآخرين إلى النور الذي يراه لا أن يقوده الآخرون إلى الظلمات وإلى الجاهلية التي تغرق فيها الحياة، كلما انحرفت عن طريق الله ﷻ"[1].

١٩- هذه الآداب التي أمر الله ﷻ بها لا تختص بأمهات المؤمنين وحدهنَّ، بل إنّ نساء المؤمنين تبع لهنّ في هذا النهي،[2] يقول القرطبي في قوله تعالى: **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾** "معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهنّ فيه بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهنّ، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة"[3]، ويقول الألوسي: "والمراد على جميع القراءات أمرهنّ ﷺ بملازمة البيوت وهو أمر مطلوب من سائر النساء"[4].

المطلب الخامس: فضل أهل بيت النبي ﷺ

قال تعالى: **﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾** [الأحزاب: ٣٣-٣٤]

أولاً: المعاني اللُّغوية:

١- **﴿الرِّجْسَ﴾**: هو عبارة عن كل ما استقذر من العمل، وكل عمل يؤدي إلى العذاب والعقاب والغضب هو رجس، قال تعالى: **﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾** [الحج: ٣٠] أي: اجتنبوا قول الزور،[5] كما أنّه يأتي بمعنى المأثم، في قوله تعالى: **﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾** [الأنعام: ١٤٥]، وبمعنى ما لا خير فيه، قال تعالى: **﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأنعام: ١٢٥]، وقيل: بمعنى الشك كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**، ورجس الشيطان بمعنى وسوسته،[6] ويرى الباحث أنّ كل هذه المعاني

---

[1] في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٦١).
[2] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٣٦٣).
[3] الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ١٧٩).
[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ١٨٧).
[5] انظر: الكليات: لأبي البقاء الكفوي (ص: ٤٦٥).
[6] انظر: لسان العرب: لابن منظور (٦/ ٩٥).

للرجس مما يحتمله النص القرآني، فقد أذهب الله عن زوجات النبي الرجس والسوء والشك والأذى، وكلّ ما لا خير فيه؛ كي تتزكى نفوسهنَّ، ويكنَّ مطهرات من المعاصي والذنوب.

٢- **﴿وَالْحِكْمَةِ﴾**: أحكم الشيء أي أتقنه فاستحكم، ومنعه عن الفساد، والحكمة بالكسر تأتي على عدة معانٍ، منها: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة ومنه قوله تعالى: **﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾** [البقرة: ٢٥١] والقرآن، ومنه قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾** [الإسراء: ٣٩] ، والإنجيل كقوله تعالى: **﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾** [الزخرف: ٦٣] وتطلق الحكمة أيضاً على طاعة الله ﷻ، والفقه في الدين، والعمل به، والفهم، والخشية، والورع، والإصابة، والتفكر في أمر الله ﷻ واتباعه، ومنه قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾** [لقمان: ١٢]،[١] كما أنها تطلق على السنة، ومنه قوله تعالى: **﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾**.

ثانياً: وجوه البلاغة

١- قوله تعالى: **﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** استعارة، فقد استعار الرِّجْسَ للذنوب والمعاصي، والطُّهر للتقوى، لأنّ عرض العاصي يتدنّس، كما يتلوّث بدنه بالأرجاس، وعرض التقي نقي مصون كالثوب الطاهر، وفي هذه الاستعارة تنفيرٌ عما نهى الله ﷻ عنه، وترغيب فيما أمر به[٢]، وهذا يعني أنّ الله قد طهّر أهل البيت عن كل قولٍ أو فعلٍ مستقذر يستقذره الشرع أو الطبع.

٢- قال ﷻ : **﴿عَنْكُمُ﴾** بلفظ التذكير، ولم يقل: عنكنَّ، لأن لفظ أهل البيت يصلح أن يذكر ويؤنث، وهذا ما يُسمى بالتغليب في اللغة العربية.[٣]

ثالثاً: وجه المناسبة

بعدما ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة مجموعة من الأوامر والنواهي لزوجات النبي ﷺ بعدم الخضوع بالقول، وعدم التبرج، وعدم الخروج من البيت لغير حاجة، والقول المعروف وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ناسب ذلك أن يذكر العلة التي من أجلها ساق هذه الأوامر والنواهي، وهي أن يذهب عنهم دنس الآثام والمعاصي ويطهرهم منها، "ويختم هذه التوجيهات

---

[١] انظر: القاموس المحيط (ص: ١٠٩٥)، تاج العروس: لمرتضى الزبيدي (٣١/ ٥١٢).

[٢] البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٤٧٨).

[٣] انظر: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/٥٠).

لنساء النبي ﷺ بمثل ما بدأها به، بتذكيرهنّ بعلو مكانتهنّ، وامتيازهنّ على النساء، بمكانتهنّ من رسول الله ﷺ وبما أنعم الله ﷻ عليهنّ فجعل بيوتهنّ مهبط القرآن ومنزل الحكمة، ومشرق النور والهدى والإيمان"[١].

رابعاً: المعنى العام:

يريد الله ﷻ بهذه الأوامر التي أمر بها زوجات النبي ﷺ وهذه النواهي أن يذهب عنهنّ الرجس والسوء والأذى، كي تتزكى نفوسهنَّ، ويكنَّ طاهرات مطهرات من المعاصي والذنوب، ثم أمرهن بذكره بحيث يشمل الذكر ذكر هذه النعمة بأن جعلهنّ في البيوت التي تتلى فيها آيات الله ﷻ والحكمة، ويشمل الذكر تلاوة ما يتلى في هذه البيوت، والتدبر فيه واستخراج أحكامه، وهذا من لطف الله ﷻ إذ جعلهنّ في البيوت التي تتلى فيها آياته وشرائعه، فهو مطلع على خفايا الأمور فلا تخفى عليه خافية، عالماً بما يصلح لهن.[٢]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: **﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾** على أقوال ثلاثة، أحدها: أنه عنى علياً وفاطمة والحسن والحسين ﭫ، والثاني: أنه عنى أزواج النبي ﷺ خاصة، والثالث: أنها تشمل الأهل والأزواج،[٣] ولكل فريق من هؤلاء أدلته، فأصحاب القول الأول استدلُّوا بروايات عديدة منها ما روته أم المؤمنين عائشة ﭬ قالت: **(خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل**[٤]**، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي ﭬ فأدخله، ثم جاء الحسين ﭬ فدخل معه، ثم جاءت فاطمة ﭬ فأدخلها، ثم جاء علي ﭬ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)**[٥]، وأصحاب القول الثاني يرون أن الخطاب في الآيات السابقة موجه إلى زوجات النبي ﷺ وكذلك في الآيات التي تليها، ولا خلاف بين العلماء والمفسرين في ذلك، ويميل الباحث إلى القول الثالث وهو أنّ الآية تشمل زوجات النبي ﷺ وأهله، حيث إنّه لا

---

[١] في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٦٢).

[٢] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٤).

[٣] انظر: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٤٠١).

[٤] (مِرْط): المِرْط كساء يكون من صوف أو شعر أو كتان أو خز، وقال الخطابي هو كساء يُؤتزر به، وقال النضر لا يكون المرط إلا درعا ولا يلبسه إلا النساء ولا يكون إلا أخضر، (مُرَحَّل): معناه عليه صورة رحال الإبل وقال الخطابي المرحل الذي فيه خطوط. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/ ٥٧).

[٥] صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٣)، كتاب فضائل الصحابة ﭬ، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، حديث رقم (٢٤٢٤).

تعارض بين هذه الآراء، وهذا رأي أكثر العلماء، ونردُّ على القول الأول بأنّ هذا الحديث وغيره من الأحاديث الواردة في هذا الباب (لا يقتضي حصر آل البيت في هؤلاء، ولا يقتضي إخراج أزواجه من آل البيت، كما أنّ قصر هذه الآية عليهم يقتضي أن تكون الآية منقطعة عما قبلها وما بعدها)[١] والقول الثاني كذلك، إذ إنّ "اللغة تدل على أنه للنساء والرجال جميعاً لقوله (عَنكم) بالميم، وَيُطَهِّرَكُمْ، ولو كان للنساء لم يجز إلا عَنكُن وَيُطَهِّرَكُنَّ"[٢]، والخطاب في الآيات السابقة موجه لزوجات النبي ﷺ، "لكن لمّا تَبَيّن ما في هذا من المنفعة التي تعمُّهن وتعمُّ غيرهنّ من أهل البيت، جاء التطهير بهذا الخطاب وغيره، وليس مختصا بأزواجه، بل هو متناول لأهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﭫ أخصّ من غيرهم بذلك، ولذلك خصّهم النبي ﷺ بالدعاء لهم"،[٣] من خلال ما سبق يتبين أنّ الخطاب يشمل زوجات النبي ﷺ وغيرهم من أهل بيت النبي ﷺ، وليس كما يدعي الشيعة بأنها خاصة بعليّ وفاطمة والحسن والحسين ﭫ.

٢- كل هذه الأوامر والنواهي والآداب التي بيّنها الله ﷻ لكم، الغرض منها هو حفظ آل بيت النبي ﷺ من اقتراف المنكرات والآثام، وتطهيرهم من دنس المعاصي والذنوب، وتعمير قلوبهم بنور الإيمان،[٤] وقد أذهب الله ﷻ عن أهل بيت النبي ﷺ كل ذلك، ومن خلال ذلك يتضح لنا أن طهارة المرأة وذهاب الرجس عن العباد جميعهم يكون بامتثال ما ورد من توجيهات في تلك الآيات وفي غيرها، وبقدر مخالفة تلك الآداب ينقص معه الطهر ويكثر الدنس، يقول ابن عجيبة الفاسي[٥]: "وفيه تنفير لأُولي الألباب عن كل ما يُدَنِّس القلوب من الأكدار، وترغيب لهم في كل ما يطهر القلوب والأسرار، من الطاعات والأذكار"[٦].

٣- تخصيص آل بيت النبي ﷺ بهذا التطهير من الرجس والآثام، يدلل على عُلُوِّ مكانتهم عند الله ﷻ، وفضلهم في هذه الأمة، بل إنّ قوله تعالى: **﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**

---

[١] انظر: مجلة البيان (١٠٠/ ٨)، آل البيت: منزلتهم – خصائهم، لعبد الحكيم بن محمد بلال.

[٢] معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (٤/ ٢٢٦).

[٣] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: لابن تيمية (٧/ ٧٤).

[٤] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١١).

[٥] أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الفاسي، وهو مفسر صوفي شارك في أنواع من العلوم، له تصانيف منها: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أزهار البستان في طبقات الاعيان، تُوفي سنة (١٢٢٤هـ-١٨٠٩م). انظر: معجم المؤلفين: لعمر كحالة (٢/ ١٦٣).

[٦] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٤٢٩).

وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ، يشعر بمدى لطف الله ﷻ بهنّ، حيث توضح الآية أنّ الله ﷻ بذاته العَلِيَّة هو من تولى تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم، وأيُّ منقبةٍ أعظم من ذلك.[١]

٤- الواجب هو شكر الله ﷻ على هذه الأوامر والنواهي، فإنّ الله ﷻ لم يقصد بذلك إيقاع الحرج والمشقة على أزواج النبي ﷺ، إنما هي لمصلحتهم، بحيث تُزَكّى نفوسهم، وتتطهر أخلاقهم، وتعظم أجورهم،[٢] "يعني ليس المنتفع بتكليفكنّ هو الله ﷻ ولا تنفعن الله ﷻ فيما تأتين به، وإنما نفعه لَكُنَّ وأمره تعالى إياكنّ لمصلحتكنّ"[٣].

٥- "لفظ الذكر يحتمل ثلاثة معان: أحدها: أي اذكرن موضع النعمة، إذ صَيَّرَكُنّ الله ﷻ في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، الثاني: اذكرن آيات الله ﷻ واقدرن قدرها، وفكرن فيها حتى تكون منكنّ على بال لتتعظنّ بمواعظ الله تعالى، ومن كان هذا حاله ينبغي أن تحسن أفعاله، الثالث: اذكرن بمعنى احفظن واقرأن وألزمنه الألسنة، فكأنه يقول: احفظن أوامر الله تعالى ونواهيه، وذلك هو الذي يتلى في بيوتكنّ من آيات الله ﷻ، فأمر الله ﷻ أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهنّ، وما يَرَيْنَ من أفعال النبي ﷺ، ويسمعن من أقواله حتى يبلغنّ ذلك إلى الناس، فيعملوا ويقتدوا"[٤]، "وأمرهنّ بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، وذكر معناه، بتدبره والتفكر فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل به وتأويله"[٥].

٦- نزول الوحي على النبي ﷺ وتلاوة القرآن في بيوت زوجاته ﷺ منقبةٌ ومفخرةٌ عظيمةٌ لهنّ، وأي مِنّة أعظم من أن تكون بيوتهنّ مكاناً لتلاوة القرآن والسنة، وهذا يدل على عِظَم منزلتهنّ ورفعة مكانتهنّ عند الله ﷻ إذ خصهنّ بذلك دون غيرهنّ، ولو لم يكن كذلك لما شرفهنّ الله ﷻ بذلك، وهذا يستوجب منهنّ الشكر والطاعة والتزام أوامره واجتناب نواهيه، إذ مَنّ الله ﷻ عليهنّ بأن جعل بيوتهنّ مهبط القرآن والحكمة، ومشرق الهدى والإيمان والنور في الآفاق،[٦] "وإنّه لحظٌّ عظيم يكفي التذكير به، لتحسّ النفس جلالةَ قدره، ولطيف صنع الله ﷻ فيه، وجزالة النعمة التي لا يعدلها نعيم"[٧]، "وهذا حثٌّ لهنّ على حفظ القرآن والأخبار، ومذاكرتهنّ بهما للإحاطة بحدود

---

[١] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٦٢).

[٢] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي [ص:٦٦٤].

[٣] مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٦٨).

[٤] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١٤/ ١٨٤).

[٥] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٤).

[٦] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٦٢).

[٧] المرجع السابق (٥/ ٢٨٦٢).

الشريعة"[1]، وفي هذا أيضاً حث وترغيب لكل بيت مسلم أن يكثر من ذكر الله ﷻ وتلاوة الآيات والسنة في البيوت، ليقتدي ببيوت أمهات المؤمنين، لتنال بيوتهم الشرف والمكانة، فإن البيوت يرتفع ذكرها بما يذكر فيه، بحيث يكون هذا البيت مبارك وعامر بذكر الله ﷻ.

٧- كثير من الأحكام الخاصة بالنبي ﷺ لم تصل إلينا إلا عن زوجاته ﭫ، فهم يرون من النبي ﷺ ما لا يراه غيرهنّ، فالواجب عليهنّ الإخبار بكل ما يرونه سواء قرآن أو سنة أو مسائل حصلت في بيت النبي ﷺ لم يراها سواهنّ، "والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع أنه الأنسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهنّ من الذكر والتذكير بخلاف النزول، وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي ﷺ وتلاوتهنّ وتلاوة غيرهنّ تعليماً وتعلماً"[2].

٨- بيّنت الآيات أنّ نساء النبي ﷺ كان لهنّ دور في تبليغ هذا الدِّين، بذكر ما كان يتلى في بيوتهنّ، بل إنّ بعض الصحابة ﭬ كان يسأل نساء النبي ﷺ كعائشة ﭭ في بعض المسائل والأحكام، وهذا يدلل على جواز تعليم النساء للقرآن والعلوم، وأن الدعوة إلى الله ﷻ وحمل أمانة هذا الدين لا تقتصر على الرجال دون النساء، لكن لابد من مراعاة المرأة للآداب والأحكام الشرعية، والمتزامها بكل ما يحفظ عليها عفتها، بحيث تكون المرأة بعيدة عن كل ما يثير الفتن كاللين في القول وإظهار المحاسن، والبعد عن الاختلاط بالرجال، واحتجابها عنهم، يقول الواحدي[3] :" والخطاب وإن اختصّ بهنّ فغيرهنّ داخل منه؛ لأنّ مبنى الشريعة على هذين القرآن والسنة، وبهما يؤقت على حدود الله ﷻ ومفترضاته"[4].

٩- خصّ الله ﷻ زوجات النبي ﷺ بإنزال الوحي في بيوتهنّ، وبلطفه ﷻ بهنّ بلغن هذه المنزلة دون غيرهنّ من النساء، فهو يعلم ما يصلحهنّ وينفعهنّ، وهو يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ليكون من أهل بيت النبي ﷺ،[5] فإن الله ﷻ "يدرك أسرار الأمور، وخفايا الصدور، وخبايا

---

[1] التفسير الوسيط: للواحدي (٣/ ٤٧٠).

[2] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود (٧/ ١٠٣).

[3] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، مفسر، وعالم بالأدب، وصفه الذهبي بإمام علماء التأويل، كان من أولاد التجار، من مؤلفاته: البسيط والوسيط والوجيز وكلها في التفسير، وأسباب النزول، توفي بنيسابور سنة ٤٦٨هـ. انظر: الأعلام: للزركلي (٤/ ٢٥٥).

[4] التفسير الوسيط: للواحدي (٣/ ٤٧٠).

[5] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٣٧١)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٥٣٨/٣).

السماوات والأرض، والأعمال التي تبين وتسر، فلطفه وخبرته، يقتضي حثّهن على الإخلاص وإسرار الأعمال، ومجازاة الله ﷻ على تلك الأعمال"[١]، يقول الطبري: " إن الله ﷻ كان ذا لطف بكن؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، خبيراً بِكُنّ إذ اختاركنّ لرسوله ﷺ أزواجاً"[٢].

١٠- تسمية الشرائع التي نزلت على النبي ﷺ بالحكمة، يبين لنا أنّ صلاح أحوال العباد وصلاح المجتمع في دنياه وأخراه هو بالالتزام بهذه الآداب والأحكام التي نزلت على النبي ﷺ، فإنّ الله ﷻ شرع لنا كل ما يقودنا إلى الفلاح، فمن استمسك بها فقد اهتدى، ومن تركها فقد ضل وغوى،[٣] يقول القاسمي: "أمر لهنّ بأن يذكرن ولا يغفلن ما يقرأ في بيوتهنّ من آيات كتابه تعالى، وسنة نبيّه ﷺ اللَّتَين فيهما حياة الأنفس وسعادتها وقوام الآداب والأخلاق، وذكر ذلك مستوجب لتصوّر عظمته ومكانته وثمرة منفعته، وذلك يجرّ إلى العمل به"[٤].

١١- اقتران السنة بالقرآن في التلاوة يُدَلِّل على أنه لا يمكن الاستغناء عن السنة، فهي موضحة لما في القرآن ومفصلة له وشارحة ومؤكدة لأحكامه، ولو كان يكتفى بالقرآن لما أمر الله ﷻ زوجات النبي ﷺ بتبليغ الحكمة للناس، فلولا وجود هذه السنة لما استطعنا معرفة كيفية تأدية الكثير من الواجبات المطلوبة منّا.

١٢- جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنساء في الدِّين، وهذا يظهر من أمر الله ﷻ أزواج النبي ﷺ بإبلاغ ما ينزل على النبي ﷺ وما يرونه منه للناس ليتعلموا ذلك فيعملوا به،[٥] ولو لم يقبل خبر الواحد في الشرع لما أمر الله ﷻ أزواج النبي ﷺ بفعل ذلك.

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٤).

[٢] جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢٠/ ٢٦٨).

[٣] انظر: تفسير المراغي (٢٢/ ٧).

[٤] محاسن التأويل (٨/ ٧٥).

[٥] انظر: أحكام القرآن: لابن العربي (٣/ ٥٧٢).

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣٥-٤٠)

ويشتمل على أربعة مطالب

المطلب الأول: المساواة بين الرجال والنساء في التكليف والثواب

المطلب الثاني: وجوب السمع والطاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ وعاقبة مخالفتهما

المطلب الثالث: زينب بنت جحش ﵂ وزواج النبي ﷺ بها

المطلب الرابع: الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والرسل

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب: الآيات (٣٥-٤٠)

المطلب الأول: المساواة بين الرجال والنساء في التكليف والثواب

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٣٥]

أولاً: المعاني اللُّغوية

﴿**وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ**﴾: (خشع) رمى ببصره نحو الأرض وغضّه وخفض صوته، ويأتي بمعنى الانقياد للحق، وقيل: هو الخوف الدائم في القلب، كما يأتي بمعنى السكون، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ**﴾ [طه: ١٠٨] أي سكنت، والتخشع لله ﷻ: الإخبات والتذلل، وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البدن والصوت والبصر.[١]

ثانياً: وجوه البلاغة

١- في قوله تعالى: ﴿**وَالْحافِظاتِ**﴾ وقوله: ﴿**وَالذَّاكِراتِ**﴾ إيجاز بالحذف، فقد حذف المفعول لدلالة ما تقدم عليه، أي والحافظات فروجهنَّ، والذاكرات الله.[٢]

٢- التغليب في قوله تعالى: ﴿**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ**﴾ حيث اجتمع الذكور والإناث في الآية، لكن الله ﷻ غلّب الذكور وجمع الإناث معهم، ثم أدرجهم في الضمير، ولم يأت التركيب لهم ولهنَّ.[٣]

---

[١] انظر: لسان العرب: لابن منظور (٨/ ٧١)، التعريفات: للجرجاني (ص: ٩٨).

[٢] انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: للكرماني (٢/ ٩١٧).

[٣] انظر: البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٤٨٠).

ثالثاً: وجه المناسبة

بعد أن تناولت الآيات السابقة نساء النبي ﷺ والأوامر والنواهي الخاصة بهنّ، وبينت ما أعده الله ﷻ من ثواب خاص بهنّ، وقد تميزن في ذلك عن غيرهنّ من النساء، ناسب ذلك أن يذكر ما أعده الله ﷻ من ثواب للمسلمين والمسلمات من غيرهن إن فعلن الطاعات واجتنبن المعاصي،[١] فثناء الله ﷻ على أهل بيت النبي ﷺ بهذه الصفات الطيبة جعل نفوس المسلمين والمسلمات تتشوق لحصول الخير لهم مثل الذي حصل لآل البيت[٢]، حيث إنّ "نساء النبي ﷺ بهذا التأديب الإلهي الذى لم يخرجن عن نطاقه كنّ بالنسبة للنساء الصورة المثالية والقدوة القائمة الثابتة لنساء المؤمنين بل لنساء العالمين، ولأنهنّ المثل السامي عقب ذلك بما يجب أن تكون عليه المؤمنات المقتديات بنساء النبي ﷺ"[٣].

رابعاً: سبب النزول

نزلت في هذه الآية عدة روايات، والثابت في هذه الروايات أنها نزلت إما بسبب سؤال أم عمارة الأنصارية[٤]، أو أم سلمة أم المؤمنين ﵂،[٥] وهاتان الروايتان هما:

١- ما رواه الترمذي وغيره عن أم عمارة الأنصارية ﵂، أنها أتت النبي ﷺ فقالت: **(ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء؟ فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾**[٦].

---

[١] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٥).

[٢] انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٦٩).

[٣] خاتم النبيين ﷺ: لأبي زهرة محمد بن أحمد (٣/ ١١٠٧).

[٤] هي الصحابية نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية، شهدت بيعة العقبة وأحداً والحديبيّة وخيبر وعمرة القضية وحنيناً، وسمعت من الرسول ﷺ أحاديث، اشتهرت بالشجاعة، وكانت تخرج لتسقي الجرحى وتقاتل، وأبلت يوم أحد بلاءً حسنا، فثبت مع الرسول ﷺ حين تراجع الناس، وحضرت معركة اليمامة، فقاتلت قتال الأبطال، فجرحت وقطعت يدها وقتل ولدها. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني (٨/٤٤١).

[٥] انظر: تعليق عصام الحميدان في تحقيقه لكتاب أسباب نزول القرآن: للواحدي (ص:٣٥٦)، فقد بيّن أنه لم يصح في شيء منها أنها نزلت في أسماء بنت عميس ﵂، وقد ذكر أنّ الروايتين اللتان ذكرهما الواحدي في أسباب النزول غير صحيحتين، فقد روى إحداها الواحدي عن مقاتل بن حيان والثانية رواها الطبري عن قتادة، انظر: أسباب نزول القرآن: للواحدي (ص: ٣٥٦).

[٦] سنن الترمذي (٥/ ٣٥٤)، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأحزاب، حديث رقم (٣٢١١)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وإنما نعرف هذا الحديث من هذا الوجه، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

٢- ما رواه أحمد والنسائي وغيرهما عن أم سلمة ﵂ زوج النبي ﷺ تقول: قلت للنبي ﷺ: **(يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني ذات يوم ظهرًا إلا نداؤه على المنبر وأنا أسرح رأسي، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجرهن، فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول على المنبر: يا أيها الناس إن الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾**إلى قوله **﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾**[١].

خامساً: المعنى العام

بيّنت الآيات أنّ الرجل والمرأة سواء في الجزاء والثواب، حيث إنّ المتمسكين بأوامر الإسلام المنقادين لحكم الله ﷻ من الذكور والإناث، والمصدقين بالله ﷻ وآياته وما أنزل على رسله ﵈، المداومين على الطاعة، الصادقين في النية والقول والعمل، الصابرين على الطاعات وعن المعاصي والابتلاءات، الخاضعين لله ﷻ المتواضعين له بقلوبهم وجوارحهم والخائفين منه، المتصدقين بأموالهم والمُؤَدّين لزكاتهم وبما وجب من أموالهم، المُؤَدّين لفريضة الصيام ونوافله، الحافظين لفروجهم عن الحرام وكشف العورات إلا عن الأزواج أو ما ملكت الأيمان، الذاكرين الله ﷻ بألسنتهم وقلوبهم في كل أحوالهم وأوقاتهم، فمن اتصف بهذه الصفات وامتثل هذه القربات كفّر الله ﷻ عنه ذنوبه وسيئاته، وأعدّ الله ﷻ له عظيم الأجر والثواب وهو الجنة.[٢]

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- بَشَّر الله ﷻ من امتثل هذه الصفات من الرجال والنساء أن يغفر ذنبه ويدخله الجنة جزاء القيام بهذه الواجبات من أوامر ونواه ، وهذه الصفات هي: الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم وحفظ الفروج وذكر الله تعالى.[٣]

٢- فضل هذه الصفات المذكورة، فقد جمع الله ﷻ لمن اتصف بها بين مغفرة الذنوب ومضاعفة الأجر، وجعلها سبباً لدخول الجنة.[٤]

---

[١] مسند أحمد (٤٤/ ١٩٩)، حديث رقم (٢٦٥٧٥)، السنن الكبرى: للنسائي (١٠/ ٢١٩)، حديث رقم (١١٣٤١)، إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح.

[٢] انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود (٧/ ١٠٣)، صفوة التفاسير: للصابوني (٤٨١/٢).

[٣] انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٧٠).

[٤] انظر: المرجع السابق (٤/ ٢٧٠).

٣- جمعت هذه الآية صفات الخير والبرّ وضمان السعادة، بحيث تسعد كلاً من الرجل والمرأة في الدنيا والآخرة إذا ما اتصفا بها، ويرتفع العبد بهذه الصفات إلى الرُقِيّ في شتى المجالات.[١]

٤- هذه الصفات التي فرض الله ﷻ على المؤمنين العمل بها اشتملت على صفات تنظم علاقة الإنسان بربه وبغيره وبنفسه،[٢] وقد جمعت أصول الإسلام في الاعتقاد والعبادة والأخلاق، وهذا يبين لنا أنّه لا ينبغي للعبد أن يهتم بالعبادات ويهمل الجوانب الأخرى، فهناك حق لله ﷻ، وحقوق نحو العباد، وحق للنفس، والواجب على المسلم أن يؤدي هذه الحقوق دون إفراط أو تفريط، وقد أقرّ النبي ﷺ سلمان الفارسي حديثه لأبو الدرداء ﷺ في قوله: **(...إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه...)**[٣].

٥- وجوب الانقياد والاستسلام لأمر الله ﷻ، والتصديق التام بما جاء عن الله ﷻ من شرائع وأحكام، مع دوام الطاعة والعمل الصالح لوجه الله ﷻ.[٤]

٦- ورود الإسلام والإيمان في الآية يبين لناّ الإيمان غير الإسلام، وأنه أخصّ منه، ومما يدلل على ذلك قوله تعالى: **﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾** [الحجرات: ١٤]، وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ، أن رسول الله ﷺ: **(أعطى رهطاً[٥] وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: أو مسلماً...)**[٦]، وقد أطال العلماء عند حديثهم عن اتحاد الإيمان والإسلام وافتراقهما، وأنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، بمعنى إذا قرن أحدهما بالآخر كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر، وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر.

٧- البدء بذكر الإسلام من الصفات؛ لأنه أساس كل الأعمال، فلا يقبل عمل بدونه.

---

[١] انظر: التفسير الحديث: لدروزة (٧/ ٣٨٣).

[٢] انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٢١١).

[٣] صحيح البخاري (٣/ ٣٨)، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، حديث رقم (١٩٦٨).

[٤] انظر: تفسير المراغي (٢٢/ ٩).

[٥] الرهط هو أصل يدل على تجمع في الناس وغيرهم، والرهط: هي العصابة من ثلاثة إلى عشرة. وقال الخليل: هو ما دون السبعة إلى الثلاثة نفر. انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٤٥٠)

[٦] صحيح البخاري (١/ ١٤)، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، حديث رقم (٢٧)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، حديث رقم (٢٣٧).

٨- وجوب الصدق وعدم الكذب، بحيث يشمل الصدق مع الله ﷻ والصدق مع الناس، كما يشمل الصدق في النية والقول والعمل.

٩- الصبر على الطاعات والابتلاءات التي تصيب العبد، وكذلك الصبر عن المعاصي والمنكرات.

١٠- الواجب على المسلم المصدق بآيات الله ﷻ أن يتواضع لله ﷻ ويخشاه ويخافه في كل أحواله ولا يخشى غيره، بخلاف الكافر الذي لا يخاف ربه ولا يرجو منه؛ لأنه لا يعرفه ولا يخضع له، أو الذي لا يخاف الله ﷻ ويخاف أعماله السيئة ويرجو النّفع من أعماله الحسنة لا من الله ﷻ حقيقة.[١]

١١- لا يجوز للإنسان أن يفتخر بنفسه أو يعجب بعبادته، فإنّ قوله تعالى: ﴿**وَالْخَاشِعِينَ**﴾ "إشارة إلى من حصلت له هذه الأوصاف لَا ينبغي له أن يثق بعمله، بل لَا يزال خائفا خاشعا؛ لأن هؤلاء على فعلهم هذا كله مهما مالوا عليه ازداد خوفهم وخشوعهم"[٢].

١٢- التصدق والإحسان إلى الآخرين بأداء الزكاة المفروضة وزكاة التَطُّوع، بحيث تبعث في النفس البذل والعطاء، وتنشر المحبة بين الناس، وتنزع الشُّح والبخل من النفس، كما تجعل المجتمع كالجسد الواحد في التكافل والتعاون.

١٣- صوم الفرائض والنوافل، كما يندرج تحته الصوم والإمساك عن المعاصي والمحارم.

١٤- تقديم الصوم على حفظ الفروج لبيان أنّه ممّا يعين على كسر شهوة المؤمن، ويتعالى فيه العبد عن الماديات لتسمو روحه،[٣] وهذا يتضح في الحديث الذي رواه ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)**[٤].

١٥- حفظ الفروج بالتعفف عن الحرام، والاقتصار على الحلال كالاستمتاع بالزوجة وملك اليمين، كما يشمل حفظه بعدم كشف العورة، وقد قال النبي ﷺ: **(من يضمن لي ما بين لحييه**

---

[١] انظر: تأويلات أهل السنة: لأبي منصور الماتريدي (٨/ ٣٨٦).

[٢] تفسير ابن عرفة: لمحمد بن عرفة (٣/ ٢٩٧).

[٣] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٣٧٣).

[٤] صحيح البخاري (٣/ ٢٦)، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة، حديث رقم(١٩٠٥).

وما بين رجليه أضمن له الجنة)[1]، لكن هذا لا يعني حفظها عن الاستعمال بالرهبنة وعدم الزواج، فهذا منهي عنه في الإسلام[2].

١٦- المرأة لابد أن تكون مستورة ومصونة عن كل شيء، فحين قال تعالى: ﴿**وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ**﴾ [الأحزاب: ٣٥] لم يقُلْ: والحافظات فروجهن؛ لأنّ أمر النساء ينبغي أنْ يُسْتر وأنْ يُصَان، فإن هذه المسألة يُراد بها شرف للمرأة، وصيانة لها، لا إهمالها أو التقليل من شأنها كما يدَّعي البعض، بل إن الله ﷻ أراد بذلك أنْ يبني حول المرأة سياجاً من الستر في كل شيء حتى في التكاليف.[3]

١٧- قرن الله ﷻ الذكر بالكثرة في أكثر المواضع؛ ليرشدنا إلى أنه لا يصير الإنسان ذاكراً حتى يداوم على الذكر في كل أحواله[4]، كما أنها من أيسر العبادات على العبد، ولا تحتاج إلى وقت معين أو حال يكون عليها العبد ليذكر الله ﷻ، مع عِظَم الأجر الذي يترتب على هذه العبادة كما بينت ذلك الآيات والأحاديث، وعن مجاهد[5] ﷺ قال: **(لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا، ومضطجعا)**[6].

١٨- المداومة على ذكر الله ﷻ في كل الأحوال، بحيث يشمل الذكر اللساني والقلبي، فإن الذكر يجعل العبد يرتقي إلى درجة الإحسان ويستشعر عظمة الله ﷻ وقدرته ومخافته، وقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً، والذاكرات)**[7].

---

[1] صحيح البخاري (٨/ ١٠٠)، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث رقم (٦٤٧٤).

[2] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٢٢).

[3] انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١٢٠٣٤).

[4] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٢١).

[5] أبو الحجاج المكيّ، مجاهد بن جبر، مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر من أهل مكة، قال: قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ وقد كان ثقة فقيهاً قارئاً عالماً، روى عن علي والعبادلة الأربعة وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة ﷺ وآخرين، روى عنه كثير منهم عطاء وعكرمة وقتادة. مات وهو ساجد سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢).

[6] تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٤).

[7] صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٢)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث رقم (٢٦٧٦).

١٩- المقصود من أصحاب هذه الأوصاف النساء، وذكر الرجال؛ للإشارة إلى أنّ الصنفين في هذه الشرائع سواء، لبيان أن الشريعة تعم الرجال والنساء، ولتقرر أصل التسوية بينهما.[١]

٢٠- هذه الصفات المذكورة صالحة لكل زمان ومكان، ولا تقتصر على جيل الصحابة ﷺ، لكنها في الوقت نفسه تشير إلى جيلٍ فريدٍ من الصحابة اتصفوا بهذه الصفات وقاموا بهذه الواجبات.[٢]

٢١- ما ترتب من أجرٍ عظيمٍ ومغفرةٍ للذنوب إنما هو بالعمل بهذه الصفات المذكورة، هذا يعني أنه بقدر العمل بهذه الأوصاف يزداد لصاحبها الأجر والثواب، وبقدر ترك بعضها أو كلها ينقص الأجر والثواب.

٢٢- تكريم الإسلام للمرأة، وبيان أنّ لها مكانتها في ديننا الإسلامي، فحين طلب الإسلام من الرجل عدة واجبات بيّن أنها مطلوبة من النساء أيضاً، فهي مأمورة بأن تعمل، وهي موعودة من الله ﷻ أن تنال الجزاء على هذا العمل، فقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في الأجر والجزاء.

المطلب الثاني: وجوب السمع والطاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ وعاقبة مخالفتهما

قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾** [الأحزاب: ٣٦]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿الْخِيَرَةُ﴾**: من الاختيار، "وما كانت لهم الخيرة: أي ليس لهم أن يختاروا على الله ﷻ"[٣].

٢- **﴿ضَلَّ﴾**: ضلَّ الشخص بمعنى زلَّ وانحرف عن الطريق الصحيح، ومنه قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾**، وضلَّ سعيه: أي خاب عمله فلم ينفعه، وضلَّ الطريق: تاه ولم يهتد إليه، قال تعالى: **﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾**.[٤]

---

[١] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٢٠).

[٢] انظر: التفسير الحديث: لدروزة (٧/ ٣٨٣).

[٣] لسان العرب: لابن منظور (٤/ ٢٦٦).

[٤] انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٢/ ١٣٦٧).

ثانياً: وجوه البلاغة

١- التنكير لإفادة العموم في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ**﴾، حيث إنّ النكرة في سياق النفي تفيد العموم، أي ليس لواحدٍ منهم أن يريد غير ما أراد الله ﷻ ورسوله ﷺ.[١]

٢- قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**﴾، تذييل[٢] تعميم للتحذير من مخالفة الرسول ﷺ، سواء فيما هو فيه الخيرة، أم كان عن عمدٍ للهوى في المخالفة.[٣]

ثالثاً: وجوه القراءات

قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿**أَنْ يَكُونَ لَهُمُ**﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿**أَنْ تَكُونَ**﴾ بالتاء، ومن قرأ بالياء فلأن معنى الخيرة: الاختيار مع تقديم الفعل، ومن قرأ بالتاء فلأن لفظ ﴿**الْخِيَرَةُ**﴾ مؤنث.[٤]

رابعاً: وجه المناسبة

بعدما ذكر الله ﷻ في الآية السابقة صفات المؤمنين وما ينالونه من الدرجات الرفيعة إن استجابوا لأمر الله ﷻ وفعلوا هذه الصفات، أعقب ذلك ببيان أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ﷻ وأنّها واجبة، وأنّه لا يجوز مخالفة أوامر رسول الله ﷺ ، وأنّ الرجال والنساء سواء في ذلك، كما كانا سواء في الأحكام السابقة، وكما بينت الآيات السابقة أن المؤمن هو من يلتزم بتلك الصفات، وضحت هذه الآية أنه لن يكتمل إيمانه إلا بطاعة رسوله ﷺ.[٥]

---

[١] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٨٩).

[٢] التذييل: هو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً لمنطوقها، أو لمفهومها، وهو قسمان: ما يجري مجرى المثل، فيستقل بمعناه ويستغني عما قبله، كقوله تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ [الإسراء: ٨١] فجملة ﴿**إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾، تتضمن معنى الجملة التي قبلها، وهي تؤكد منطوقها، والثاني: ما لا يجري من التذييل مجرى المثل، فلا يستقل بمعناه عما قبله، كقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**﴾ [سبأ: ١٧] فجملة ﴿**وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**﴾، تذييل يؤكد مفهوم الجملة التي جاءت قبلها. انظر: البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حَبَنَّكَة الدمشقي (٢/٨٦).

[٣] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٢٨).

[٤] انظر: معاني القراءات: للأزهري (٢/ ٢٨٣).

[٥] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٢٧)، صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٨٣).

خامساً: سبب النزول

روى الطبري بإسناده عن ابن عباس ﷺ قوله: **(﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ...﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة ﷺ، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية ﷺ فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أؤمر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله ﷻ هذه الآية على رسوله ﷺ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ...﴾ إلى قوله: ﴿ضَلَالًا مُبِينًا﴾، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله مَنكحًا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ، قد أنكحته نفسي)**[1]، وعن قتادة قال: **(خطب النبي ﷺ زينب ﷺ وهو يريدها لزيد فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ...﴾، فرَضِيَت وسلَّمت)**[2].

سادساً: المعنى العام

لا يصح ولا يحل لمن يؤمن بالله ﷻ ورسوله ﷺ من الرجال والنساء إذا قضى الله ﷻ ورسوله ﷺ أمراً أن يتخيروا من أمرهم غير ما قُضِي فيهم، بل الواجب عليهم امتثال الأمر والانقياد والتسليم، فإنهم إن لم يستجيبوا يكونوا قد خالفوا أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ، وهذا عصيان لهم، وفي عصيان أوامر الله ﷻ ورسوله ﷺ ضلالاً بيّناً واضحاً عن الهدى، وزيغاً عن طريق الحق، وسلوكاً لغير سبيل الرشاد.[3]

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- وجوب امتثال أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ إذا حكما بشيء، ولا يجوز المخالفة أو عدم الرضا بقضاء الله ﷻ وحكم رسوله ﷺ، أو مجرد التفكير في أن يختار رأياً من عنده.

٢- من يخالف أوامر الله ﷻ أو الرسول ﷺ فإنه يضلّ الطريق وينحرف عن الصواب، وهو آثم لهذه المخالفة لأنّه عصى الله ﷻ ورسوله ﷺ.

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٢٧١).

[2] لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي (ص: ١٥٩)، وقال إسناده صحيح، انظر: المعجم الكبير: للطبراني (٢٤/ ٤٥)، حديث رقم (١٢٤).

[3] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٢٧١).

٣- المؤمن والمؤمنة ما دام الإيمان قد باشر قلبيهما لا يمكن أنْ يتركا أمر الله ﷻ أو أمر رسوله ﷺ إلى اختيارهما، بل إنّ هذا أمر مُسْتبعد غير مُتصوَّر، لا يمكن أنْ يَرِد على العقل.[١]

٤- وجود الإيمان عند العبد سبب يوجب عدم معارضة أوامر الله ﷻ ورسوله ﷺ، كما أنّ الخوف من سوء العاقبة وهو الضلال عن الحق يدفع المؤمن إلى التزام أوامر الله ﷻ ورسوله.[٢]

٥- عدم جواز الرأي وأنّه يكون مذموماً ولا خير فيه، إن كان قد صدر مقابله حكمٌ من القرآن والسنة في شيء معين.[٣]

٦- هذه الآية وإن كانت نزلت في سببٍ خاص لكنها عامة في جميع الأمور، فإذا حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا يجوز أن يكون له فيها رأي ولا قول، فقد قال تعالى: **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** [النساء: ٦٥].[٤]

٧- لا تعتبر الكفاءة في الأحساب وإنما في الأديان، حيث تزوجت الموالي من قريش، فتزوج زيد زينب بنت جحش، وتزوج المقداد بن الأسود ضباعة بنت الزبير، وحصل هذا مع آخرين.[٥]

٨- عدم ذكر صاحب الشأن والتلميح يكفي ويسد مسد التصريح في كثير من الأحيان، وهذا يَظهر لنا من المراد بالمؤمن والمؤمنة في قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾**، فالمقصودان من هذه الآية هما زينب بنت جحش وأخوها، وهذا يعتبر من باب التعريض[٦].

---

[١] انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١٢٠٣٩).

[٢] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٥).

[٣] انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: للقنوجي (١١/ ٩٣).

[٤] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٣٧٧).

[٥] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ١٨٧).

[٦] التعريض هو طريقة من الكلام أخفى من الكناية، وهو أن تقول كلاما لا تصرح فيه بمرادك منه، لكنك قد تشير إليه إشارة خفية، فهو كلام غير ظاهر الدلالة على المراد، ولم يصرح فيه باللفظ. انظر: البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حَبَنَّكَة الدمشقي (١٥٢/٢).

المطلب الثالث: زينب بنت جحش ﵂ وزواج النبي ﷺ بها

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٧-٣٨]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿وَطَرًا﴾**: الوطر هو كل حاجة كان لصاحبها فيها همة فهي وطره، ولم يسمع لها فعلاً أكثر من قول: قضيت وطري، أي: حاجتي، والجمع: أوطار،[١] والوَطَر في اللغة والأرَبُ بمعنًى واحد، فإذا بلغ البالغ حاجته قيل قد قضى وطره وَأَرَبَه، أي بَلَغ مُرادَه مِنها.[٢]

٢- **﴿أَدْعِيَائِهِمْ﴾**: الدعوة بكسر الدال: ادعاء الولد الدعي غير أبيه، والدعيُّ: المتبنى الذي تبناه رجل فدعاه ابنه ونسبه إلى غيره، بمعنى أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، فيقال: فلان ابن فلان، ويكنى به فيقال: هو أبو فلان، وقد كانوا يفعلونه فنُهِي عنه وجعل الولد للفراش،[٣] وفي الحديث **(من ادّعى إلى غير أبيه، وهو يعلم فالجنة عليه حرام)**[٤].

٣- **﴿حَرَجٍ﴾**: الحرج أي: الإثم والذنب قال تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ...﴾** [النور: ٦١] ويقع على الضيق **﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾** [الأعراف: ٢]، **﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾** [الأنعام: ١٢٥] وقد حرج صدره أي: ضاق فلم ينشرح لخير.[٥]

---

[١] انظر: العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (٧/ ٤٤٦).

[٢] انظر: معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (٤/ ٢٢٩).

[٣] انظر: لسان العرب: لابن منظور (١٤/ ٢٦١).

[٤] صحيح البخاري (٥/ ١٥٦)، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٢٦).

[٥] انظر: تهذيب اللغة: للأزهري (٤/ ٨٤).

ثانياً: وجوه البلاغة

١- الطباق[١] بين ﴿**تُخْفِي**﴾ و ﴿**مُبْدِيهِ**﴾ وهو من المحسنات البديعية.[٢]

٢- الإمساك في قوله تعالى: ﴿**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**﴾ مستعار لبقاء الصحبة، تشبيهاً للصاحب بالشيء الممسك باليد، كما أنَّ زيادة عليك لدلالة (على) على الملازمة والتمكن، كقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ [البقرة: ٥].[٣]

٣- جناس الاشتقاق[٤] في قوله تعالى: ﴿**قَدَراً مَّقْدُوراً**﴾.[٥]

ثالثاً: وجه المناسبة

تعدّ الآية السابقة تمهيداً لما سيأتي من أحكام في هذه الآية، فبعدما بينت الآية السابقة وجوب طاعة أوامر الله ﷻ ورسوله ﷺ وعدم جواز مخالفتهما، وأنَّ على المؤمنين جميعاً أن يمتثلوا لها دون تردد، فإنها أرادت بذلك أن تهيئ نفوس المؤمنين لما سيلقى إليهم من أوامر أخرى، وتمثل ذلك بأمر النبي ﷺ لزيد ﷺ بالتمسك بزوجته زينب ﷺ وعدم طلاقها، وتنفيذ النبي بعد ذلك لأمر الله بالتزوج من زينب ﷺ بعد طلاق زيد ﷺ لها.

---

[١] هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وقد يكونان اسمين نحو قوله تعالى: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾، أو فعلين نحو قوله: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى**﴾، أو حرفين نحو قوله: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾، أو مختلفين نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾، فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة. انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: لأحمد الهاشمي (ص ٣٠٣).

[٢] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٨٩).

[٣] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٣٢).

[٤] وهو أن يجمع بين اللفظين الاشتقاق، مثل قوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ**﴾، فلفظ "أقم" و"القيم" مشتقان من مادة لغوية واحدة، وقد يجمع بين اللفظين ما يشبه الاشتقاق، مثل قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ**﴾، فعل "قال" مشتق من "القول" وكلمة "القالين" جمع "القالي" وهو المبغض والهاجر، من "قلاه قلى" إذا أبغضه وهجره، ولكن جمع بينهما ما يشبه الاشتقاق، فقد اشتركا في القاف والألف واللام، وإن كانا من مادتين مختلفتين. انظر: البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حَبَنَّكَة الدمشقي (٢/ ٤٩٨).

[٥] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٨٩).

رابعاً: سبب النزول

روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس بن مالك ﷺ أنّ هذه الآية: **﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾** [الأحزاب: ٣٧] نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة ﷺ.[١]

خامساً: المعنى العام

يخاطب الله ﷻ نبيه ﷺ قائلاً له: واذكر يا محمد وقت قولك لزيد بن حارثة ﷺ، حيث أنعم الله ﷻ عليه بالإسلام والهداية وتوفيقك لحسن تربيته وأنعمت عليه بتحريره من الرّق، تمسك بزوجتك زينب واتق الله ﷻ في أمرها فلا تطلقها لتكبرها إضرارا بها، وأنت وتخفى في نفسك ما الله مظهره وهو نكاحها وعلمك بأن طلاق زيد ﷺ لها لابد منه، خشية حديث الناس أن يقولوا: تزوج مُطَلَّقة مُتَبنَّاه، والله ﷻ أحق أن تخشاه وحده، ولمّا قضى زيد ﷺ منها حاجته ولم يعد يريدها طلقها وجعلها الله ﷻ زوجاً للنبي ﷺ، كي لا يجد المؤمنون حرجاً في أنفسهم من التزوج بأزواج أدعيائهم، وقد كان قضاء الله ﷻ بزواج النبي ﷺ منها كائناً لا محالة، وليس على النبي ﷺ من إثم ولا ينبغي له أن يضيق فيما أحل الله ﷻ له من نكاح مُطَلَّقة مُتَبنَّاه ، بل إنّ هذه سنة الله ﷻ في الأنبياء ﷺ الذين مضوا من قبل النبي ﷺ فيما أباح الله ﷻ لهم من الزوجات، وكان أمر الله ﷻ نافذاً ومقضياً لا محيد عنه.[٢]

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- الناس متساوون فيما بينهم، فلا فرق لعربي على أعجمي، ولا فضل لشخص على آخر بحسبه ونسبه، فالتفاضل إنما يكون بالتقوى والعمل الصالح، والإسلام أتى بالشرائع التي من شأنها القضاء على الفوارق الطبقية المتجذرة في نفوس الناس.[٣]

٢- امتثال الصحابة لأمر رسول الله ﷺ، وهذا يظهر من خلال استجابة زيد ﷺ لطلب النبي ﷺ منه التمسك بزينب ﷺ وعدم طلاقها، مع أنه كان قد عزم على فراقها.

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٥) رقم (١٧٦٩٠)، صحيح البخاري (٦/ ١١٧)، كتاب تفسير القرآن، باب (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ، حديث رقم (٤٧٨٧).

[٢] انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود (٧/ ١٠٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٥).

[٣] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٢٩).

٣- لابد من تقديم النصح والإرشاد عند رؤية ما يعتقد أنه غير صواب ، أو إذا احتاج إليها الآخر أو طلبها، فإن النبي ﷺ لم يبخل على زيد ﷺ بل قام بالنصيحة على أتم وجه.

٤- استعمال الأسلوب المناسب مع الطرف الآخر والذي من شأنه أن يجعله يستجيب للأمر أو النهي، فإنّ النبي ﷺ قال لزيد ﷺ (واتق الله)، لأنه يعلم أن تقوى الله ﷻ في نفس زيد ﷺ مُعَظَّم، وأنّ هذا التذكير له بما يناسبه أَدْعَى لأنْ يجعله يستجيب لنصيحة النبي ﷺ.

٥- الإصلاح بين الزوجين والنصيحة بإمساك الزوجة أولى من طلاق الزوج لها.[١]

٦- الأصل في المؤمن أن يخشى الله ﷻ ولا يخشى غيره، وألّا يدفعه الخوف من الناس والاستحياء منهم وخشية عتابهم إلى عدم فعل الصواب.

٧- الخوف من بعض الأشياء قد يتسلل إلى النفس البشرية فهو شيء فطري، فالنبي ﷺ وهو أفضل الخلق ولم يخش في سبيل نشر هذه الدعوة شيء، قد خشي من حديث الناس وقولهم بأنّ النبي ﷺ تزوج مُطَلَّقة مُتَبنَّاه.

٨- كل ما ورد في التفاسير يتحدث عن أنّ النبي ﷺ قد رأى زينب فوقعت في قلبه، وأخفى هذا الأمر هو غير صحيح، كما أنّ الروايات قد ذكرت دون أسانيد، بل إنّ هذا يتعارض مع فضل النبي ﷺ ومع عصمته،[٢] لذا يجب عدم تلقين وإعطاء الحجة للأعداء للطعن في ديننا، فإن ما دَسَّه البعض في كتب التفسير من رواياتٍ واهيةٍ أو موضوعة، أو ما تساهل المفسرون في نقله دون توثيق، جعلت المستشرقين يتلقفوها ويجدون ضالَّتهم للطعن في النبي ﷺ والخوض في حقه.

٩- الواجب على المؤمن أن يكون الظاهر والباطن عنده سواء اقتداء بالأنبياء ﷺ، فإن الله ﷻ أراد من عتاب نبيه ﷺ إظهار صلابتهم في بيان الأحكام الإلهية، وأن لا يختلف الظاهر عن الباطن.[٣]

---

[١] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٥).

[٢] انظر: أحكام القرآن: لابن العربي المالكي (٣/ ٥٧٦)، وقد قام ابن العربي بتفنيد تلك الشبهات في نفس الصفحة التي ذكرناها وما بعدها، وذكر ردوداً أخرى عليها غير التي ذكرناها.

[٣] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٣٤).

١٠- على الإنسان أن يبتعد عن مواطن الشبهات، حتى يحفظ نفسه عن الألسنة والطعن فيه، والنبي ﷺ حين دخلت الخشية قلبه؛ لأنه خاف من ألسنة الكفار التي ستتحدث في حقه، ومن الطبيعي أن يتجنب الإنسان كل ما من شأنه أن يؤدي إلى ذلك.[١]

١١- الذي يحمل أعباء الدعوة لابد له أن يعلم أن المجتمع لن يتركه بل سيحاول الطعن في كل ما يقوم به، كما أن ألسنة المنافقين ستنتظر الفرصة المواتية للطعن فيه؛ لأن هذا الشيء الذي يأتي به لا يتوافق مع معتقداتهم الفاسدة.

١٢- إنّ لأعراف الناس وعاداتهم تأثيراً كبيراً على سلوكاتهم وأفعالهم،[٢] وهذا يبين أن كثيراً من العادات لا يمكن معالجتها بسهولة، بل لابدّ من تهيئة نفوس الناس لاستقبال هذا التغيير، وهذا أدعى إلى استجابتهم لهذا الأمر وتقبلهم له، وبدء الشخص التغيير بنفسه هو ما يدفع الآخرين إلى التغيير.

١٣- التعليم الفعلي أبلغ من القولي، وإذا اقترن الفعل بالقول فإن هذا أدعى لقبوله.[٣]

١٤- جواز نكاح زوجات الأدعياء، وأنهم ليسوا كأبناء الصلب في الحكم.

١٥- ثبوت الوَلِيّ في النّكاح، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**زَوَّجْنَاكَهَا**﴾.[٤]

١٦- سنن الله ﷻ لا تتبدل ولا تتغير، وإذا قضى أمراً فسينفذ، ولن يستطيع مجابهته أحد.

١٧- الرسول ﷺ قد بلغ كل شيء أُمِر بإبلاغه للناس، فلم يَدَعْ شيئًا مما أُوحِيَ إليه إلا وبلَّغَه، حتى هذا الأمر الذي فيه عتاب لطيف من الله ﷻ لنبيه ﷺ،[٥] وقد روى أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(جاء زيد بن حارثة ﷺ يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله، وأمسك عليك زوجك، قال أنس: ﷺ لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئاً لكتم هذه..)**[٦].

---

[١] انظر: تفسير الشعراوي (١٩/ ١٢٠٤٤).

[٢] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٣٦).

[٣] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٥).

[٤] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ١٩٥).

[٥] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٥).

[٦] صحيح البخاري (٩/ ١٢٤)، كتاب التوحيد، باب ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ [هود: ٧]، ﴿**وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: ١٢٩]، حديث رقم (٧٤٢٠).

١٨- حين يتوكل الإنسان على الله ﷻ ويفوض أمره إليه فإنه لن يضيعه، فلما وكَّلت زينب ﵂ أمرها إلى الله ﷻ واستجابت لأمر الرسول ﷺ بالزواج من زيد كافأها الله ﷻ بأن تولى إنكاحها، فقد دخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق، ولا شي مما يكون شرطاً في حقوقنا، ولهذا كانت زينب ﵂ تفاخر نساء النبي ﷺ بأن الله ﷻ هو الذي زوجها، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك ﵁، يقول عنها: **(...وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ، وكانت تقول: إن الله ﷻ أنكحني في السماء)**[١].

١٩- لمّا نزع الله ﷻ عن زيد الشرف والفخر بأن ينادى زيد بن محمد وأصبح ينادى زيد بن حارثة، بعد نزول قوله تعالى: **﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾** [الأحزاب: ٥]، ولمّا علم الله ﷻ وحشته من ذلك، شَرّفه بأن سماه في القرآن، فيبقى يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن إلى يوم القيامة، كما أنّ الله ﷻ زاد على ذلك فضيلة أخرى بأن أنعم عليه بالهداية والإيمان فقال: **﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾** فدلّ على أنه من أهل الجنة، وعلم ذلك قبل أن يموت،[٢] وفي هذا بيان أنّ الله ﷻ حين يأخذ من أحد شيئاً فقد أبقى له الكثير ليحمد الله ﷻ عليه.

المطلب الرابع: الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والرسل

قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٣٩-٤٠]

أولاً: المعاني اللُّغوية

﴿حَسِيبًا﴾: الحسيب هو اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى، بمعنى الكافي الذي منه كفاية العباد، والمحاسب الذي يحاسب العباد على أعمالهم، والشريف الذي له صفات الكمال والجلال، والمدرك للأجزاء والمقادير التي يعلم العباد أمثالها بالحساب من غير أن يحسب.[٣]

---

[١] صحيح البخاري (٩/ ١٢٥)، كتاب التوحيد، باب **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** [هود: ٧]، **﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [التوبة: ١٢٩]، حديث رقم (٧٤٢١).

[٢] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ١٩٤).

[٣] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (١/ ٤٩١).

ثانياً: وجوه البلاغة

١- طباق السَّلْب في قوله تعالى: ﴿**وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا**﴾.[١]

٢- إظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار في قوله تعالى: ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾، لقصد أن تكون هذه الجملة جارية مجرى المثل والحكمة.[٢]

٣- "عطف صفة ﴿**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾على صفة ﴿**رَسُولَ اللَّهِ**﴾ تكميل وزيادة في التنويه بمقامه ﷺ، وإيماء إلى أنّ في انتفاء أُبُوَّته لأحد من الرجال حكمة قدرها الله ﷻ، وهي إرادة أن لا يكون إلا مثل الرسل أو أفضل في جميع خصائصه"[٣].

ثالثاً: وجوه القراءات

قرأ عاصم ﴿**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾بفتح التاء، وقرأ الباقون ﴿**وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ**﴾بكسر التاء، ومن قرأ ﴿**وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ**﴾ بالكسر فمعناه: أنّه ختم النبيين بنفسه، ومن قرأ ﴿**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾فمعناه: آخر النبيين، لا نبي بعده.[٤]

رابعاً: وجه المناسبة

بعدما ذكر الله ﷻ في الآية السابقة حال النبي ﷺ وموقفه من زيد مع زينب بنت جحش رضي الله عنها، وأنه خشي من حديث الناس والطعن فيه، بيَّن في هذه الآيات حال الأنبياء السابقين عليهم السلام وأنهم لا يخشون أحداً إلا الله ﷻ، وأنَّ على النبي ﷺ السير على نهج هؤلاء الأنبياء السابقين.

خامساً: سبب النزول

روى الطبري عن قتادة رحمه الله في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ**﴾ قال: نزلت في زيد، إنه لم يكن بابنه، وَلَعَمْرِي ولقد وُلِدَ له ذكور؛ إنه لأبي القاسم وإبراهيم والطيب وَالْمُطَهّرِ.[٥]

---

[١] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٨٩).

[٢] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٤٣).

[٣] المرجع السابق (٢٢/ ٤٤).

[٤] انظر: معاني القراءات: للأزهري (٢/ ٢٨٣).

[٥] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٢٧٨).

سادساً: المعنى العام

يخاطب الله ﷻ نبيه ﷺ قائلاً: إنّ من سبقك يا محمد من الرسل عليهم السلام الذين قاموا بأداء هذه الرّسالة، يخافون الله ﷻ في تركهم تبليغ ذلك الأمانة، ولا يخافون أحداً إلا الله ﷻ، فكن يا محمد من أولئك الرسل الذين هذه صفتهم، ولا تخش أحدًا إلا الله ﷻ، فإنّ الله ﷻ يمنعك من جميع خلقه، وكفاك بالله ﷻ حافظاً لأعمال خلقه، ومحاسباً لهم عليها، وإنّ محمداً ﷺ لم يكن أباً لزيدٍ رضي الله عنه ولا لأحدٍ من رجالكم ممن لم يلده النبي ﷺ، لكنّه رسول الله ﷺ ومن ختم به النبوة فلا نبي بعده، فإن الله ﷻ عليمٌ بكل شيء لا تخفى عليه خافية من أقوالكم وأعمالكم.[1]

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- تزكية الله ﷻ لأنبيائه وثنائه عليهم، والتصديق التّام بأنهم قاموا بتبليغ الرسالة للناس ولم يقصروا في أدائها، وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم.

٢- عدم جواز خشية الظالمين وأولياء الشياطين، وإظهار فضيلة الخوف وخشية الله ﷻ، بل إنها من أبرز صفات المؤمنين، ومما يدلل على ذلك ثناء الله ﷻ على أنبيائه عليهم السلام لامتثالهم هذه الصفة، بل إن النبي ﷺ امتدح هذه الصفة قائلاً: **(أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له..)**[2].

٣- بلاغ هذه الدعوة للناس وحمل أمانة هذا الدين يحتاج منّا إلى الشجاعة وألّا نخشى في الله ﷻ لومة لائم، ما دام هذا القول الذي نقوله حقاً وقد أمر الله ﷻ بإبلاغه، ولو كان هذا القول يخالف أهواء كثير من الناس ومعتقداتهم.

٤- الاقتداء بالأنبياء والصالحين، وإرشاد الناس إلى اتخاذ القدوة الحسنة، وضرب الأمثال للناس بمن هو أفضل مِنّا ممن سبقنا، فإن هذا من شأنه أن يجعل المسلم يلتزم بأوامر الله ﷻ.

٥- حمل أمانة الدعوة وشرائع الله ﷻ وتبليغها للناس وخشيته ﷻ مما يرفع من قدر ومكانة صاحبه عند الله ﷻ، ولا ريب أن الأنبياء عليهم السلام هم أحق الناس بذلك، فقد بَلَّغُوا وحملوا لواء التوحيد ووضعوا مخافة الله ﷻ نصب أعينهم، وسيدهم في ذلك النبي محمد ﷺ.[3]

---

[1] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٢٧٧)

[2] صحيح البخاري (٧/ ٢)، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (٥٠٦٣).

[3] انظر: مجلة البحوث الإسلامية (٦٤/ ٣١٠). العدد الرابع والستون، الحكمة في تذييل آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للدكتور: حسين بن محمد شريف هاشم.

٦- أن الله ﷻ ناصر عباده ومؤيدهم وهو كاف لعباده المؤمنين من أعدائهم، كما أنه محاسبٌ لهم.

٧- زيدُ ﷺ ليس بابن للنبي ﷺ وليس النبي ﷺ بأبٍ له، وإن كان النبي ﷺ قد تبناه قبل ذلك.

٨- محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده ولا رسول، وفي هذا رد قاطع على مدعي النبوة كالأسود العنسي، ومسيلمة الكذّاب، وسجاح، وغيرهم من الأفاكين، وقد ورد في ذلك عدة أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ تؤكد هذا المعنى،[١] منها ما رواه أحمد والترمذي عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي...)**[٢].

٩- الأصل عدم معاملة الرسول ﷺ معاملة الآباء، ولا مصاحبته صحبة غيره، ولكن الواجب معاملته معاملة الرسل ﷺ في التعظيم له والتبجيل والإكرام؛ لأنّ أُبُوَّته وشفقته دينية، وشفقة الآباء شفقة دنيوية، ولأنّ الرجل قد يتبسط مع والده في أشياء لا يسع مثله مع رسول الله ﷺ.[٣]

١٠- مقابلة نعم الله ﷻ علينا بالشكر والطاعة، فإن الله ﷻ يعلم ما يصلح لخلقه وما ينفع لهم، حيث شرع لنا ما نحتاج من تشريعات، من ذلك اختياره لرسالة النبي ﷺ لتكون خاتمة الرسالات.[٤]

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٣٨١).

[٢] سنن الترمذي (٤/ ٥٣٣)، أبواب الرؤيا عن رسول الله ﷺ باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، حديث رقم (٢٢٧٢)، مسند أحمد (٢١/ ٣٢٦)، حديث رقم (١٣٨٢٤)، صححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٣٣٦)، حديث رقم (١٦٣١).

[٣] انظر: تأويلات أهل السنة: لأبي منصور الماتريدي (٨/ ٣٩٥).

[٤] انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٢١٨).

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤١-٤٨)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضائل ذكر الله ﷻ

المطلب الثاني: صفات النبي ﷺ

المطلب الثالث: التوكل على الله ﷻ يدفع أذى الكافرين

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤١-٤٨)

المطلب الأول: فضائل ذكر الله ﷻ

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا* تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾** [الأحزاب: ٤١ -٤٤]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿ بُكْرَةً﴾**: البكور هو أول النهار قبل طلوع الشمس، ومنه قوله تعالى: **﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾** [آل عمران: ٤١].[١]

٢- **﴿وَأَصِيلًا﴾**: الأصيل هو وقت ما بعد العصر إلى الغروب.[٢]

ثانياً: وجوه البلاغة

١- الطباق بين: **﴿بُكْرَةً﴾** و**﴿وَأَصِيلًا﴾** وبين: **﴿الظُّلُمَاتِ﴾** و**﴿النُّورِ﴾**.[٣]

٢- الاستعارة في قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾**، حيث إنَّه لما كان من شأن المُصلِّي أن ينعطف في ركوعه وسجوده، أستعير لمن ينعطف على غيره حنوّاً عليه وترؤفاً، كالمرأة في حنوّها على ولدها، ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف، ومنه قولهم: صلى الله عليك، أي ترحّم عليك وترأّف.[٤]

ثالثاً: وجه المناسبة

كان الخطاب في الآيات السابقة موجهاً للنبي ﷺ، وبعد أن ذكر الله ﷻ ما ينبغي أن يكون عليه النبي ﷺ مع ربه من تقواه وإخلاصه له وخشيته دون سواه، وجه الخطاب في هذه

---

[١] انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (١/ ٢٣٤).

[٢] انظر: الكليات: لأبو البقاء الكفوي (ص: ١٢٩).

[٣] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٨٩)

[٤] انظر: الجدول في إعراب القرآن: لمحمود صافي (٢٢/ ١٧١).

الآيات للمؤمنين جميعاً، فَغَيْر الأنبياء ﷺ هم أحوج الناس إلى ذلك، فأرشدهم الله ﷻ إلى تعظيمه وإجلاله بذكره وتسبيحه وحده، ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان،[1] كما أن الآيات السابقة تضمنت حكماً وهو إباحة التزوج بزوجات الأدعياء، وقد كان مثار تحريض وبث للفتنة من المنافقين، ولكي يسلم المؤمنون من هذه الظنون عليهم الاعتصام بالله ﷻ بذكره وتعظيمه فهو من يحفظ عليهم إيمانهم من هذه الأقاويل.[2]

رابعاً: المعنى العام

يوجه الله ﷻ نداءه إلى المؤمنين آمراً إياهم بالذكر الكثير الذي لا حصر له ولا عد، وبتسبيحه أول النهار وآخره، وأنَّه ﷻ يجازيهم على فعلهم ذلك بأن يرحمهم وأن يجعل الملائكة تستغفر لهم، فيخرجهم بذلك من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهذه من رحمته ﷻ بالمؤمنين فلا يعذبهم، وتحيتهم في الجنة سلام وأمان من كل خوف ومن عذاب الله ﷻ، وهيأ لهم ثواباً كريماً جزاء طاعتهم إياه في الدنيا وهو الجنة.[3]

خامساً: سبب النزول

قال مجاهد: **(لمّا نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال أبو بكر: ما أعطاك الله تعالى من خير إلا أشركنا فيه، فنزلت: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ...﴾)**[4].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- ذكر الله ﷻ كثيراً وتسبيحه في جميع الأوقات وسائر الأحوال.

٢- فضيلة الذكر، فهو وسيلة لانتفاع المؤمنين، وسبيلاً لهداية العبد ورحمة الله ﷻ له، كما أنه أمانٌ له في الدنيا وسببٌ لدخول الجنة في الآخرة.

٣- تسبيح الله ﷻ أول النهار وآخره له فضائل عظيمة، ومما يؤكد على قوله تعالى: **﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾**، ما ورد من أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، منها: ما رواه أبو هريرة ﷺ، قال:

---

[1] انظر: تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ١٧).

[2] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٢٨).

[3] انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٧٥).

[4] أسباب نزول القرآن: للواحدي (ص: ٣٦٢).

قال رسول الله ﷺ: **(من قال: حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة، بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه)**[1].

٤- تخصيص التسبيح من أنواع الذكر مع أنه من جملة أنواع الذكر، يُدلِّل على فضله على سائر الأذكار؛ لأنّه بمعنى تنزيه الله عن كل نقص.[2]

٥- فضل وقتي الصبح والعصر، فقد روى أبو هريرة ﷺ: أنّ رسول الله ﷺ قال: **(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر...)**[3].

٦- رحمة الله ﷻ بعباده ولطفه بهم، بهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتسخير الملائكة للاستغفار لهم.[4]

٧- تحية أهل الجنة السلام، سواء كانت تحية الله ﷻ والملائكة لهم، أو تحيتهم لبعضهم البعض.

المطلب الثاني: صفات النبي ﷺ

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾** [الأحزاب: ٤٥ -٤٧]

أولاً: المعاني اللُّغوية

﴿وَسِرَاجًا﴾: السراج هو المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل فيضيئ، وسراج النهار: الشمس، ومنه قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾** [النبأ: ١٣]، **﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾** أي مثل السراج الذي يستضاء به، أو مثل الشمس في النور والظهور.[5]

---

[1] صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧١)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (٢٦٩٢).

[2] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٤٥).

[3] صحيح البخاري (١/ ١١٥)، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث رقم (٥٥٥).

[4] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٤٣).

[5] انظر: لسان العرب: لابن منظور (٢/ ٢٩٧).

ثانياً: وجوه البلاغة

١- الطباق بين: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ و﴿وَنَذِيرًا﴾.[١]

٢- تقديم البشارة على النذارة؛ لأنّ النبي ﷺ غلب عليه التبشير، فهو رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته.[٢]

٣- قوله تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ تشبيه بليغ، أي أرسلناك كالسراج المنير في الهداية الواضحة التي لا لبس فيها ولا تترك للباطل شبهة إلا فضحتها، كما يضيء السراج الوقاد ظلمة المكان، وهذا الوصف يشمل ما جاء به النبي ﷺ من بيان ما في الشريعة من أصول الاستنباط والتفقه في الدين والعلم، فإن العلم يشبه بالنور فناسبه السراج المنير، ووصف السراج ب ﴿مُنِيرًا﴾ مع أنّ الإنارة من لوازم السراج، هو كوصف الشيء بالوصف المشتق من لفظه؛ لإفادة قوة معنى الاسم في الموصوف به الخاص، فإن هدى النبي ﷺ هو أوضح الهدى، وإرشاده أبلغ إرشاد.[٣]

٤- قال الله ﷻ في حق النبي ﷺ: ﴿سِرَاجًا﴾ ولم يقل: إنه شمس مع أنّه أشد إضاءة من السراج لفوائد، منها: أنّ نور الشمس لا يؤخذ منه شيء والسراج يؤخذ منه أنوار كثيرة، فإذا انطفأ الأول يبقى الذي أخذ منه، وكذلك إن غاب النبي ﷺ كان كذلك، فكل صحابي أخذ منه نور الهداية.[٤]

٥- توافق الفواصل[٥] في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ ﴿فَضْلًا كَبِيرًا﴾،[٦] وهذه الفواصل القرآنية مظهر من مظاهر بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وروعة نظمه ووصفه.

---

[١] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٨٩).

[٢] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٥٣).

[٣] انظر: المرجع السابق (٢٢/ ٥٤).

[٤] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٧٤).

[٥] الفاصلة القرآنية هي الكلمات التي تكون في آخر الآيات القرآنية، وهي كقرينة السجع في النثر، وقافية البيت في الشعر، وهذه الكلمات إما أن تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب صيغ النطق بها، فقد تكون فواصل متوازية باتفاق أواخر الآيات في الوزن وحرف الروي كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾، وقد تكون متوازنة باتفاق أواخر آيات في الوزن دون الروي، كقوله تعالى: ﴿وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾، وقد تكون مطرفة باتفاق أواخر الآيات في الروي دون الوزن، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً * جَزاءً وِفاقاً﴾، وقد تكون مرسلة بعدم اتفاق أواخر الآيات لا في الوزن ولا في حرف الروي، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. انظر: معجم علوم القرآن: لإبراهيم الجرمي (ص: ٢٠٧).

[٦] التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٤٥).

ثالثاً: وجه المناسبة

بعدما كان الخطاب في الآيات السابقة موجه للمؤمنين، وُجه الخطاب في هذه الآيات للنبي ﷺ، فقد بينت الآيات السابقة أن الله ﷻ أخرج عباده من الظلمات إلى النور، ومن الضّلالة إلى الهدى، فناسب أن يذكر في تلك الآيات أنه قد أرسل نبيه ﷺ لهذه المهمة، فقد كان سراجاً منيراً وهادياً لهم بإذن الله ﷻ إلى الطريق المستقيم.

رابعاً: المعنى العام

يخاطب الله ﷻ نبيه محمد ﷺ قائلاً له: يا أيها النبي إنَّا أرسلناك شاهدًا على أمتك بإبلاغهم الرسالة، ومبشرًا المؤمنين منهم بالرحمة والجنة إن هم عملوا بما جئتهم به، ونذيرًا للعصاة والمكذبين من النار إن خالفوا ما جئتهم به، وداعيًا إلى توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة بأمره إياك، بحيث يهتدي بك الضالون، فأنت لهم كالنور في ظلمات الكفر والغواية، وإن ما جئت به من الحق بيِّنٌ واضح، لا يجحده إلا مكابر معاند، وبشر أيها النبي المؤمنين بأن لهم فضلاً كبيراً وجزاءً عظيماً ثواباً على إيمانهم بي وطاعتهم لي.[1]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- النبي ﷺ شاهداً على أمته على هذه الرسالة التي جاءهم بها من عند الله ﷻ، وهل هم صدقوا بهذه الرسالة وآمنوا بها أم كذبوها.

٢- بشارة المؤمنين الذين يتبعون ما جاء به النبي ﷺ بالجنة، وإنذارهم بالنار إن عصوا أوامره.

٣- التنوع في استخدام الأساليب في الدعوة إلى الله ﷻ، كاستخدام أسلوبي الترغيب والترهيب والبشارة والإنذار، فإن هذا من شأنه استجابة المخاطَبين.

٤- هذه الأوصاف التي وصف الله ﷻ بها نبيه ﷺ في هذه الآيات، فيها تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين، وتكريم لجميعهم.[2]

٥- خلق الله ﷻ الخلق وأرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين؛ ليؤمنوا به، ولم يخلقهم عبثاً أو يتركهم سدى، وأنهم سيلقون جزاء إيمانهم بالله ﷻ أو كفرهم به.

---

[1] انظر: التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير (١/ ٤٢٤)

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٠٠).

٦- النبي ﷺ جاء ليدعو الناس إلى توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة، وإلى فعل الطاعات والقربات، فهو نورٌ لخلقه، وهداية للناس لمن يتبعه ويتبع ما جاء به.

٧- الأصل فيمن يدعو إلى الله ﷻ أن تكون دعوته خالصة لوجهه ﷻ، لا إلى قوميةٍ أو عصبيةٍ جاهلية، وألّا تكون من أجل الحصول على مالٍ أو جاهٍ أو سلطان.[١]

٨- دعوة المشركين وأهل الجاهلية إلى عبادة الله ﷻ أمر في غاية الصعوبة، والإنسان في ذلك بحاجة إلى تأييد من الله ﷻ، وإلا فالأمر صعب ولن يستطيع القيام بذلك، فالنبي ﷺ أُذِن له بالدعوة، ويتضح ذلك من قوله تعالى: **﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾**، ولكن لما كان الأمر صعباً عليه قال ﷻ: **﴿بِإِذْنِهِ﴾**؛ للإيذان بأنّ الأمر صعب ولا يُسْتَطاع إلا إذا سهَّلَه الله ﷻ ويسره.[٢]

٩- وصف النبي ﷺ بأنه **﴿سِرَاجًا مُنِيرًا﴾**، يشير إلى أنّ الخلق قبل أن يُبْعَث النبي ﷺ قد أطبقت عليهم ظلمات الشرك والضلالة، وهم في ظلمة عظيمة لم يستطيعوا الخروج منها، حتى بعث الله ﷻ النبي ﷺ فكان كالسراج الذي أضاء في الظلمة، فأضاء لهم بهذا الدين قلوبهم، وأنار بصائرهم، فعرفوا الخير والشر.[٣]

١٠- بشارة أهل الإيمان بالثواب الجزيل على طاعتهم لله ﷻ.

المطلب الثالث: التوكل على الله ﷻ يدفع أذى الكافرين

قال تعالى: **﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾** [الأحزاب: ٤٨].

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾**: معناه دع أذى المنافقين، أي: دَعْهُم لا تجازِهِمْ عَلَيْه إلى أن تؤمَرَ فيهم بِأَمْرٍ.[٤]

---

[١] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٧٢).

[٢] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٤٦)

[٣] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٨).

[٤] معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (٤/ ٢٣١).

٢- **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾**: كفى الشيء، أي: حصل به الاستغناء عن غيره، واكتفيت بالشيء استغنيت به أو قنعت به، وكفاه الشيء: سدّ حاجتَه، ومنه قوله تعالى: **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾**، وقوله: **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾**[١]، **﴿وَكِيلًا﴾**: توكَّلَ على الله، أي: اتَّكل واعتمد عليه واستسلم إليه ثقة برحمته وكرمِه، قال تعالى: **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾**، **﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**.[٢]

ثانياً: وجه المناسبة

لما أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بما يَسُر نهاه عما يضر[٣] أي أنه بعدما ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة بشارة المؤمنين بالأجر العظيم والفضل الكبير، ناسب أن يذكر بعدها تحذيره لنبيه ﷺ من طاعة الكافرين والمنافقين، فكانت بشارة المؤمنين في مقابلة طاعة الكافرين والمنافقين.

ثالثاً: المعنى العام

ينهى الله ﷻ نبيه ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين، قائلاً له: لا تطع أيها النبي قول الكافرين والمنافقين في جانب الدعوة أو تبليغ الرسالة، بل كن ليناً معهم، فاصفح عن أذاهم، واصبر على ما تجد منهم، ولا يكن ذلك عائقاً في طريق دعوتك، وثق بالله ﷻ وفوض أمرك إليه واعتمد عليه، فهو كافيك في جميع أمورك وشؤونك.[٤]

تحليل المقاصد والأهداف

١- عدم طاعة الكافرين والمنافقين الذين أظهروا الإيمان، وأبطنوا العداوة والكيد لهذا الدين، ولعباد الله ﷻ الموحدين، وإذا كان النبي ﷺ قد نُهي عن طاعتهم، فكيف بمن دونه؟

٢- الإعراض عن أذى الكافرين والصبر عليه، وإنّ هذا من شأنه أن يدعوهم إلى قبول الإسلام والدخول فيه، وترك إيذائهم له وللمسلمين.[٥]

٣- تفويض الأمر إلى الله ﷻ والتوكل عليه في جميع أمورنا.

---

[١] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد الفيومي (٢/ ٥٣٧).
[٢] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٣/ ٢٤٨٩).
[٣] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي (١٥/ ٣٧٤).
[٤] انظر: تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٢٠).
[٥] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٦٨).

٤- الثقة بالله ﷻ وأنه يحفظنا من كل سوء ويعيننا على القيام بشؤوننا.

٥- عدم السماع للكافرين والمنافين والإعراض عنهم وعدم تلبية مطالبهم، فإنهم يطلبون بعض الأشياء وكأنها موجهة منهم بنصح وإخلاص للمؤمنين، والحقيقة أن ليس لهم غرض صالح أو نافع من وراء ذلك، لكنهم يطمعون إلى تحقيق مآرب أخرى، وهي بعيدة كل البعد عن خدمة هذا الدين أو نفع المسلمين.[١]

[١] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٣٩٠).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤٩-٦٢)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤٩-٥٢)

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٥٣-٥٥)

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٥٦-٦٢)

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤٩-٥٢)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: لا عدّة للمرأة المطلقة قبل الدخول بها

المطلب الثاني: أحكام الحياة الزوجية الخاصة بالنبي ﷺ

المطلب الثالث: نهي النبي ﷺ عن الزواج بغير نسائه أو استبدالهن بغيرهن

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤٩-٥٢)

المطلب الأول: لا عدة للمرأة المطلقة قبل الدخول بها

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾** [الأحزاب: ٤٩]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾**: المسّ هو مسك الشيء باليد، ويكنى بالمساس عن الجماع، قال تعالى: **﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾** [البقرة: ٢٣٧]، وكذلك التماس، قال تعالى: **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾** [المجادلة: ٣]، وفي الحديث: **(وإني أصبت منها ما دون أن أمسها)**[١]، بمعنى أنه لم يجامعها.[٢]

٢- **﴿عِدَّةٍ﴾**: أصل ذلك من العد، فعدة المرأة المطلقة والمتوفى عنها زوجها: هي ما تعده من أيام أقرائها، أو أيام حملها، أو أربعة أشهر وعشر ليال، وعدتها أيضا: أيام إحدادها على الزوج وإمساكها عن الزينة، شهوراً كان أو أقراء، أو وضع حمل حملته من زوجها، وقد اعتدت المرأة عدتها من وفاة زوجها أو طلاقه إياها، أي قد انقضت عدتها، قال تعالى: **﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾**.[٣]

٣- **﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾**: أي اعطوهن المُتْعةُ، وفي الأصل ما يَمتّع به من مالٍ أو ثياب، وقد حدّدها بعض الفقهاء بأنّها: (قميص وخمار ومِلْحَفةً)، والصحيح أن المتعة لا تختص بالكسوة بل هي في لسان الشرع: كل ما يعطيه الزوج لمطلقته ارضاءً لها وتخفيفاً من شدة وقع الطلاق عليها.[٤]

---

[١] صحيح مسلم (٤/ ٢١١٦)، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾** [هود: ١١٤]، حديث رقم (٢٧٦٣).

[٢] لسان العرب: لابن منظور (٦/ ٢١٨).

[٣] تاج العروس: لمرتضى الزبيدي (٨/ ٣٥٧).

[٤] روائع البيان تفسير آيات الأحكام: للصابوني (٢/ ٢٨٦).

٤- ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾: (سرح) السين والراء والحاء أصل واحد، وهو يدل على الانطلاق، يقال أمر سريح، إذا لم يكن فيه تعويق ولا مطل، ويحمل على هذا السراح وهو الطلاق، يقال سرحت المرأة، ومنه قوله تعالى: ﴿سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١] أي طلقوهن.[١]

ثانياً: وجوه البلاغة

١- المجاز المرسل: في قوله تعالى: ﴿إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ﴾، فتسمية العقد نكاحاً مجاز مرسل، علاقته الملابسة، من حيث إنّه طريق إليه.[٢]

٢- أفادت (ثُمَّ) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ "نفى التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح، وبين أن يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزواج ثم يطلقها"[٣].

٣- الكناية عن النكاح بلفظ المماسَّة في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾، حيث إنَّه لم يرد لفظ النكاح في كتاب الله ﷻ إلا في معنى العقد، ومن آداب القرآن: الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والإتيان.[٤]

ثالثاً: وجوه القراءات

قرأ حمزة والكسائي: ﴿تَمَاسُّوهُنَّ﴾ بألف، وقرأ الباقون ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ بغير ألف والتاء مفتوحة، وجه من قال: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ [بغير ألف] أنه جاء على فعل دون فاعل، واللماس: الجماع، فيمكن أن يكون ذلك مصدر فاعل وإذا جاء ذلك في اللّمس أمكن أن يكون المسّ مثله.[٥]

رابعاً: وجه المناسبة

بعدما تناولت الآيات السابقة نساء النبي ﷺ وقصة زيد وتطليقه لزينب ﵂ وكان قد دخل بها، وبيان عدتها، وأن النبي ﷺ قد تزوجها بعد انقضاء عدتها، انتقلت الآيات إلى الحديث

---

[١] مقاييس اللغة: لابن فارس (٣/ ١٥٧).
[٢] إعراب القرآن وبيانه: لدرويش (٨/ ٣٨).
[٣] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٤٨).
[٤] انظر: المرجع السابق (٣/ ٥٤٨).
[٥] انظر: الحجة للقراء السبعة: للفارسيّ (٥/ ٤٧٧).

عن نساء المؤمنين، وبيان حكم الزوجة المطلقة قبل الدخول بها، وأنه لا عدة عليها،[1] يقول الرازي: "وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن الله ﷻ في هذه السورة ذكر مكارم الأخلاق وأدب نبيه ﷺ على ما ذكرناه، لكن الله ﷻ أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه المرسل، فكلّما ذكر للنبي ﷺ مكرمةً وعلمه أدباً ذكر للمؤمنين ما يناسبه... بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله ﷻ فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾** ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ...﴾**... ثم ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بجانب نبيهم ﷺ، فقال بعد هذا: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ...﴾** وبقوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ...﴾**"[2].

خامساً: المعنى العام

يا أيها الذين آمنوا إذا تزوجتم المؤمنات ثم طلقتموهن قبل أن يحصل بينكما جماع، فلا عدّة تحصونها عليهن بأيام يتربصن بها تستوفون عددها، ولكن أعطوهنّ ما يتمتعنّ به من كسوة وغيرها تليق بحالهنّ، وأخرجوهنّ بالمعروف إخراجاً جميلاً، وهيّئُوا لهنّ من جميل المعاملة ما تقرّ به أعينهن.[3]

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- الأولى بالمؤمن أن يختار مؤمنةً مثله لتكون زوجاً له، والأليق به أن يتخير لنطفته، وأن لا ينكح إلا عفيفة مشهورة بالدين والتقوى، تحافظ على عفتها، وتحفظ عرض زوجها، وأن يبتعد عن الفاسقات، ومن باب أولى الكافرات،[4] فإن المرأة الكتابية وإن كان الشرع قد أحل لنا الزواج بها، إلا أنها غير مؤتمنة على تربية الأبناء وعلى دينهم، فعن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: **(تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم)**[5].

٢- إباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها.[6]

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٠٢).

[2] مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٧٥).

[3] انظر: تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٢١).

[4] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٤٨).

[5] سنن ابن ماجه (١/ ٦٣٣)، كتاب النكاح، باب الأكفاء، حديث رقم (١٩٦٨)، حسنه الألباني.

[6] تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٣٨٩).

٣- الطلاق وإن كان مباحاً للتخلص من عدم السعادة الزوجية لكن الأولى عدم إيقاعه، بل هو غير محبوب؛ لأنه يقطع الصلات ويفسد العلاقات وفيه خراب البيوت وتشتيت الأبناء؛ لذا لابد من التريث والتمحيص قبل الطلاق، لعل الله ﷻ يصلح بين الزوجين بوسائل أخرى غيره.[١]

٤- لا يلزم الرجل الذي يحلف بطلاق المرأة قبل أن ينكحها أي شيء، فإن الله ﷻ قد ذكر في الآية الطلاق بعد النكاح، كما استدل العلماء بمهلة ﴿ثُمَّ﴾ التي تفيد التراخي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾.[٢]

٥- تحريم نكاح المتعة، فإن الله ﷻ لم يُحَرِّم الزوجات على الأزواج إلا بالطلاق، مع ما يوجد من أحكام ما بين الأزواج، في حين أن نكاح المتعة نجده ينفسخ بلا إحداث طلاق فيه، ولا توجد فيه أحكام الأزواج.[٣]

٦- التأدب في الحديث وعند انتقاء واختيار الألفاظ، بحيث تكون ألفاظاً حميدةً مقبولةً غير خادشة للحياء، فإن الله ﷻ كنى عن النكاح بلفظ المماسة، مع أن لفظ النكاح لا شيء فيه، فكيف بمن يتحدث ألفاظاً بذيئة قد نهانا الإسلام عن التلفظ بها؟

٧- إذا طلق الرجل زوجته التي عقد عليها قبل أن يدخل بها فإنّ طلاقه لها يعد طلاقاً بائناً.

٨- لا عدة على المرأة المطلقة قبل الدخول بها؛ لأن الحكمة من العدة استبراء الرحم من الحمل، كي لا تختلط الأنساب، ولا ينسب إلى رجل ما ليس منه، أما في حالة عدم الدخول بالمرأة فالرحم بريئة، ولا عدة إذن عليها،[٤]وفي إسناد العدّة إلى الرجال إشارة إلى أنها حقّ للمطلّق، فوجوب العدّة على المرأة من أجل الحفاظ على نسب الإنسان، ولكنّها ليست حقاً خالصاً للعبد، فإن منع الفساد باختلاط الانساب من حق الشارع، فلا يحق له إسقاط هذا الحق، لما فيه من حق الله ﷻ.[٥]

٩- حرمة إيذاء المطلّقة وأن يكون تسريحها بالمعروف والإحسان.[٦]

---

[١] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٢٢٦).
[٢] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٣٩٠).
[٣] انظر: تفسير الإمام الشافعي: للشافعي (٣/ ١٢٠٦).
[٤] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٧٥).
[٥] انظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام: للصابوني (٢/ ٢٨٨).
[٦] المرجع السابق (٢/ ٢٩٦).

١٠- مشروعية المتعة لكل مطلقة.[١]

١١- حسن معاملة الزوجات وعدم الإساءة إليهنّ، حتى إن اضطر الزوج إلى الطلاق بعد عدم استقرار الحياة الزوجية فقد أمر الله ﷻ أن يكون الطلاق دون ظلم، أو هضم للحقوق، أو استنقاص من شأنها، "وإذا أمر الله ﷻ بالتمتع والإحسان مع من لا مودة بينه وبينها، فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة إليها بالإفضاء، أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما"[٢]، فالإحسان إلى الزوجة المدخول بها من باب أولى.

المطلب الثاني: أحكام الحياة الزوجية الخاصة بالنبي ﷺ

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٥٠-٥١]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿أُجُورَهُنَّ﴾**: مهورهنَّ.[٣]

٢- **﴿مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾**: أي الإماء.

٣- **﴿أَفَاءَ﴾**: أفاء الله ﷻ المال ونحوه عليه: أي جعله فيئاً أي: غنيمةً له، قال تعالى: **﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾** [الحشر: ٧]، وأفاء الله ﷻ عليه: أنعم وأعطى، ومنه قوله تعالى: **﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾**.[٤]

---

[١] أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٧٩).

[٢] مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٧٥).

[٣] معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (٤/ ٢٣٢).

[٤] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٣/ ١٧٥٧).

٤- **﴿تُرْجِي﴾**: يقال أرجأت الأمر وأرجيته، إذا أخرته، قال تعالى: **﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾** [التوبة: ١٠٦]، وقد سميت المرجئة بذلك، لأنهم قدموا القول وأرجئوا العمل، أي أخروه.[١]

٥-**﴿وَتُؤْوِي﴾**: آوى فلانا إليه أي ضمه إليه، وأسكنه وأنزله مطمئنا عنده، منه قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾** [يوسف: ٦٩] وقال تعالى: **﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾**.[٢]

٦- **﴿عَزَلْتَ﴾**: (عزل) العين والزاي واللام أصل صحيح يدل على تنحية وإمالة، تقول: عزل الإنسان الشيء يعزله، إذا نحاه في جانب، وهو بمعزل وفي معزل من أصحابه، أي في ناحية عنهم، والعزلة: الاعتزال، والرجل يعزل عن المرأة، إذا لم يرد ولدها.[٣]

٧- **﴿تَقَرَّ﴾**: قرّ عينه أي سرّ ورضي فهو قرير العين، ويقال قرّ بهذا الأمر عينا، وفي التنزيل **﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾** [طه: ٤٠]،[٤] وأقرّ الله ﷻ عينه: أي أعطاه حتى تقر عينه فلا تطمح إلى من هو فوقه.[٥]

ثانياً: وجوه البلاغة

١- الطباق بين: **﴿تُرْجِي﴾** و**﴿تُؤْوِي﴾** وبين: **﴿ابْتَغَيْتَ﴾** و **﴿عَزَلْتَ﴾**.[٦]

٢- إفراد لفظ (عم) وجمع لفظ (عمات) لأن العم في استعمال كلام العرب يطلق على أخي الأب وأخي الجد وجد الأب وهكذا، فهم يقولون: هؤلاء بنو عم أو بنات عم، إذا كانوا لعم واحد أو لعدة أعمام، أما لفظ (العمة) فإنه لا يراد به الجنس في كلامهم، فإذا قالوا: هؤلاء بنو عمة، أرادوا أنهم بنو عمة معينة، فجيء في الآية: عماتك جمعاً؛ لئلا يفهم منه بنات عمة معينة، وكذلك القول في إفراد لفظ (الخال)،[٧] ويقول الألوسي: "إنه لما كان المفرد أصلاً والمجموع فرعه، والمذكر أصلاً والمؤنث فرعه، أتى بالعم والخال المذكرين مفردين وبالعمة والخالة

---

[١] تهذيب اللغة: للأزهري (١١/ ١٢٥).

[٢] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (١/ ١٤٢).

[٣] مقاييس اللغة: لابن فارس (٤/ ٣٠٧).

[٤] المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون (٢/ ٧٢٤).

[٥] مقاييس اللغة: لابن فارس (٥/ ٨).

[٦] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٨٩).

[٧] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٦٦).

المؤنثين مجموعين فاجتمع في الأولين أصلان، وفي الأخيرين فرعان، بحكم شبيه الشيء منجذب إليه، وإنّ الطيور على أشباهها تقع، وما ألطف هذا الاجتماع في منصة مقام النكاح؛ لما فيه من الإشارة إلى الكفاءة، وأن المناسب ضم الجنس إلى جنسه كما يقتضيه بعض الآيات...وأيضاً في الانتقال من الإفراد إلى الجمع في جانبي العمومة والخئولة، إشارة إلى ما في النكاح من انتقال كل من الزوج والزوجة من حال الانفراد إلى حال الاجتماع"[1].

٣- الالتفات في قوله تعالى: **﴿نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها﴾**، حيث عدل عن الخطاب إلى الغيبة، للإيذان بأنه مما خص به وأوثر، ومجيئه على لفظ النبي ﷺ للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوّة، وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته.[2]

ثالثاً: وجوه القراءات

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (ترجئ) مهموزاً، وقرأ عاصم في رواية حفص ونافع وحمزة والكسائي بغير همز، وقد جاء في هذا الحرف الهمز وغيره.[3]

رابعاً: وجه المناسبة

بعدما ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة نكاح المؤمنات والأحكام المتعلقة بهنّ، ناسب ذلك أن يتحدث عن زوجات النبي ﷺ وما يتعلق بهنّ من أحكام ، وما شرف الله ﷻ به نبيه ﷺ من أحكام وخصه بها دون سائر المؤمنين، كهبة المرأة نفسها له، وتخييره في القسم بين الزوجات.

خامساً: سبب النزول

نزل قوله تعالى: **﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾**، حين غار بعض نساء النبي ﷺ وآذينه بالغيرة فطلبن زيادة النفقة، فهجرهنّ رسول الله ﷺ شهراً حتى نزلت آية التخيير، وأمر الله ﷻ أن يخيرهنَّ بين الدنيا والآخرة، وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٢٣٥).

[2] انظر: الجدول في إعراب القرآن: لمحمود صافي (٢٢/ ١٧٧).

[3] الحجة للقراء السبعة: للفارسي (٥/ ٤٧٨).

منهنَّ من اختارت الله ﷻ ورسوله ﷺ، على أنهنَّ أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبداً، وعلى أن يؤوي إليه من يشاء ويرجي منهنَّ إليه من يشاء، فرضين به قسم لهنَّ أو لم يقسم... .[1]

سادساً: المعنى العام

يا أيها النبي إنَّا أبحنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهنَّ مهورهنَّ، وأبحنا لك ما مَلَكَتْ يمينك من الإماء، مما أنعم الله ﷻ به عليك، وأبحنا لك الزواج من بنات الأَعمام والعمات والأخوال والخالات ممن هاجرن معك، وأبحنا لك النساء اللاتي مَنَحَن أنفسهنَّ لك هبة من غير مهر، إن كنت تريد الزواج منها، وهذه خاصة لك، وليس لغيرك من المؤمنين أن يتزوج امرأة بالهِبَة ودون مهر، قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم وإمائهم بألا يتزوجوا فوق أربع نسوة، وما أرادوا من الإماء، واشتراط الوليّ والمهر والشهود عليهم، ولكنّا رخصنا لك في ذلك، ووسَّعْناه عليك دون غيرك؛ لئلا يضيق صدرك وتجد مشقةً في نكاح مَن نكحت مِن هؤلاء الأصناف، فإنَّ الله ﷻ واسع المغفرة والرحمة، ولك يا رسول الله ﷺ أن تؤخر مَن تشاء مِن نسائك في القَسْم في المبيت، وتضم إليك مَن تشاء منهنَّ، ومَن طَلَبْتَ ممن أخَّرت قَسْمها، فلا إثم عليك في هذا، ذلك التخيير أقرب إلى أن يفرحن ولا يحزنَّ، ويرضين كلهنَّ بما قسمت لهنَّ، والله ﷻ يعلم ما في قلوب الرجال مِن الميل والحب وغير ذلك، لذا وسع على النبي ﷺ في ذلك، وكان الله ﷻ عليمًا بما في القلوب، حليمًا لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.[2]

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- التحليل والتحريم والتشريع كله خاص بالله ﷻ وحده، فالذي أحل للنبي ﷺ هؤلاء الزوجات هو الله ﷻ، والرسول ﷺ إنما هو مبلّغ عن الله ﷻ ولا يملك أحد سلطة التشريع غير الله ﷻ، وقد قال تعالى: **﴿إِنِ الحكم إِلاَّ للَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تعبدوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾** [يوسف: ٤٠].[3]

٢- تسمية المهر في العقد أولى من ترك تسميته، وإن كان هذا العقد جائزاً، كما أنَّ التعجيل في المهر أفضل من تأجيله، وهذا هو المعروف عن السلف، حيث إنَّ الله ﷻ لا يختار لنبيه ﷺ إلا الأفضل والأكمل والأطيب.[4]

---

[1] أسباب نزول القرآن: للواحدي (ص: ٣٥٧).

[2] انظر: التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير (١/ ٤٢٤).

[3] انظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام: للصابوني (٢/ ٣٠٤).

[4] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٤٩).

٣- إكرام الله ﷻ لرسوله ﷺ بالتيسير والتخفيف عليه في كثير من الأحكام.[١]

٤- أباح الله ﷻ لنبيه ﷺ تعدد الزوجات وأن يجمع بين أكثر من أربع نسوة، وهذه خاصة بالنبي ﷺ، وقد ذكر العلماء حكم كثيرة لتعدد زوجات النبي ﷺ يطول الحديث عنها، كالحكم التشريعية أو السياسية أو الاجتماعية.

٥- ما غنم من سبي من دار الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب[٢]، حيث إنَّ فَيْء الله ﷻ لا يطلق إلا على الطيب، ولا يختار الله ﷻ لنبيه ﷺ إلا ما كان طيباً، كما أنَّ المهاجرات مع النبي ﷺ أفضل من غير المهاجرات معه.[٣]

٦- لا تحل الكافرة للنبي ﷺ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾ .[٤]

٧- على المرأة أن تسعى إلى الزوج صاحب الدين والخلق، والذي يكون بالتزوج منه سعادة الدارين، والتقرب إلى الله ﷻ، فمن وهبت نفسها للنبي ﷺ فقد أرادت أن تفوز برضوان الله ﷻ، بخلاف ما نرى اليوم من طلب النساء التزوج ممن لا توجد عنده مروءة أو أخلاق، إنما هو لإرضاء نفسها وشهوتها، ولإظهار نفسها أمام الآخرين، إن كان زوجها صاحب مال أو جاه أو سلطان.

٨- انعقاد النكاح بلفظ الهبة من خصوصيات رسول الله ﷺ.

٩- في رد الهبة أذية لقلب الواهب، ولأنَّ من صفات النبي ﷺ ومكارم أخلاقه قبولها، رفع الله ﷻ الحرج عن حق النبي ﷺ بتخييره بقبولها أو ردها، لإبطال ظن الناس في عاداتهم،[٥] وفي هذا بيان لجواز قبول الهبة أو ردها، لكنَّ المعروف في أخلاقنا قبولها، فهي تقرب القلوب من بعضها البعض.

١٠- أراد الله ﷻ بالتيسير على النبي ﷺ في هذه الأحكام أن يتفرغ قلبه لنزول الوحي من السماء، بحيث ينزل على قلب ليس منشغل بأي شيء، ليبلغ رسالات ربه وهو منشرح الصدر

---

[١] انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٨٤).

[٢] الجلب: ما يجلب من السبي أو الغنم. انظر: العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (٦/ ١٣٠).

[٣] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٥٠).

[٤] التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٧٠).

[٥] انظر: أحكام القرآن: لابن العربي (٣/ ٥٩٦).

مطمئن البال،[1] ويفهم من ذلك أن المسلم لابد وأن يفرغ قلبه عند ذكر الله ﷻ؛ ليكون متصلاً به، لا يشغله عن ذكر الله ﷻ شيء، فإنَّه لا يجتمع الذكر وشيء آخر في القلب معاً، وقد قال تعالى: **﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾** [الأحزاب: ٤].

١١- بيان سعة رحمة الله ﷻ ومغفرته لعباده المؤمنين.[2]

١٢- وجوب العدل بين النساء في كل شيء يقدر عليه الزوج، وقد روى أبو هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **(من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة، وشقه مائل)**[3]، فإباحة الله ﷻ التخيير للنبي ﷺ في إيواء وعزلة من شاء من زوجاته، دل على أنَّ العدل بينهنَّ كان واجباً، وأنَّ الله ﷻ أسقط عنه ذلك.

١٣- ميل الإنسان القلبي معفوٌ عنه، ولا يأثم عليه صاحبه، كالميل لزوجةٍ دون أخرى، وميل الأب إلى أحد أبنائه دون الآخر، فإنَّ الإنسان لا يستطيع أن يتحكم في ميله القلبي، وإن هذه النوازع والخواطر لا يملكها الإنسان غالباً.

١٤- الإنسان مباح له أشياءُ كثيرة، لكنَّ الأولى أن يبتعد عنها لعدم إرضاء هواه، فإنَّ النبي ﷺ قد أبيح له عدم القسم بين زوجاته، لكنه عدل بينهنَّ في القسمة حتى مات، وهذا ما أشارت إليه الروايات.

١٥- أمر الله ﷻ وتفويضه للمؤمنين يطمئن النفوس؛ لأنه جاء من عند الله ﷻ، حيث إنَّ هذه الرُّخصة من عند الله ﷻ لنبيه ﷺ كانت أقرب لرضاء زوجات النبي ﷺ وأقلّ لحزنهنّ وأقرّ لعيونهنّ؛[4] "لأنَّ المرء إذا علم أنَّه لا حق له في شيء كان راضياً بما أوتي منه وإن قل، وإن علم أنَّ له حقاً لم يقنعه ما أوتي منه، واشتدت غيرته عليه وعظم حرصه فيه"[5].

١٦- يشير قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِكُمْ﴾** إلى أنَّ الأصل في القلوب أن تكون مستودعاً للخير والإحسان، فصلاح القلوب صلاح للحياة الزوجية، أما فسادها وقيامها على

---

[1] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٧٦).

[2] أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٨١).

[3] سنن الدارمي (٣/ ١٤١٥)، كتاب النكاح، باب في العدل بين النساء، حديث رقم (٢٢٥٢)، صححه الداراني.

[4] انظر: تفسير القرآن: لأبي المظفر السمعاني (٤/ ٢٩٨).

[5] الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢١٦).

الغش والخداع، سيجعل الحياة الزوجية في نكد وشقاء، ووصف الله ﷻ نفسه بالحلم دعوة لكلا الزوجين إلى الرفق والصبر على ما يقع في الحياة الزوجية من أمور لا توافق هوى الزوجين أو أحدهما.[1]

المطلب الثالث: نهي النبي ﷺ عن الزواج بغير نسائه أو استبدالهنّ بغيرهنّ

قال تعالى: **﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾** [الأحزاب: ٥٢]

أولاً: المعاني اللغوية

١- **﴿حُسْنُهُنَّ﴾**: الحُسْنُ: الجَمالُ، والحُسْنُ نَقِيضُ القُبْح، وهو نَعْتٌ لمَا حَسُن، والحُسْنُ عِبارَةٌ عَن كلِّ مُسْتَحْسَنٍ مَرْغُوبٍ، سواء كان مُسْتَحْسَن مِن جِهَةِ العَقْل، أو الهَوَى، أو الحسّ، والحُسْنُ أَكْثَر مَا يقالُ فِي تَعارفِ العامَّةِ فِي المُسْتَحْسَن بالبَصَرِ، وأَكْثَر مَا جاءَ فِي القُرْآن فِي المُسْتَحْسَن مِن جهَةِ البَصِيرَةِ.[2]

٢- **﴿رَقِيبًا﴾**: "الرَّقيب: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، ولا تخفى عليه خافية، والذي لا يغفل عمّا خلق، والمترقّب المنتظِر من عباده خضوعَهم له، وخشيتَهم منه، وخشوعَهم لعظمته، **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء: ١] أي: مراعيًا حافظًا"[3].

ثانياً: وجوه القراءات

في قوله تعالى: **﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾** قرأ أبو عمرو ويعقوب **﴿لَا تَحِلُّ﴾** بالتاء، وقرأ الباقون **﴿لَا يَحِلُّ﴾** بالياء، قال الفراء[4]: من قرأ بالياء فالمعنى: لا يحل لك شيء من النساء،

---

[1] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب. (١١/ ٧٣٩).

[2] تاج العروس: للمرتضى الزبيدي (٣٤/ ٤١٨).

[3] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٢/ ٩٢٤).

[4] أبو زكريا يحيى بن زياد، المعروف بالفراء، من أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، قيل عنه: لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية، وقد وكله المأمون ليلقن ابنيه النحو، من مصنفاته: المعاني، اللغات، توفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: وفيات الأعيان: لابن خلكان (٦/ ١٧٦).

ولذلك اختير تذكير الفعل، قال: ولو كان المعنى للنساء جميعاً لكان التأنيث أجود في العربية، قال: والتاء جائزة لظهور النساء، وقال الزجاج[1]: من قرأ بالياء فلأن المعنى جمع النساء، ومن قرأ بالتاء أراد: جماعة النساء.[2]

ثالثاً: وجه المناسبة

بعدما أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بما قد يشقّ عليه من تخصيصه بما ذكر من الأحكام، خشية من طعن بعض من لم يتمكن إيمانه من القلب، وبعدما ختم بما يسرُّ أزواجه ﭫ، وصل ذلك بما يزيد من سرورهنّ من تحريم الزواج بغيرهنّ شكراً لهنّ ومكافأةً على اختيارهنّ الله ﷻ ورسوله ﷺ على الحياة الدنيا.[3]

رابعاً: المعنى العام

لا يحل لك أيها النبي ﷺ النساء بعد زوجاتك ﭫ اللاتي في عصمتك، جزاء اختيارهنَّ الله ﷻ ورسوله ﷺ، كما لا يحل لك أن تُطَلِّق بعضهنَّ فتأخذ بدلاً منها، ولو أعجبك حسن غيرهنَّ من النساء فهذا لا يحل لك، إلا ما ملكت يمينك من الإماء فهو جائز لك، فإن الله ﷻ مُطَّلع على كل الأمور، ولا تخفى عليه خافية.[4]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- لا يحل للنبي ﷺ التزوج بغير زوجاته التسع أو الاستبدال بهنّ.

٢- أباح الله ﷻ لنبيه ﷺ نكاح من شاء من السراري[5] غير زوجاته.

---

[1] هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل، المعروف بالزجاج، وهو عالم بالنحو واللغة، من مصنفاته: معاني القرآن، إعراب القرآن، كتاب الأمالي في الأدب واللغة، توفي في بغداد سنة ٣١١هـ. انظر: الأعلام: للزركلي (١/٤٠).

[2] معاني القراءات: للأزهري (٢/ ٢٨٤).

[3] انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي (١٥/ ٣٨٧).

[4] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧٠).

[5] جمع سُرِّيَّةُ بالضم، وهي الأمة التي بوأتها بيتا واتخذتها للملك والجماع، وهي منسوبة إلى السر بالكسر، لأن الإنسان كثيرا ما يسرها ويسترها عن حرته، قيل: إنما ضمت السين للفرق بين الحرة والأمة توطأ، فيقال للحرة إذا نكحت سراً، أو كانت فاجرة: سِرِّيَّة، وللمملوكة يتسراها صاحبها سُرِّيَّةُ، مخافة اللبس، وقيل سميت الجارية سُرِّيَّةُ لأنها موضع سرور الرجل. انظر: تاج العروس (١٢/ ١٣).

٣- لمّا خيَّر رسول الله ﷺ نساءه واخترن البقاء معه أحسن إليهنَّ بحرمة الزواج من غيرهنَّ أو الاستبدال بهنَّ، مكافأة لهنَّ على فعلهنَّ،[١]ومن ذلك يتبين أنَّ من يتمسك بدينه ويلازم أهل التقوى فإنَّ الله ﷻ يكافئه على ذلك، كما أنَّ علينا مقابلة الإحسان بالإحسان.

٤- جواز نظر الرجل إلى من يريد خطبتها والزواج منها، فعن المغيرة بن شعبة ﷺ، أنَّه خطب امرأة، فقال النبي ﷺ: **(انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم[٢] بينكما)**[٣]، كما أنَّ الأمر بالنظر إلى المخطوبة فيه إرشاد إلى المصلحة، فإنَّه إذا نظر إليها، فلعله يرى منها ما يرغبه في نكاحها.[٤]

٥- مراقبة الله ﷻ في جميع أوقاتنا، فهذا يبعث على الالتزام بأوامره ﷻ وعدم مخالفته.

---

[١] الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٠٦).

[٢] يؤدم يعني أن يكون بينهما المحبة والاتفاق. انظر: مقاييس اللغة (١/ ٧٢).

[٣] سنن الترمذي (٣/ ٣٨٩)، أبواب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة، حديث رقم (١٠٨٧)، صححه الألباني.

[٤] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٧٨).

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٥٣-٥٥)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أحكام دخول المسلمين بيوت النبي ﷺ

المطلب الثاني: حرمة إيذاء النبي ﷺ بنكاح زوجاته بعد وفاته

المطلب الثالث: المحارم الذين أبيح للنساء أن يظهرن أمامهم

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٥٣-٥٥)

المطلب الأول: أحكام دخول المسلمين بيوت النبي ﷺ

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ...﴾** [الأحزاب: ٥٣]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾**: الأنى من بلوغ الشيء منتهاه وغايته، وقد أنى أي أدرك وبلغ، وإنى الشيء: بلوغه وإدراكه، والإنى: النضج، وقوله تعالى: **﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾** أي غير منتظرين نضجه وإدراكه وبلوغه.[١]

٢- **﴿طَعِمْتُمْ﴾**: الطعام ما يؤكل وربما خص بالبر، والطَّعْمُ ما يؤديه الذوق يقال: طعمه مر، والطَّعْمُ أيضا ما يشتهى منه، يقال: ليس له طعم وما فلان بذي طعم إذا كان غثا، و(الطُّعْمُ) الطعام وطَعِمَ طُعْمًا إذا أكل أو ذاق فهو طَاعِمٌ قال تعالى: **﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾** وقال: **﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾**[البقرة: ٢٤٩] أي ومن لم يذقه، ويقال: فلان قل طُعْمُهُ أي أكله.[٢]

٣- **﴿مُسْتَأْنِسِينَ﴾**: استأنس بفلان: أنس به، فسكن إليه وذهبت به وحشته، وألفه واطمأن إليه، استأنس بلقاء صديقه: فرح وسعد به، واستأنس برأيه: أخذ رأيه وتشاور معه، واستأنس لفلان: وجد إيناسا فأطال الجلوس معه ليتسمع له، منه قوله تعالى: **﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾**.[٣]

٤- **﴿مَتَاعًا﴾**: المتاع: عام في جميع ما يمكن أن يطلب على عرف السكنى والمجاورة من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا.[٤]

---

[١] لسان العرب: لابن منظور (١٤/ ٤٨).

[٢] مختار الصحاح: للرازي (ص: ١٩٠).

[٣] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (١/ ١٢٩).

[٤] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٣٩٦).

ثانياً: وجوه البلاغة

١ – الإضافة للتشريف في قوله تعالى: **﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾**.[١]

٢ – الطباق بين قوله تعالى: **﴿فَادْخُلُوا﴾** و **﴿فَانْتَشِرُوا﴾**، وطباق السلب في قوله تعالى: **﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾**.[٢]

٤– المجاز في قوله **﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾** وعلاقة هذا المجاز السببية؛ لأنّ من استحيا من شيء تركه عادة والكلام جار مجرى المثل.[٣]

ثالثاً: وجه المناسبة

يوجد وجهان للمناسبة:

١– لمّا ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة الأحكام الخاصة بالنبي ﷺ وآدابه مع أزواجه ﭫ، ناسب ذلك أن يتبع هذه الآيات بذكر أحوال المؤمنين والآداب الواجب عليهم فعلها عند دخول بيوت النبي ﷺ وآدابهم مع زوجاته ﭫ.[٤]

٢– بعد بيان حال النبي ﷺ مع أمته بأنه مبشر وداع إلى الله ﷻ، أبان الله ﷻ حال المؤمنين مع النبي ﷺ، فكما أنّ دخولهم الدين كان بدعوته، كذلك لا يكون دخول بيته إلا بدعوته، ولمّا منع الله ﷻ الناس من دخول بيوت النبي ﷺ، وكان في ذلك تعذر الوصول إلى استعارة بعض الحوائج، بَيّن أنّ ذلك جائز، ولكنّه يكون من وراء حجاب.[٥]

رابعاً: سبب النزول

تناولت هذه الآية أمرين، الأول هو آداب دخول بيت النبي ﷺ، والثاني مسألة الحجاب، وقد ذكر العلماء عدة أسباب لنزول هذه الآية، منها ما يتعلق بمسألة دخول بيوت النبي ﷺ، ومنها ما هو متعلق بمسألة احتجاب نساء النبي ﷺ، أما سبب نزول آداب الدعوة إلى الطعام هو ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: أنا أعلم الناس بهذه الآية: آية الحجاب **(لما أهديت زينب**

---

[١] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٩٦).

[٢] المرجع السابق (٢/ ٤٩٦).

[٣] إعراب القرآن وبيانه (٨/ ٤٢).

[٤] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٨١).

[٥] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٨٥).

بنت جحش ﵂ إلى رسول الله ﷺ، كانت معه في البيت صنع طعاماً ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] **إلى قوله ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾** [الأحزاب: ٥٣] **فضرب الحجاب وقام القوم).**[١]

وفي سبب نزول حجاب نساء النبي ﷺ عدة روايات:

١- ما رواه عمر بن الخطاب ﵁ قال: **(وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾** [البقرة: ١٢٥] **وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فنزلت آية الحجاب...)**[٢].

٢- عن عائشة ﵂ قالت: **(كنت آكل مع النبي ﷺ حَيْسًا**[٣]**، فَمَرَّ عمر، فدعاه فأكل، فأصابت يده إصبعي، فقال: حَسِّ**[٤]**، أُطَاعُ فَيَكُنَّ مَا رَأَتْكُنَّ عَيْنٌ، فنزل الحجاب)**[٥].

٣- عن عائشة ﵂: **(أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع**[٦] **وهو صَعِيدٌ أَفْيَحُ**[٧]**، فكان عمر ﵁ يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة ﵂، زوج النبي ﷺ، ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة،**

---

[١] صحيح البخاري (٦/ ١١٩)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: **﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ...﴾**، حديث رقم (٤٧٩٢).

[٢] المرجع السابق (١/ ٨٩)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومن لم ير الإعادة على من سها، فصلى إلى غير القبلة، حديث رقم (٤٠٢).

[٣] الْحَيْسُ هُوَ الْأَقِطُ وَالتَّمْرُ وَالسَّمْنُ يُخْلَطُ وَيُعْجَنُ. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي (٩/٢٢٢).

[٤] حِسَّ بكسر السين والتشديد كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما أحرقه كالجمرة والضربة ونحوهما. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: للهروي (٩/ ٣٩٠٥).

[٥] الأدب المفرد مخرجا (ص: ٣٦٢)، باب أكل الرجل مع امرأته، حديث رقم (١٠٥٣)، صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٤٢١).

[٦] هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة، واحدها: منصع؛ لأنه يبرز إليها ويظهر، وهي مواضع مخصوصة خارج المدينة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير الجزري (٥/ ٦٥).

[٧] الصعيد: وَجه الأَرْض، والأفيح الْوَاسِع وَزَاد فيحاً أَي وسعة. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين العيني (٢/ ٢٨٣).

فناداها عمر ﷺ: ألا قد عرفناك يا سودة، حرصا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله ﷻ آية الحجاب)[1].

ويمكن الجمع بين هذه الروايات المذكورة بأنها وقعت قبل قصة زينب، ولقربه منها أطلقت نزول الحجاب بهذا السبب، ولا مانع من تعدد الأسباب.[2]

خامساً: المعنى العام

"يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا في حال إذنه لكم لتناول الطعام غير منتظرين وقت إدراكه، ولكن إذا دعاكم الرسول ﷺ فادخلوا، فإذا طعمتم فانصرفوا، ولا تمكثوا بعد ذلك مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً؛ لأنّ الدخول بدون إذنه وإطالة المكث بعد الطعام كان يؤذى النبي ﷺ فيستحى أن يطلب إليكم الخروج، ولكن الله ﷻ لا يمنعه من الجهر بالحق ما يمنع المخلوقين، وإذا سألتم إحدى زوجات النبي ﷺ حاجة فاسألوهن من وراء حجاب، ذلك أعظم طهارة لقلوبكم وقلوبهن من وساوس الشيطان"[3].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- لبيوت النبي ﷺ من الحرمة ما ليس لغيرها من البيوت.[4]

٢- عدم جواز دخول بيوت النبي ﷺ بغير إذن، إلا عند الدعوة إلى الطعام ونحوه، حتى وإن كنَّ زوجاته ﷺ أمهات للمؤمنين، يقول أبو حيان: "ولما كان نزول الآية في شيء خاص وقع للصحابة، لم يدل ذلك على أنه لا يجوز دخول بيوت النبي ﷺ إلا إن كان عن إذن إلى طعام غير ناظرين إناه، بل لا يجوز دخول بيوته ﷺ إلا بإذن، سواء كان لطعام أم لغيره"[5].

---

[1] صحيح البخاري (١/ ٤١)، كتاب الوضوء، باب خروج النساء إلى البراز، حديث رقم (١٤٦)، صحيح مسلم (٤/ ١٧٠٩)، كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان، حديث رقم (٢١٧٠).

[2] فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني (٨/ ٥٣١).

[3] المنتخب في تفسير القرآن الكريم: لجنة من علماء الأزهر (ص: ٦٣١).

[4] روائع البيان تفسير آيات الأحكام: للصابوني (٢/ ٣٤٥).

[5] البحر المحيط في التفسير (٨/ ٤٩٨).

٣- تخصيص الطعام بالذكر لا يدل على نفي ما عداه، فإنّ من أباح لك الدخول إلى بيته بإذنه إلى الطعام، فقد أباح دخوله إلى غير الطعام، فإن غير الطعام يمكن وجوده مع الطعام كالتحدث معه، أو الاستعانة به في قضاء حاجة له.[١]

٤- "جود النبي ﷺ مع أضيافه وإيثارهم على نفسه وأهل بيته، فمع أن البيوت كان لا يوقد فيها نار لشهرين بثلاثة أهلة، إلا أنّه ﷺ كان يتكلف الطبخ لأضيافه إن استطاع، لقوله ﷻ: **﴿غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ﴾**، ويترتب عليه استحباب إكرام الضيف بطبخ ما يقدر عليه أهل البيت"[٢].

٥- لا يجوز لأحد من المدعوين أو الضيوف أن يرفع شيئاً من الطعام معه أو يأخذ شيئاً منه؛ لأن الطعام هنا ملك للمتضيف والداعي وليس ملكاً للمدعوين، وتقديمه له على وجه الإباحة لا التمليك، فالداعي إنما أذن له في الأكل منه خاصة، ولم يأذن له في تملكه.[٣]

٦- هذا النهي لا يقتصر على بيوت النبي ﷺ، وآداب دخول البيوت حكم عام، بحيث يدخل فيه سائر بيوت المؤمنين، فلا يجوز دخولها بغير إذن، ولا حضور الطعام بغير دعوة.[٤]

٧- للدعوة وقت يجب أن يراعى، فيحظر المجيء قبل الوقت المقدر والمحدد من قبل الداعي، فحضور المدعو إلى الطعام قبل نضجه يؤذي قلب صاحب الدعوة ويغمّه، لأنّه سيشغله فيما لا فائدة فيه سوى شغل وقته وإطالة الحديث بلا فائدة، وإطالة زمن الحجاب على نسائه، كما أن الداعي قد يكون على حال لا يحب أن يراها عليه أحد.[٥]

٨- استحباب إجابة الدعوة إلى الوليمة، فقد روى ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إذا دعا أحدكم أخاه فليجب، عرساً كان أو نحوه)**[٦]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(لو دعيت إلى ذراع أو كُرَاعٍ[٧] لأجبت)**[٨].

---

[١] انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٥/ ٥٨٢).

[٢] شمائل الرسول ﷺ: لأحمد بن عبد الفتاح زواوى (٢/ ٤١).

[٣] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٨٥).

[٤] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٩٠).

[٥] انظر: محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ٩٩).

[٦] صحيح مسلم (٢/ ١٠٥٣)، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، حديث رقم (١٤٢٩).

[٧] الكُرَاع: من الإنسان ما دون الرُّكبة إلى الكعب، ومن الحيوان مستدقّ السَّاق العاري من اللّحم. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٣/ ١٩٢١).

[٨] صحيح البخاري(١٥٣/٣)، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب القليل من الهبة، حديث رقم (٢٥٦٨).

٩- "الكريم إذا دعا إلى منزله أحداً لأمر لم يكن بدٌّ من أن يقدم إليه ما حضر من طعام ولو تمرة أو كسرة، فإذا تناول معه ما حضر كلمه فيما عرض"[١].

١٠- تحريم التَّطْفِيلِ[٢] والذي تسميه العرب الضَّيْفَنِ، وهذا مما يكرهه الله ﷻ ويذمه، حيث إن البعض كان يترقب الطعام حتى إذا قارب على الاستواء دخل البيت،[٣] ومن ذلك يتضح لنا عدم جواز الدخول على الطعام بغير دعوة، ولو كان هناك إذن بالدخول إلى البيت؛ لأن الرجل قد لا يكون عنده من الطعام، فيشق ذلك عليه ولا يجد ما يقدمه إليه.

١١- أراد الله ﷻ أن يؤدب المؤمنين بأدب السمع والطاعة، بحيث إذا قيل لهم لا تدخلوا على البيوت ألا يدخلوا، وإن أذن لهم بالدخول فليدخلوا، وأن لا يكونوا مثل القوم المستنكفين، إذ إن العادة أن من كان معتاداً على دخول بيت معين من غير إذن، إن قيل له لا تدخلها إلا إن أذن لكم، فإنه يتضجر من ذلك فينقطع عن صاحب البيت فلا يدخلها ولو أذن له.[٤]

١٢- إكرام الله ﷻ لهذه الأمة وغيرته عليها، فقد حظر الله ﷻ على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام،[٥] وفي هذا أيضاً إكرام للنبي ﷺ ومزيد عناية به وغيرة من الله ﷻ عليه برفع الأذى عنه.

١٣- لا يشترط في الإذن بالدخول أن يُصَرَّح به، فلو علم الزائر بالرضا جاز له الدخول، وهذا ما يدل عليه الدليل النقلي في قوله تعالى: ﴿**أَوْ صَدِيقِكُمْ**﴾ [النور: ٦١] إضافة إلى الدليل العقلي، كوجود من هو محرم، وكما لو حصل مثلاً حريق فإن من يدخل ليس بحاجة إلى استئذان؛ لأنه يعلم بأن صاحب البيت يأذن له بذلك، فهو بحاجة إلى المساعدة.[٦]

---

[١] أحكام القرآن: لابن العربي المالكي (٣/ ٦١٤).

[٢] الطُّفَيْلِيُّ، هُوَ الَّذِي يَدخُلُ الوَلِيمَةَ والمَآدِبَ ولَمْ يُدْعَ إِلَيْهَا، وهي نسبة إلى الطُّفَيْلُ: شَاعِرٌ مِنْ بَنِي غَنِيّ أو من بَنِي عبدِ اللهِ بنِ غَطَفَانَ، وَقيل هو: الطُّفَيْلُ بْنُ زَلاَّلٍ الْكُوفِيُّ، الَّذِي يُدْعَى: طُفَيْلَ الأَعْرَاسِ أَو الْعَرائِسِ، كانَ يَأْتِي الوَلاَئِمَ بِلاَ دَعْوَةٍ، وكانَ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنَّ الكُوفَةَ بِرْكَةٌ مُصَهْرَجَةٌ، فَلَا يَخْفَى عليَّ مِنْهَا شَيْءٌ. انظر: تاج العروس (٢٩/ ٣٧٤).

[٣] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٤٠٢).

[٤] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٧٩).

[٥] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٤٠٢).

[٦] انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٥/ ٥٨٢).

١٤- البيت يكون للرجل، بدليل إضافة البيوت إلى النبي ﷺ، فإضافة البيوت إلى النبي ﷺ إضافة ملك، وإضافة البيوت إلى الأزواج في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ [الأحزاب: ٣٤] إضافة محل، بدليل أنه جعل فيها الإذن للنبي ﷺ والإذن إنما يكون للمالك.[١]

١٥- وجوب الخروج من المنزل بعد الفراغ من الطعام، إذ إنّ الدخول حرام، وإنّما جاز لأجل الأكل، فإذا انقضى الأكل زال السبب المبيح وعاد التحريم إلى أصله،[٢] والمكث في بيوت الآخرين بعد الطعام غير مرغوب فيه، لأن الشخص قد تكون لديه مشاغل لا يستطيع القيام بها لوجود الآخرين عنده، كما أن هذا الوقت عادة يستريح فيه الرجل والمرأة من عناء العمل، وقد لا يكون في البيت متسعٌ لراحة المرأة مع وجود الضيوف، يقول ابن عاشور: "وإنما كان ذلك مؤذيا النبي ﷺ لأن فيه ما يحول بينه وبين التفرغ لشؤون النبوءة من تلقي الوحي أو العبادة أو تدبير أمر الأمة أو التأخر عن الجلوس في مجلسه لنفع المسلمين ولشؤون ذاته وبيته وأهله"[٣].

١٦- على الداعية أن يتخير من الألفاظ ما لا يؤذي السامع، فمع أن الخروج والانتشار بمعنى واحد، لكن الله ﷻ عبر عن الخروج بالانتشار لأن في التعبير بالخروج أذى للسامع ومشاعره، وعلى الداعية أيضاً بيان الحكمة من الأمر أو النهي للتخفيف ممن يتوجه إليه الخطاب، خاصة إذا كان الأمر يحول بينه وبين ما يحب، وقد بَيَّن الله ﷻ الحكمة من هذه الآداب وذكر سبب مشروعيتها وهو إيذاء النبي ﷺ.[٤]

١٧- الثقل على الآخرين خلق مذموم، فهو يؤذي الآخرين، ويدخل عليهم الغم، وعلى المؤمن تجنب هذا الخلق الذي يؤدي إلى الضرر بالآخرين، ولابد أن يحمله حسن الخلق من الناس على حفظ الأدب، وألا يدفعه طيب المعاملة وحسن المعاشرة على استغلال الناس والتسلط عليهم وإلحاق الأذى بهم، ومما قيل في الثقلاء مما طفحت به أقوال الحكماء والشعراء، أنّ الأعمش[٥] إذا حضر مجلسه ثقيل كان يقول :

---

[١] انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: للقنوجي (١١/ ١٢٦).

[٢] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٢٦).

[٣] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٨٦).

[٤] انظر: شمائل الرسول ﷺ: لأحمد بن عبد الفتاح زواوى (٢/ ٤٢).

[٥] أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الملقب بالأعمش، تابعي مشهور، أصله من بلاد الريّ، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، روى نحو ١٣٠٠ حديث، قال عنه الذهبي: كان رأسا في العلم النافع والعمل الصالح. تُوفي بالكوفة سنة ١٤٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ١٣٥).

فما الفيل تحمله ميّتا بأثقل من بعض جُلاَّسِنا[1]

وكان أبو هريرة ﷺ إذا استثقل رجلًا يقول: اللهم اغفر له وأرحنا منه.[2]

١٨- الاستئناس بالصحبة والأنس بالحديث شيء محمود، وهذا مما يحث عليه الإسلام، وقد يستأنس الواحد منا بالحديث مع شخص معين لصلاحه وأدبه...إلخ، لكن لابد أن يتم اختيار المكان والزمان المناسب لذلك، والذي لا يؤثر على الآخرين، ولا يصل إلى حد الإثقال المذموم.

١٩- الدخول على بيوت النبي ﷺ بغير إذن، والانتظار لنضج الطعام ، والجلوس بعد الفراغ من الطعام للحديث، كان فيه إيذاء للنبي ﷺ، لكن الحياء كان يمنعه من إظهار ذلك، ولم يطردهم أو يخرجهم من المنزل، لأنّ هذا مستقبح عندنا، ويكون مرجعه البخل وسوء الأخلاق، قال الزجاج: "وكان النبي ﷺ يحتمل إطَالَتُهُمْ كرماً منه فيصبر على الأذَى في ذلك، فعلم الله ﷻ من يحضره الأدَبَ فصار أَدَباً لهم ولمن بعدهم"[3].

٢٠- لا يدل سكوت النبي ﷺ وإعراضه عن مؤاخذة من قام بإيذائه دليلاً على جواز ذلك؛ لأن له أن يسامح ويعفو عن حقه، فإنّ البعض قد يظنّ أنّ السُّكوت رضاً من النبي ﷺ على ذلك، وأن الجلوس في بيته لو كان محظوراً لما سكت عنه النبي ﷺ، وقد جزم العلماء بأن من آذى النبي ﷺ يعزر على ذلك بحسب مرتبة الأذى والقصد إليه.[4]

٢١- نفى الله ﷻ عن نفسه العلة الواقعة في البشر وهي الاستحياء من ترك قول الحق.[5]

٢٢- الاستحياء لا يكون من الذات وإنما يكون من الأفعال، وهو هنا إخراج النبي ﷺ لمن يمكث في بيته بعد الفراغ من الطعام، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ فإنّه يدل

---

[1] إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء: للسيوطي (ص: ٢٨)، وهناك أقوال كثيرة في ذم الثقلاء وإنما اكتفيت بذكر ذلك، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى المؤلفات في هذا الباب، ومنها: ذم الثقلاء لابن المرزبان، وأخبار الثقلاء للخلاَّل، ورسالة السيوطي: إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء، وقد ألف من المحدثين محمد الزمزمي رسالة أسماها: أخبار الثقلاء والمستثقلين، هذا غير ما ورد من أخبار منثورة عنهم في الكتب.

[2] ذم الثقلاء: لابن المرزبان (ص: ١٩).

[3] معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (٤/ ٢٣٥).

[4] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٨٦).

[5] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٣٩٦).

على أنّ الذي كان يستحي منه النبي ﷺ هو الحق، ولو كان الاستحياء من ذواتهم لقال تعالى والله لا يستحي منكم.[١]

٢٣- "من واجبات دين الله ﷻ على الأمة أن لا يستحيي أحد من الحق الإسلامي في إقامته، وفي معرفته إذا حل به ما يقتضي معرفته، وفي إبلاغه وهو تعليمه، وفي الأخذ به، إلا فيما يرجع إلى الحقوق الخاصة التي يرغب أصحابها في إسقاطها أو التسامح فيها مما لا يغمص[٢] حقاً راجعاً إلى غيره، لأنّ الناس مأمورون بالتخلق بصفات الله ﷻ اللائقة بأمثالهم بقدر الإمكان"[٣].

٢٤- ما يكون من حظ النفس قد لا تقوم بفعله وتتجنبه نظراً لعادة الناس، لكن ما يكون بأمر إلهي فإنّ النفس تتقبله، ولا يجد في ذلك الإنسان حرجاً من قوله.

٢٥- الاحتجاب عن الرجال، وسؤال النساء من وراء ستار أطهر وأنقى للقلب عن الريبة والشهوة، وأبعد عن الفتنة، فعن عقبة بن عامر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: **(إياكم والدخول على النساء...)**[٤]،"وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته"[٥]، فمهما بلغ الإنسان من الإيمان فإنه لا يأمن على نفسه الفتنة، فلا يظن أحد أن إيمانه فقط هو الحائل بينه وبين المعصية، فيدفعه هذا إلى التساهل بالخلوة مع المرأة.

٢٦- كان لا يحل بعد نزول آية الحجاب أن ينظر أحدٌ إلى امرأةٍ من نساء النبي ﷺ، سواء كانت منتقبة أو غير منتقبة.[٦]

٢٧- الأمر بعدم الاختلاط وسؤال النساء من وراء حجاب، ليس قاصراً على زوجات النبي ﷺ، ولكنه حكم عام بحيث يشمل جميع نساء المؤمنين، فإذا كان نساء النبي ﷺ لا يجوز النظر

---

[١] انظر: تفسير آيات الأحكام: للسايس (ص: ٦٥٧).

[٢] غمص الناس: أي الاحتقار لهم والازدراء بهم، وكذلك غمص النعمة إذا ازدرى بها، ومغموص عليه في حسبه أي مطعون عليه، واغتمصت فلانا إذا احتقرته. انظر: تهذيب اللغة (٨/ ٦٥).

[٣] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٨٨).

[٤] صحيح البخاري (٧/ ٣٧)، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة، حديث رقم (٥٢٣٢).

[٥] أحكام القرآن: لابن العربي المالكي (٣/ ٦١٦).

[٦] انظر: تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٣٠١).

إليهنّ، ولا سؤالهنّ إلا من وراء حجاب، وهنّ أمهات للمؤمنين، فالتحدث إلى غيرهنّ من وراء حجاب يكون من باب أولى.[1]

٢٨- جواز شهادة الأعمى، وعلى هذا أكثر العلماء، وهو رأي المالكية والحنابلة، وأنه يجوز له يطأ زوجته بمعرفته بكلامها، بينما لم يجزها أبو حنيفة والشافعي وغيرهما.[2]

٢٩- هذه الآداب التي أرشدنا الله إليها ينبغي التمسك بها، وتربية الجيل المسلم على التحلي بها، فالمسلمون اليوم بأمس الحاجة إلى تعلم مثل هذه الآداب الإسلامية الرفيعة، وليس من صفات المؤمنين مخالفة هذه الآداب.

المطلب الثاني: حرمة إيذاء النبي ﷺ بنكاح زوجاته بعد وفاته

قال تعالى: **﴿...وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا * إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** [الأحزاب:٥٣-٥٤]

أولاً: وجوه البلاغة

الطباق بين قوله تعالى: **﴿تُبْدُوا﴾** و **﴿تُخْفُوهُ﴾**.[3]

ثانياً: وجه المناسبة

لمّا ذكر الله ﷻ آداب دخول بيوت النبي ﷺ، أكد ذلك بما يحملهم على ملاطفته وحسن معاملته والمحافظة على هذه الآداب فقال: **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾**،[4] ولما سبق الحديث في بيان النهي عن إيذاء النبي ﷺ بالمكث في بيوته، أتبع ذلك بالنهي عن أذى النبي ﷺ نهياً عاماً في كل ما يؤذيه،[5] ولأن إيذاء النبي ﷺ أظهره البعض في حين أخفاه آخرون،

---

[1] روائع البيان تفسير آيات الأحكام: للصابوني (٢/ ٣٥١).
[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٢٨).
[3] التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ٨١).
[4] انظر: تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٣١).
[5] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٩٢).

ناسب ذلك أن يتبع هذا الأذى علم الله ﷻ لظواهر الناس وما يخفونه في صدورهم، مما يحمل في طياته تهديداً للذين يكنون في صدورهم إيذاءً للنبي ﷺ أو يبدونه.

ثالثاً: المعنى العام

من غير اللائق بل من المستقبح إيذاء النبي ﷺ بأي وجه كان، سواء كان قولياً أو فعلياً، ظاهراً أو باطناً، ومما يؤذي النبي ﷺ نكاح زوجاته بعد وفاته، حيث إنهن زوجاته في الدنيا والآخرة؛ لذا يحرم نكاح زوجاته بعده، فإن هذا الأمر إثمه عظيم عند الله ﷻ، وقد امتثلت الأمة هذا النهي، وإن تظهروا أيها الناس بألسنتكم شيئًا من إيذائه أو غير ذلك مما نهى الله ﷻ، أو تخفوه وتكتموه في صدوركم، فإن الله ﷻ عليم بذلك وبغيره، فلا يخفى عليه شيء، وهو من يجازي على ذلك.[1]

رابعاً: سبب النزول

١- عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ...**﴾ قال: **(نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده قال سفيان: ذكروا أنها عائشة ﷺ)**.[2]

٢- عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[3] ﷺ قال: **(بلغ النبي ﷺ أن رجلا يقول: إن توفي رسول الله ﷺ تزوجت فلانة من بعده، فكان ذلك يؤذي النبي ﷺ فنزل القرآن وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ...)**[4].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- لا يجوز نكاح زوجات النبي ﷺ بعد وفاته أبداً؛ لأنهنّ أمهات للمؤمنين، ولا يجوز للرجل أن يتزوج بأمه.

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧٠).

[2] لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي (ص:١٦٣)، تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (٣١٥٠/١٠)، رقم (١٧٧٦٣).

[3] هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي المدني، روى عن أبيه وابن المنكدر وغيرهم، وعنه ابن وهب وعبد الرزاق وآخرون، فلا يحتج أهل العلم بحديثه لضعفه ، فقد أكثر في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف، وروى أحاديث موضوعة، كانت وفاته سنة (١٨٢هـ). انظر: تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني (١٧٧/٦).

[4] لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي (ص:١٦٣)، تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (٣١٥٠/١٠)، رقم (١٧٧٦٤).

٢- التعرض للنبي ﷺ بالأذى أو نكاح أزواجه بعد وفاته يعد من أعظم الكبائر وأشنعها.

٣- لا يحتمل أن يصدر هذا القول إلا عن منافق، يُكِنُّ العداوة لله ﷻ ورسوله ﷺ، ولا يعقل أن يتفوه بذلك أحد صحابة رسول الله ﷺ، وكل ما ذكر من روايات تطعن في طلحة ﷺ هي روايات موضوعة، وأسانيدها واهية، إنما غرضهم النيل من صحابة رسول الله ﷺ، وما يؤكد صدور هذا القول عن المنافقين، أنه ورد عقب هذه الآيات نهي المنافقين عن إيذاء النبي ﷺ والمؤمنين، وعن نشر أراجيفه في المدينة،[١] يقول ابن عطية: "وهذا عندي لا يصح على طلحة ﷺ، الله ﷻ عاصمه منه"[٢]، ويقول القرطبي: " قال شيخنا الإمام أبو العباس[٣]: وقد حكي هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة، وحاشاهم عن مثله! والكذب في نقله، وإنما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال"[٤].

٤- تعظيم الله ﷻ لرسوله ﷺ وإيجاب حرمته حياً وميتاً، بل إن هذا الفعل يطيب له النفس وينشرح الصدر ويسر له القلب، مما يدفع نحو شكر الله ﷻ، فإن مثل هذا الأمر وهو نكاح الزوجة بعد وفاة الزوج مما يحدث الرجل به نفسه، ولا يخلو منه فكره، كل هذا من شدة غيرته على زوجته، لدرجة أنه يتمنى لها الموت حتى لا تنكح بعده.[٥]

٥- عِلْم الله ﷻ لما يظهر على ألسنة الناس أو ما يكتمونه في صدورهم ومجازاتهم عليها، ويقصد هنا ما رُوِي عن قول البعض بأنهم سيتزوجون من أم المؤمنين عائشة ﷺ.

---

[١] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ٩٣).

[٢] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٣٩٦)

[٣] هو أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي، يعرف بابن المزين، وهو فقيه مالكي، من رجال الحديث، ولد بقرطبة، من مؤلفاته: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، شرح به كتابا من تصنيفه في اختصار مسلم، توفي بالإسكندرية سنة ٦٥٦هـ. انظر: الأعلام للزركلي (١/١٨٦).

[٤] الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٢٩)

[٥] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٥٦).

المطلب الثالث: المحارم الذين أبيح للنساء أن يظهرن أمامهم

قال تعالى: ﴿**لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا**﴾ [الأحزاب: ٥٥]

أولاً: وجه المناسبة

بعدما ذكرت الآيات السابقة وجوب الاحتجاب عن زوجات النبي ﷺ ونساء المؤمنين، وسؤالهنّ المتاع من وراء حجاب، بيّنت هذه الآية أنّ هناك من استثناهم الله ﷻ في الاحتجاب عنهنّ، وأنه يجوز لهم الدخول عليهنّ بلا احتجاب.

ثانياً: المعنى العام

لا إثم أو حرج على نساء المؤمنين جميعاً أن يظهرن وجوهنّ ويكلمن دون حجاب الآباء والأبناء والإخوان وأبناء الإخوان وأبناء الأخوات أو نساء المؤمنين، والمماليك من الإماء والعبيد، ثم أمرهنّ الله ﷻ بتقواه فيما حرمه عليهنّ من إظهار الوجه لغير المحارم المذكورين في الآية، فإن الله ﷻ مطلعٌ وشاهدٌ على كل شيء.[١]

ثالثاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- هناك من أصناف لا يجب احتجاب النساء عنهن، وهم الآباء والأبناء والإخوان وأبناؤهم وأبناء الأخوات والنساء والإماء.

٢- يباح للمرأة المسلمة الدخول على مثلها، ولو كانت متزينة، لكن ذلك لم يُبَحْ لليهوديات أو النصرانيات وغير المسلمات بشكل عام، مخافة أن يقمن بوصف تلك النساء لمن هم مثلهنّ وعلى ديانتهنّ، فيؤدي ذلك إلى افتتانهم ورغبتهم فيهنّ.[٢]

٣- يحل للنساء أن يظهرن أمام الإماء، مع الخلاف في جواز الظهور أمام العبيد وعلى أي حال، والأحوط أنه يحل للعبيد النظر إلى ما يبدو عادة من الوجه واليدين والقدمين، ولا يحل لهم النظر إلى ما سوى ذلك مما يحل للمحارم.[٣]

---

[١] انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٨٨).

[٢] انظر: تأويلات أهل السنة: للماتريدي (٨/ ٤٠٩).

[٣] انظر: تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٣٠٣).

٤- وجوب تقوى الله ﷻ وخشيته في السر والعلانية، وأنه شاهد علينا ولا تخفى عليه خافية، فهو يعلم بنا إن خالفنا أمره، وعلى النساء عدم مخالفة أوامره إن تركن الاحتجاب أمام غير المذكورين ممن رخص الله ﷻ للنساء أن يظهرن أمامهنّ.

٥- التذكير بتقوى الله ﷻ يبعث في النفس الخوف منه ومن مخالفة أوامره، وهذا واضح في قصة الثلاثة نفر الذين أطبق عليهم الغار، فقال أحدهم: **(اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم، من أحب الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها فأبت، إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها، فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار)**[١].

٦- تخصيص النساء بالذكر وتَعْيينهنّ بتقوى الله ﷻ في الأمر بالاحتجاب دون الرجال لقلة تحفظهنّ وكثرة استرسالهنّ.[٢]

٧- لم يذكر العم والخال ضمن هؤلاء الذين لا يحتجبن النساء أمامهم، لأنهما يجريان مجرى الوالدين، وقد سُمِّي العم أباً في قوله تعالى: **﴿وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾** [البقرة:١٣٣] ، وإسماعيل هو عم يعقوب ﷺ، وقيل بأن عدم ترك الاحتجاب عنهما لأنهما يصفانها لأبنائهما، وأبناؤهما غير محارم،[٣]ويرى الباحث أنهما يحرمان عليهما لورود النص في ذلك بأنهما من المحارم، ، كما أنهما يقومان مقام الأب في كثير من الأحيان.

٨- تكشف النساء أمام هذه الأصناف مشروط بالسلامة والعلم بعدم المحذور،[٤] أي أنه لا يجوز للنساء أن يتكشفن بما لا يحل لهؤلاء الأصناف أن يرون منها، حتى أمام النساء مثلاً، لا يجوز للمرأة أن تكشف عورتها.

٩- الترتيب الذي ذكره الله ﷻ في هؤلاء الأصناف الذي أباح للمرأة عدم الاحتجاب أمامهم، ترتيب يناسب حال المرأة، فتقديم الأب مثلاً لأن اطلاعهم على بناتهم أكثر، وقد رأوا بناتهم على حال لم يره غيرهم وهنّ في حال الصغر، ثمّ قدم الأبناء ثمّ الأخوة وهذا واضح معلوم.[٥]

---

[١] صحيح البخاري (٤/ ١٧٢)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم (٣٤٦٥).
[٢] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٣١).
[٣] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٥٧).
[٤] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨١).
[٥] انظر: المرجع السابق (٢٥/ ١٨١).

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٥٦-٦٢)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء الله ﷻ وملائكته على النبي ﷺ

المطلب الثاني: عاقبة إيذاء النبي ﷺ وإيذاء المؤمنين

المطلب الثالث: الأمر باحتجاب النساء

المطلب الرابع: تهديد المنافقين من التعرض للنبي ﷺ وزوجاته والمؤمنين

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٥٦-٦٢)

المطلب الأول: ثناء الله ﷻ وملائكته على النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦]

أولاً: وجوه البلاغة

١- ذكر المصدر مع الفعل للتأكيد في قوله تعالى: ﴿**وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾؛ ليكمل السلام عليه، ولم يؤكد الصلاة بهذا التأكيد لأنها كانت مؤكدة بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾.[١]

٢- الثناء على الرسول ﷺ ورد بهذه الصيغة ﴿**إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ**﴾ وفيه دقائق بيانية:[٢]

أ- جاء الخبر مؤكداً بـ ﴿**إِنَّ**﴾ اهتماماً به.

ب- وجيء بالجملة اسمية لإفادة الدوام.

ج- كانت الجملة اسمية في صدرها، حيث يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ**﴾ وفي عجزها فعلية، فقال: ﴿**يُصَلُّونَ**﴾؛ للإشارة إلى أنّ هذا الثناء من الله ﷻ على رسوله ﷺ يتجدد وقتاً فوقتاً على الدوام.

ثانياً: وجه المناسبة

تناولت الآيات السابقة بعضاً من خصوصيات النبي ﷺ التي اختصه الله ﷻ بها، فناسب ذلك أن يُبَيِّن أنّ للنبي ﷺ عند ربه ﷻ ما هو أكثر من ذلك، حيث اختصه بصلاة خاصة به، غير الصلاة التي اختص بها المؤمنين في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ**﴾[٣]، وبعدما أمر الله ﷻ بتعظيم نسائه احتراماً لهنّ فيما تقدم من آيات، أكمل ذلك ببيان حرمته وتعظيمه ﷺ، ويكون ذلك في حال خلوته بعدم دخول بيوته، وقد بينت ذلك الآيات السابقة، وأمام الملأ الأعلى والأدنى، ويكون احترامه

---

[١] انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٥/ ٥٨٧).

[٢] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٩٦).

[٣] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٤٨).

وتشريفه أمام الملأ الأعلى حيث إنّ الله ﷻ وملائكته يصلون عليه، وأمام الملأ الأدنى بأمر الله ﷻ للمؤمنين بالصلاة والتسليم عليه.[١]

ثالثاً: المعنى العام

يخبر الله ﷻ عباده في هذه الآية بمنزلة نبيه ﷺ في الملأ الأعلى، حيث يثني عليه عند ملائكته، كما أن الملائكة تصلي عليه، فيأمر الله ﷻ عباده أن يقتدوا بذلك ويصلوا عليه ويسلموا تسليماً وتعظيماً له.[٢]

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- أن الله ﷻ وملائكته يصلون على النبي ﷺ، وصلاة الله ﷻ على نبيه ﷺ ثناؤه عليه عند ملائكته ومغفرته له، وصلاة الملائكة عليه استغفار له.

٢ - ثناء الله ﷻ على نبيه ﷺ الكريم، وثناء الملائكة الأطهار، مظهر من مظاهر رفعة الرسالة.[٣]

٣- رفعة منزلة النبي ﷺ ودرجته ومكانته عند ربه ﷻ، وعلو شأنه عند المؤمنين.[٤]

٤- وجوب الصلاة على النبي ﷺ مطلقاً، لأنّ الأصل في الأمر أنّه للوجوب، مع اختلاف العلماء في حال وجوبها، وهل تكون واجبة في العمر مرة، أو في المجلس الواحد، وقال البعض بأن الأمر هنا للندب،[٥] وصيغتها فيما رواه الطبري عن كعب بن عجرة ﷺ قال: **(لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قيل: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)**[٦].

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨١).

[٢] انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٤٥).

[٣] روائع البيان تفسير آيات الأحكام: للصابوني (٢/ ٣٧١).

[٤] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧١).

[٥] انظر: محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١٠٧).

[٦] صحيح البخاري (١٢٠/٦)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {إن تبدوا شيئا أو تخفوه..}، حديث رقم (٤٧٩٧).

٥- واجب على المؤمنين تعظيم الرسول ﷺ واحترامه وطاعة أوامره، فإذا كان الله ﷻ قد أثنى عليه وأعلى منزلته، وفضله بالصلاة والتسليم على سائر المرسلين، فالأولى على المؤمنين أن يُجِلُّوه ويُعَظِّموه.

٦- من الواجب علينا شكر الله على هذه النعمة، حيث آثر الله ﷻ رسوله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه من بين الرسل جميعاً، واختصنا بها من بين الأمم.[١]

٧- تشريف المؤمنين، حيث قرن الله ﷻ صلاتهم إلى صلاته ﷻ وصلاة الملائكة على نبيه ﷺ، وأين تذهب صلاتنا على النبي ﷺ بين صلاة الله ﷻ وتسليمه وصلاة الملائكة وتسليمهم عليه؟[٢]

٨- صلاة المؤمنين وسلامهم على النبي ﷺ هو بعض ما يجزي به المؤمنون النبي ﷺ على فضله وحقه عليهم، ومقابل إحسانه إليهم، بأن أخرجهم من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى الإيمان بعدما كانوا في الضلالة، وأنه سيكون شفيعاً لأمته يوم القيامة، وهذا أقل ما يقدمه المؤمنون لنبيهم ﷺ إيماناً منهم بفضله عليهم، ، بل إنّ في صلاتنا على النبي ﷺ رفعاً لدرجاتنا، وتكفيراً لذنوبنا وسيئاتنا، وقد وردت عدة أحاديث في فضل الصلاة على النبي ﷺ.[٣]

٩- النبي ﷺ لا يحتاج مِنّا أن نصلي عليه، وهو ليس بحاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله ﷻ عليه، وإنما ذلك الشيء من باب تعظيمه، كما أننا نذكر الله ﷻ وهو ليس في حاجة إلى ذكرنا له، فهو غني عن عباده جميعاً، وإنما هو لتعظيمه؛ ليشفق علينا فيثيبنا على ذلك، بل نحن في حاجة إلى الصلاة على النبي ﷺ، فقد روى أبو هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **(من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً)**[٤].[٥]

١٠- " لم يترك الله ﷻ النبي ﷺ تحت منة أمته بالصلاة، حتى عوضهم منه بأمره بالصلاة على الأُمَّة حيث قال: **﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾** [التوبة: ١٠٣]"[٦].

---

[١] انظر: التفسير الوسيط: للواحدي (٣/ ٤٨١).

[٢] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٧٩).

[٣] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٤٩).

[٤] صحيح مسلم (١/ ٣٠٦)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، حديث رقم (٤٠٨).

[٥] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٢).

[٦] انظر: المرجع السابق (٢٥/ ١٨٢).

المطلب الثاني: عاقبة إيذاء النبي ﷺ والمؤمنين

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾ [الأحزاب:٥٧-٥٨]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- ﴿**مُهِينًا**﴾: (هون) الهاء والواو والنون أصل صحيح يدل على احتقار وحقارة في الشيء، منه قولهم مهين، أي حقير، والمهانة: الحقارة، وهو مهين بين المهانة.[١]

٢- ﴿**احْتَمَلُوا**﴾: بمعنى حمل الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا**﴾ [الرعد: ١٧]، فهذا السيل يحمل على ظهره زبداً أي رغوة، وقوله تعالى: ﴿**فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾ بمعنى قد حملوا أنفسهم من الإثم والبهتان.[٢]

٣- ﴿**بُهْتَانًا**﴾ البهت هو استقبال الرجل بأمر تقذفه به، وهو منه بريء، ويقال: بهت الرجل بهتا: إذا قابله بالكذب، وقوله تعالى: ﴿**أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾ [النساء: ٢٠]، أي الباطل الذي يتحير من بطلانه.[٣]

ثانياً: وجه المناسبة

بعدما ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة ما يظهر تعظيم النبي ﷺ، بثناء الله ﷻ عليه واستغفار الملائكة له، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه، حذر في هذه الآيات من عاقبة إيذائه، وتوعد من فعل ذلك باللعنة والعذاب المهين؛[٤] ولأنّ من أعظم أذى النبي ﷺ إيذاء أتباعه، فقد حذرنا الله ﷻ من إيذائهم بغير وجه حق، كونهم غير معصومين.[٥]

---

[١] مقاييس اللغة: لابن فارس (٥/ ٢٨٣).

[٢] انظر: تاج العروس: لمرتضى الزبيدي (٢٨/ ٣٤١).

[٣] تهذيب اللغة: للأزهري (٦/ ١٣٢).

[٤] انظر: فتح القدير: للشوكاني (٤/ ٣٤٧).

[٥] انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: للخطيب الشربيني (٣/٢٧١).

ثالثاً: سبب النزول

عن ابن عباس ﷺ في قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾** قال: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب ﷺ،[1] وعن ابن عباس ﷺ أنها أنزلت في عبد الله بن أبي وناس معه قذفوا عائشة ﷺ، فخطب النبي ﷺ وقال: من يعذرني من رجل يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني، فنزلت الآية،[2] "والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء، ومن آذاه فقد آذى الله ﷻ، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله ﷻ"[3].

رابعاً: المعنى العام

من يؤذون الله ﷻ بالكفر ونسبة الصاحبة والولد له، ووصفه بما لا يليق به ﷻ، ويؤذون الرسول ﷺ بتكذيب رسالته والطعن في حقه، والاستهزاء بدعوته، فإنهم يستحقون الطرد من رحمته ﷻ، وأن يحلَّ عليهم سخطه في الدنيا والآخرة، وأعد الله ﷻ لهم في الآخرة عذاباً يزيد من إهانتهم وتحقيرهم، والذين يؤذون المؤمنين بغير جناية فعلوها وارتكبوها، فقد حملوا كذباً فاحشاً، وباطلاً وزوراً، وإثماً جلياً واضحاً.[4]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- الذين يقومون بإيذاء الله ﷻ ورسوله ﷺ مطرودون من رحمة الله ﷻ في الدنيا والآخرة، ولهم عذابٌ مهينٌ يوم القيامة جزاء ذلك.[5]

٢- يكون إيذاء الله ﷻ بمخالفة أوامره وعصيانه، والكفر به، وأن ينسب إليه ما هو منزه عنه، كالشريك والصاحبة والولد، ووصفه بما لا يليق، كقولهم يد الله مغلولة وأنه ثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله، ويكون إيذاء الرسول ﷺ بوصفهم له بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون، وبكسر رباعيته يوم أحد، وطعنهم في نكاحه صفية بنت حيي بن أخطب ﷺ.[6]

---

[1] لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي (ص:١٦٣)، جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٣٢٢).
[2] لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي (ص:١٦٣).
[3] تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٤٢٤).
[4] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٩٣).
[5] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١٠٤).
[6] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٥٩).

٣- الأذى لا يلحق الله ﷻ، فهو ﷻ لا يتأذى بشيء؛ لأنّ الأذى عبارة عن ضرر يلحق، والله ﷻ لا يلحقه ضرر، ولكن لمّا كانت مخالفة الأمر فيما بيننا تسمى إيذاء خوطبنا بما نتعارفه،[١] وقد روى أبو ذر ﷺ عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: **(يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)**[٢].

٤- التغليظ والوعيد الشديد لمن يقوم بإيذاء النبي ﷺ، ودليل ذلك أن الله ﷻ قرن بين إيذائه وإيذاء النبي ﷺ، كما أنه ضَعّفَ العذاب على من يؤذيه، فجمع الله ﷻ لمؤذيه بين لعنته في الدنيا والآخرة والعذاب المهين في الآخرة، وفي هذا زجر لمن يفكر في إيذاء النبي ﷺ، يقول السعدي ﷺ: "فأذية الرسول ﷺ ليست كأذية غيره، لأنه ﷺ لا يؤمن العبد بالله ﷻ، حتى يؤمن برسوله ﷺ، وله من التعظيم الذي هو من لوازم الإيمان ما يقتضي ذلك، أن لا يكون مثل غيره"[٣].

٥- تعظيم شأن الرسول ﷺ، وذكر الله ﷻ مقروناً بالنبي ﷺ لبيان قربه، فالذي يسوء النبي ﷺ ويؤذيه، فهو يؤذي الله ﷻ، كما أن من يطيعه ﷺ يطيع الله ﷻ.[٤]

٦- بيَّن الله ﷻ في الآيات السابقة عدم جواز إيذاء النبي ﷺ، لكن الإيذاء المراد في الآيات السابقة يختلف عن الإيذاء المراد في هذه الآيات، كما أنّ الإيذاء الأول يكون من المؤمنين، أما في هذه الآية فهو يقع من الكافرين،[٥] كما بيّن الله ﷻ أن من يقومون بإيذاء النبي ﷺ هم ملعونون، وهم ليسوا من الإيمان في شيء، ومثل هذا الوعيد لا يكون إلا للكافرين.[٦]

٧- رتبة المؤمنين دون رتبة النبي ﷺ، فقد جعل الله ﷻ إيذاء النبي ﷺ مقروناً بإيذائه ﷻ، ثم ذكر بعد ذلك إيذاء المؤمنين.[٧]

---

[١] انظر: التفسير الوسيط: للواحدي (٣/ ٤٨٢).
[٢] صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٤)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٧٧).
[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧١).
[٤] انظر: محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١١٠).
[٥] انظر: تأويلات أهل السنة: لأبي منصور الماتريدي (٨/ ٤١٣).
[٦] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٠٤).
[٧] انظر: لطائف الإشارات: للقشيري (٣/ ١٧٠).

٨- عصمة النبي ﷺ، فهو لا يقع منه أذى، بينما يقع من المؤمنين ما يستوجب الأذى ويستحقوه، فقد ذكر الله ﷻ الأذى لرسوله ﷺ مطلقًا غير مقيد بشيء، وذكر أذى المؤمنين مقيد بشرط الكسب، ما دل على أنهم قد يكتسبون ما يستحقون الأذى.[١]

٩- تحريم أذى المؤمنين، والإثم العظيم والشديد لمن يقومون بإيذاء المؤمنين والمؤمنات، بغير ما يوجب أذاهم، لأن في ذلك تعدي على حرمات الله ﷻ.

١٠- وصف من يقوم بإيذاء المؤمنين بالبهتان والزور، وأنّه يترتب إثم كبير وعظيم على هذا الإيذاء، زجرٌ وردعٌ لكل من يتعرض لأذى المؤمنين بغير وجه حق.

١١- المؤمن حبيب إلى ربه ﷻ؛ لأنه أحب الله ﷻ فأحبه ﷻ، فهو يحميه ويدفع الأذى عنه.[٢]

١٢- إيذاء الله ﷻ ورسوله ﷺ لا يكون إلّا بغير حق، أما إيذاء المؤمنين والمؤمنات فمنه ما يكون بحق كالحد والتعزير، كما أنّه قد يكون باطلاً.[٣]

١٣- المؤمنون والمؤمنات عرضة لكيد الأشرار المنحرفين، والتشديد في التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات يظهر أنه كان فريق في المدينة قد تولى الكيد لهم بنشر الإشاعات ضدهم، وتدبير المؤامرات لهم، وهذا عام في كل زمان.[٤]

١٤- "عطف المؤمنات على المؤمنين للتصريح بمساواة الحكم وإن كان ذلك معلوماً من الشريعة، لوزع المؤذين عن أذى المؤمنات لأنهنّ جانب ضعيف بخلاف الرجال فقد يزعهم عنهم اتقاء غضبهم وثأرهم لأنفسهم".[٥]

١٥- إطلاق الأذى في الآيات يجعله يحتمل لكل أنواع الأذى من سوء الأدب والقذف والبغي واللمز في حق الله ﷻ وحق رسوله ﷺ والمؤمنين، وهذا الأمر يجعله شاملاً لمن يصدر عنه مثل ذلك في كل زمان ومكان، وأنّه يجب التشنيع عليهم والوقوف منهم موقف الشدة والتأنيب.[٦]

---

[١] انظر: تأويلات أهل السنة: لأبي منصور الماتريدي (٨/ ٤١٣).
[٢] انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: للثعلبي (٨/ ٦٣).
[٣] انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي (٣/ ٤٤).
[٤] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٨٠).
[٥] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٠٥).
[٦] انظر: التفسير الحديث: لدروزة (٧/ ٤١٧).

المطلب الثالث: الأمر باحتجاب النساء

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** [الأحزاب: ٥٩]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿يُدْنِينَ﴾**: الأدنى أي الأقرب، وأدنى الشيء قرب، وتدانى القوم دنا بعضهم من بعض، وأدنى فلاناً قربه منه، وأدنى الستر أو الثوب أرخاه، قال تعالى: **﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾**.[١]

٢- **﴿جَلَابِيبِهِنَّ﴾**: الجلباب: القميص، وهو ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل: هو ثوب واسع، دون الملحفة، تلبسه المرأة، وقيل: هو ما تغطي به المرأة الثياب من فوق كالملحفة، وقيل: هو الخمار، وقال آخرون هو الإزار، وفي الحديث: **(قالت امرأة: يا رسول الله إحدانا ليس لها جلباب؟ قال: لتلبسها صاحبتها من جلبابها)**[٢] أي إزارها، وقال البعض، الجلباب: الرداء، وقيل: هو كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها، والجمع جلابيب،[٣] والخلاصة في ذلك أن الجلباب هو الثوب الذي يستر جميع بدن المرأة.

ثانياً: وجه المناسبة

بعدما تحدثت الآيات السابقة عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات، والنهي عن إيذائهم، وأنّ من يقوم بالتعرض لهم بالإيذاء بغير وجه حق فقد اكتسبوا بهتاناً وإثماً بيناً، أمر الله ﷻ في هذه الآيات من وقع عليه أذى بتجنب المواضع التي فيها التهم؛ لئلا يؤدي ذلك إلى الايذاء، ويكون ذلك بتستر النساء وعدم خروجهنّ متكشفات.[٤]

---

[١] المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون (١/ ٢٩٩).

[٢] صحيح البخاري (١/ ٨٠)، كتاب الصلاة، باب وجوب الصلاة في الثياب، حديث رقم (٣٥١).

[٣] لسان العرب: لابن منظور (١/ ٢٧٢).

[٤] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٣).

ثالثاً: سبب النزول

"كانت نساء المؤمنين يخرجن بالليل إلى حاجاتهنّ، وكان المنافقون يتعرضون لهن ويؤذونهن، فنزلت هذه الآية، وقال السدي[1]: كانت المدينة ضيقة المنازل، وكان النساء إذا كان الليل خرجن، يقضين الحاجة وكان فُسَّاق من فُسَّاق المدينة يخرجون، فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا: هذه حرة فتركوها، وإذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا: هذه أمة، فكانوا يراودونها، فأنزل الله تعالى هذه الآية".[2]

رابعاً: المعنى العام

يخاطب الله ﷻ نبيه ﷺ بأن يأمر أزواجه ﭫ وبناته ونساء المؤمنين بصفة عامة ألا يتشبهن بالإماء في لباسهنّ، إذا خرجن من بيوتهنّ لحاجة، بل ليغطين من جلابيبهنّ، فإنهنّ بذلك يجنبن أنفسهنّ من التعرض للإيذاء من الفسقة، إذا علموا أنهنّ حرائر، وإن الله ﷻ غفور لمن قصر في ترك إرخاء الجلباب، رحيم بهنّ فلا يعاقبهنّ بعد التزامهنّ بذلك.[3]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- وجوب الحجاب وفرضيته على جميع نساء المؤمنين، وأنّه على المرأة المسلمة التي تريد الخروج من بيتها لحاجة أن تخرج متسترة بجلبابها، غير مبدية لمفاتن جسدها، وأنّ الأمر بالتستر بالجلباب ليس مختصاً بنساء النبي ﷺ وبناته أو المؤمنات في عهده.

٢- لابد أن يكون الستر هنا زائداً على ما يجب من ستر العورة؛ فإن هذه الآية نزلت بعد استقرار الشريعة على وجوب ستر العورة؛ لذا اتفق المفسرون على أن المراد بالجلباب الثوب الذي يستر بدن المرأة كلها، وليس كما يظن البعض أن المراد بالجلباب هو ستر العورة.[4]

---

[1] هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الأعور، مولى زينب بنت قيس، وقيل مولى بني هاشم، أصله حجازي، سكن الكوفة، وكان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة، فسمي السدي، وهو السدي الكبير، روى عن: أَنَس بن مالك وابن عباس وعطاء وعكرمة وغيرهم، روى عنه: سفيان الثوري والحسن بن يزيد وسماك بن حرب وغيرهم، بعض العلماء وصفه بأنه ثقة ولا بأس به، والبعض قال بأنّ في حديثه ضعف ولا يحتج به، وقد روى له الجماعة سوى البخاري، مات سنة ١٢٧هـ. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للمزي (٣/ ١٣٢).

[2] أسباب نزول القرآن: للواحدي (ص: ٣٦٣).

[3] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٣٢٤).

[4] انظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام: للصابوني (٢/ ٣٧٨).

٣- لابد للمرأة الحرة أن لا تكون متبذلة[١] في درع وخمار، والأصل أن يكون لها أكثر من جلباب، وهذا مما يحتمله معنى التبعيض في: ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾.[٢]

٤- جواز خروج النساء لقضاء حوائجهن، ويدلل على ذلك أمرهن بإرخاء الجلباب على أنفسهن دون نهيهن عن الخروج.[٣]

٥- الإسلام أتى بالأحكام التي تقضي على الرذائل والأسباب المؤدية إلى الفتنة، ولما كانت العادة عند النساء قبل الإسلام التكشف كما يفعل الإماء، وأن هذا سبيل نظر من الرجال إليهن، أمر الله نبيه بأمر النساء المؤمنات الحرائر بإرخاء الجلابيب على أنفسن عند الخروج لقضاء حوائجهن، بحيث يتميزن عن الإماء، فتعرف الحرائر بسترهن.[٤]

٦- الإسلام نهى عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات ، سواء الحرائر والإماء، وتوعّد المؤذين بالعذاب الشديد، ومع أنّ الشرع لم يحظر على الإماء التستر، لكنّه لم يكلفهن بذلك دفعاً للحرج والعسر والمشقة، بأن تلبس الحجاب كلما أرادت الخروج، لأن طبيعة عملهن يجعلهن يكثرن الخروج، ليخدمن سادتهن، ولقضاء مصالحهم، وليس كذلك الحرائر، فإنهنّ مأمورات بالاستقرار في البيوت، وعدم الخروج منها إلا في أوقات الحاجة الشديدة، ومع ذلك فإنَّ للأمة أن تتقنع وتلبس الجلباب متى تيسر لها ذلك.[٥]

٧- الذين يبتغون الفتنة يجدون ضالتهم في الطرقات، فهم يجلسون في الطرقات لرؤية النساء ومراودتهن عن أنفسهن؛ لذا حذرنا النبي ﷺ من الجلوس في الطرقات؛ لأنها مجالس فتنة، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **(إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر.....)**[٦]، وهذا الصنف موجود في كل زمان.

---

[١] التبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة على جهة التواضع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١١١).

[٢] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٦٠).

[٣] انظر: تأويلات أهل السنة: لأبي منصور الماتريدي (٨/ ٤١٥).

[٤] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٤٣).

[٥] انظر: تفسير آيات الأحكام: للسايس (ص: ٦٦٨).

[٦] صحيح البخاري (٣/ ١٣٢)، كتاب المظالم والغصب، باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات، حديث رقم (٢٤٦٥).

٨- على المؤمن أن يتجنب مواطن الفتنة، وألّا يعرض نفسه للشبهات، وألا يدع سبيلاً لمن يريد الطعن فيه، فإنه بذلك يجنب نفسه من التعرض للأذى، ويسلم من الناس، بل ويحمي الآخرين من الوقوع فيه.[١]

٩- إذا كانت المرأة متسترة بجلبابها، لن يتعرض لها أحد، ولن تلقى ما تكره من أحد، وفي هذا رد قاطع وحاسم لمن يفكر بالطمع فيها؛ لأن لباسها دليل عفتها، بخلاف ما إذا كانت متبرجة وغير عفيفة أو متسترة، فإنه مطموع فيها، بل وينظر إليها نظرة استهزاء.[٢]

١٠- "هذا الزيّ (الجلباب) ليس وحده بالذي يقي الحرائر والعفيفات من ألسنة أهل الفجور والفسق، ولكنه- على أي حال- وقاء يجمّل الحرّة ويزيّن العفيفة، ويضفى على طهرها طهراً، وعلى عفتها جلالاً وعفة، فهو وإن لم يكن الكمال كلّه، فهو من سمات الكمال، وإن لم يكن العفة كلّها، فهو مظهر من مظاهرها، فستر الظاهر وتجميله مطلوب، أيّاً كان الباطن وما يختفى وراءه مما تنطوى عليه الصدور، وتسرّه السرائر"[٣].

١١- اللباس وأشكاله عرضة للتغير والتطور، وقد كان ذلك منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وللرجال والنساء ما يشاؤون من أشكال اللباس لكن في حدود الآداب الإسلامية، وألا يكون فيه من الخلاعة والتشبه بالفاسقين والفاسقات، وهذا يتفق مع التشريع القرآني في رسم القواعد وبيان الأهداف والغايات، وعدم التقيد بالأشكال التي هي عرضة للتطور حسب الزمان والمكان.[٤]

١٢- فرض الحجاب على المسلمة إنَّما هو لصون كرامتها، وحفظ عفافها، وحمايتها من النظرات الجارحة والألفاظ الفاحشة، والنوايا الخبيثة، وهذا تشريف وتكريم لها.[٥]

١٣- التربية الحسنة عند النساء المؤمنات زمن النبي ﷺ، بدليل أنهنّ كُنّ يتأذين من أفعال هؤلاء، ولا يرضين بما يقومون به من الغمز واللمز، كما أنهنّ كُنّ يسارعن إلى امتثال أمر الله بالتستر، وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أم سلمة ﵂ قالت: **(لما نزلت هذه الآية:**

---

[١] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٥١).

[٢] انظر: البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان (٨/ ٥٠٤).

[٣] التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٥٢).

[٤] انظر: التفسير الحديث: لدروزة (٧/ ٤٢٠).

[٥] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٩٣).

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأنّ على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها)[1].

١٤- لجوء النساء إلى النبي ﷺ وشكواهن من الذين قاموا بالغمز لهنّ، إشارة إلى أن هناك دَوْراً لابد وأن يكون لولي الأمر ومن يمتلك السلطان والقوة للحيلولة دون حصول مثل تلك الأفعال.

١٥- لا تثمر الدعوة في أي شيء، إلا إذا بدأ الداعي فيها بنفسه وبأهل بيته، ويكون هذا أدعى لقبول الشيء وتنفيذه؛ لذا بدأ الله ﷻ بأمر نساء النبي ﷺ وبناته في التستر بالحجاب، وأتبع هذا الأمر ببقية نساء المؤمنين، وفيه أيضاً إشارة إلى أن نساء النبي ﷺ وبناته قدوة لبقية النساء.[2]

١٦- قيام العلماء والسادة بتغيير لباسهم وعمائمهم أمر حسن؛ لأن في ذلك تمييزاً لهم، حتى يعرفوا فيعمل بأقوالهم.[3]

١٧- تأنيس النساء في تركهنّ للجلابيب قبل أن يشرع هذا في حقهنّ، وترجيتهنّ وحضهنّ على التوبة وتطميعهنّ في رحمة الله ﷻ.[4]

المطلب الرابع: تهديد المنافقين من التعرض للنبي ﷺ وزوجاته ﷺ والمؤمنين

قال تعالى: **﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾** [الأحزاب: ٦٠ -٦٢]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿وَالْمُرْجِفُونَ﴾**: رجف الشيء أي تحرك واضطرب، ورجفت الأرض كذلك، ورجفت يده ارتعشت من مرض أو كبر، وأرجف القوم في الشيء: أكثروا من الأخبار السيئة واختلاق الأقوال الكاذبة حتى يضطرب الناس منها، وعليه قوله تعالى: **﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾**.[5]

---

[1] تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٤)، رقم (١٧٧٨٤).
[2] انظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام: للصابوني (٢/ ٣٧٨).
[3] انظر: محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١١٣).
[4] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٣٩٩).
[5] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد الفيومي (١/ ٢٢٠).

٢- ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾: من الإغراء، يقال: أغرتهم الفتاة بجمال صوتها: أثارتهم، (فتاة، ابتسامة، نظرة مغرية): أي فيها إغراء، عرض مغر: يثير الرغبة، وأغراه بالشيء: حضه عليه، منها: أغرته اللذة بارتكاب المحرمات، ومنه قوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾، وأغرى العداوة بين الناس: ألقاها بينهم، وأغرى بين جيرانه: أفسد بينهم، قال تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤].[١]

٣- ﴿ثُقِفُوا﴾: ثقفاً صار حاذقاً فطناً، وثقف العلم والصناعة: حذقهما، وثقف الرجل في الحرب أدركه، وثقف الشيء ظفر به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١].[٢]

ثانياً: وجوه البلاغة

١- الطباق بين ﴿ثُقِفُوا﴾ و ﴿أُخِذُوا﴾.[٣]

٢- تخصيص من في قلوبهم مرض والمرجفون، مع عموم لفظ النفاق وأنه يضم هاتين الطائفتين في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ﴾، تنبيهاً وتشنيعاً عليهم، وتشريداً بهم وغضاً منهم.[٤]

٣- ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ معطوفة على ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾؛ لأنه يصح أن يجاب به القسم، لصحة قولك: لئن لم ينتهوا لا يجاورونك، ولو جعل ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ مسبباً عن قوله: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾، لكان العطف بالفاء، ولكنه جعل جواباً آخر للقسم معطوفاً على الأوّل، وإنما عطف ب ﴿ثُمَّ﴾؛ لأنَّ الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به، فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه.[٥]

٤- قوله تعالى: ﴿تَقْتِيلًا﴾ مصدر مؤكد لعامله، أي قتلوا قتلاً شديداً شاملاً، فالتأكيد هنا تأكيد لتسلط القتل على جميع الأفراد المدلولة لضمير ﴿وَقُتِّلُواْ﴾؛ لرفع احتمال المجاز في عموم القتل، فالمعنى: قتلوا قتلاً شديداً لا يفلت منه أحد.[٦]

---

[١] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٢/ ١٦١٤).
[٢] المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون (١/ ٩٨).
[٣] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٩٦).
[٤] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٤٠٠).
[٥] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٦١).
[٦] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١١٠).

ثالثاً: وجه المناسبة

بعدما ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة حال المشرك الذي يؤذي الله ﷻ ورسوله ﷺ، والمجاهر الذي يؤذي المؤمنين، ذكر هنا حال المُسِرّ الذي يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق،[١] كما أنه قد سبق هذه الآيات الحديث عن التعرض للنساء بالإيذاء، فناسب أن يذكر في هذه الآيات الذين يقومون بإيذائهنّ وهم المنافقون، وحذرتهم الآيات من استمرار إيذائهنّ وعدم الانتهاء عنه.

رابعاً: المعنى العام

لئن لم يكفّ أهل النفاق وأهل الرّيب الذين غلبتهم شهواتهم وأحبّوا الفجور، وأهل الإرجاف في المدينة الذين ينشرون الأخبار الملفّقة الكاذبة التي فيها إظهار عورات المؤمنين كضعف جنود المسلمين وقلة سلاحهم ونحو ذلك مما في إظهاره مصلحة للعدو ضد المسلمين، لنسلطنك عليهم يا محمد ﷺ، وندعونّك إلى قتالهم وإجلائهم عن البلاد، فلا يسكنون معك فيها إلا قليلاً وتخلو المدينة منهم، وهم في هذه المدة التي يجاورونك فيها مطرودين من رحمة الله ﷻ، وأينما يكونوا سيطلبون ويقتلوا تقتيلا، وهذه سنته ﷻ في الذين مضوا من قبل وفي كل زمان، وهي قهر المنافقين، بأن يسلط الله ﷻ عليهم أهل الإيمان فيذلوهم، وهذه السنة لا تتغير ولا تتبدل، بل هي سنة ماضية وثابتة ما وُجد هؤلاء المنافقون.[٢]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- أهل النفاق يميلون إلى الشهوات وحب الفجور، وإشاعة الفتنة، وبث الوهن والضعف في نفوس المؤمنين.

٢- جمع المنافقون بين ثلاثة أوصاف، فهم منافقون، وفي قلوبهم مرض، وأرجفوا في المدينة.[٣]

٣- "تحريم الأذى بالإرجاف"[٤].

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٤).

[٢] انظر: تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٣٨).

[٣] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١١٣).

[٤] الإكليل في استنباط التنزيل: للسيوطي (ص: ٢١٤).

٤- على المنافقين الانتهاء عن كل ما يصدر عنهم من المعاصي، وهذا لا يقتصر على الإرجاف بالمسلمين، أو التعريض بِسَبِّ الإسلام، أو التعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، فإن الله ﷻ لم يذكر المعمول وهو الشيء الواجب عليهم الانتهاء عنه، ليشمل ذلك كل ما توسوس به نفوسهم من الشر.[١]

٥- تهديد المنافقين بالعقاب في الدنيا، وبأن الله ﷻ سيسلط عليهم نبيه ﷺ فيطردهم من المدينة ويوقع فيهم القتل، إن لم يكفوا إيذائهم عن المؤمنين والمؤمنات، وعن نشر الدسائس والإرجاف في المدينة، وفيه إشارة إلى أن وعيد الآخرة لا ينفع معهم لأنهم لا يؤمنون بالبعث.[٢]

٦- مفارقة جوار الرسول ﷺ أعظم ما أصاب المنافقين في المدينة، فهم لن يجاوروا النبي ﷺ إلا زمناً أو جواراً قليلاً، إلى أن يتبين حالهم،[٣] وفي هذا بيان أنه لم تصيبنا مصيبة أعظم من فراق النبي ﷺ ووفاته، وقد روى الطبراني عن رسول الله ﷺ قال: **(إذا أصيب أحدكم بمصيبة، فليذكر مصيبته بي، فإنها أعظم المصائب عنده)**[٤].

٧- "من توجه عليه إخلاء منزل مملوك للغير بوجه شرعي يمهل ريثما ينتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد"[٥].

٨- جواز التعزير والنفي للذين يرجفون بالمؤمنين في بلادهم، ويقومون بنشر الفساد والإشاعات بين صفوفهم، بما قد يؤثر على المؤمنين أو يغمهم، إن أصرُّوا على فعلهم ولم يتوبوا منه أو ينتهوا عنه،[٦] وهذا يرجع أمره للحاكم، فهو قد يلجأ للشدة في التعامل مع من يحاول نشر الدسائس في المجتمع ويثير الفتن، لحفظ أمن المجتمع ومواطنيه.

٩- قوة المسلمين في المدينة المنورة، وضعف المنافقين وعدم قدرتهم على الظهور أمام المؤمنين، إلا بما يدبرونه من كيد خفي للمسلمين،[٧] حيث إنهم مع هذا التهديد لم يكونوا يملكون

---

[١] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧٢).

[٢] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٠٨).

[٣] انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود (٧/ ١١٥).

[٤] المعجم الكبير: للطبراني (٧/ ١٦٧)، حديث رقم (٦٧١٨)، صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٩٧)، حديث رقم (١١٠٦).

[٥] الإنصاف فيما تضمنه الكشاف: لابن المنير الاسكندري (١٥٩/٣).

[٦] انظر: أحكام القرآن: للجصاص (٣/ ٤٨٦).

[٧] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٨٠).

إلا الإذعان والتسليم، أو إخفاء العداوة وعدم إظهارها، بل إن النفاق لم يظهر إلا في المدينة، كي يحتمي به أصحابه، وهذا دليل قوة المسلمين فيها، فإنّ من كان ضعيفاً لا يُنَافَق.

١٠- إصلاح الفاسدين في المجتمع والأمة أولى من اجتثاثهم عنها وقطعهم منها؛ لأن المجتمع بذلك يكسب الأمة فرداً صالحاً أو طائفة صالحة فتنتفع الأمة منها، ويؤيد هذا قول النبي ﷺ: **(بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا)**[١]، وكما شرعت أيضاً دعوة الكفار الذين يغزوهم المسلمون إلى الإسلام قبل غزوهم، فإن أسلموا وإلا عرض عليهم الدخول في ذمة المسلمين، وفي ذلك انتفاع للمسلمين بجزيتهم والاعتضاد بهم،[٢] بل إن إصلاح الفاسد قد يكون دافعاً له لأن يصلح رفقائه بعد أن هداه الله ﷻ، وفي هذا أيضاً إنكار على الآخرين بأن من كان فاسداً قد ترك الفساد، وعلمه بأنه كان على خطأ، فيستجيب غيره تبعاً له.

١١- أوجب الله ﷻ اللعنة على المنافقين على كل حال، وأينما وجدوا.[٣]

١٢- للحاكم أن يقوم بقتل وضرب أعناق من يقوم بتتبع المرأة والفجور بها، لقوله تعالى: **﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾**، إن رأى في فعله ذلك جلب مصلحة ودرء مفسدة، عملاً بقاعدة رعاية المصالح.[٤]

١٣- من عادات الكرماء وأهل الفضل إتمام وعدهم وتأخير إنفاذ وعيدهم، وبقاء المنافقين في المدينة مع النبي ﷺ إلى أن توفي دليل على أن الله ﷻ لم ينفذ وعيده فيهم، ولا أحد أكرم من الله ﷻ ولا أفضل منه، فإذا كان قد ترك إنفاذ وعيده في المنافقين، فهو أولى بالعفو والإحسان وترك إنفاذ وعيده في المؤمنين.[٥]

١٤- الوعيد في بعض الأحيان قد يكون رادعاً إن رأى المقابل قدرة هذا على إنفاذ القول، ولعلَّ هذه الآيات قد أثرت في المنافقين فكفوا أذاهم عن المؤمنين، والتزموا ما نهى الله ﷻ عنه.

---

[١] صحيح البخاري (٤/ ١١٥)، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم (٣٢٣١)، صحيح مسلم (٣/ ١٤٢٠)، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم (١٧٩٥).

[٢] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١١٠).

[٣] انظر: بحر العلوم: للسمرقندي (٦١/٣).

[٤] انظر: محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١١٤).

[٥] انظر: الهداية الى بلوغ النهاية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٨٧٢).

١٥- سنة الله ﷻ في هؤلاء المنافقين، بأن من يتعرض للمؤمنين بالأذى، ويرجف بالأنبياء ﷺ، ويظهر نفاقه، فإنه يؤخذ ويقتل.[١]

١٦- لا تبديل لسنن الله ﷻ، فهي قائمة على الحكمة، فلا يبدلها هو ﷻ شأنه، ولا يستطيع غير الله ﷻ على تبديلها أو تغييرها، وهي ماضية في كل زمان.[٢]

---

[١] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ١٤/ ٢٤٨).

[٢] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٢٦٦).

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٦٣-٧٣)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٦٣-٦٩)

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٧٠-٧٣)

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٦٣-٦٩)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: علم الساعة مرجعه إلى الله ﷻ

المطلب الثاني: وعيد الله ﷻ للكافرين بالعذاب الأليم

المطلب الثالث: تقلب وجوه الكافرين في نار جهنم

المطلب الرابع: تحذير المؤمنين من إيذاء النبي ﷺ

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٦٣-٦٩)

المطلب الأول: علم الساعة مرجعه إلى الله ﷻ

قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٦٣]

أولاً: وجوه البلاغة

١- الاحتباك[١] في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾، بمعنى لعلها تكون قريباً ولعلها تكون بعيدا.[٢]

٢- جيء بالخبر ﴿**قَرِيبًا**﴾ غير مقترن بعلامة التأنيث مع أنه محتمل لضمير المؤنث لفظاً، لأنّ ضمير الساعة جرى عليها بعد تأويلها بالشيء أو اليوم، أو ما يراه جمع من المحققين أن قريباً في مثل هذه الآية ليس خبراً عن فعل الكون ولكنه ظرف له، وهم يعنون أنً فعل الكون تام وأنً قريباً ظرف زمان لوقوعه، والتقدير: تقع في زمان قريب، فيلزم لفظ (قريب) الإفراد والتذكير على نيّة زمان أو وقت، وقد يكون ظرف مكان كما ورد في ضده وهو لفظ (بعيد).[٣]

ثانياً: وجه المناسبة

بعدما بيّنت الآيات السابقة حال المشركين والمنافقين في الدنيا، وأنهم يهانون ويلعنون ويقتلون، ناسب أن تبين هذه الآيات حالهم في الآخرة، فذكرهم الله ﷻ بيوم القيامة وقرب قيام

---

[١] الاحتباك: هو أن يحذف من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأواخر، ويحذف من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل، والحبك مأخوذ من الشدّة والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فمواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط، والمتدبر بصياغة الكلام، الماهر بإحكام روابطه، وإدراك مقابلاتها، تنبه إلى ملء الفرج بأمثال مقابلاتها، كما يفعل الحائل حينما يجري حبكاً محكماً في الثوب الذي ينسجه. انظر: البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حَبَنَّكَة الدمشقي (٢/ ٥٤).

[٢] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١١٣).

[٣] انظر: المرجع السابق (٢٢/ ١١٣).

الساعة، وما يلاقونه في هذا اليوم؛[1] لتخويفهم كي ينتهوا عما هم عليه من الكفر والنفاق، ويتوبوا إلى الله ﷻ.

ثالثاً: المعنى العام

يسألك الناس يا محمد ﷺ عن قيام الساعة، استعجالاً لها، كما أنّ بعضهم يسأل عنها تكذيبًا لوقوعها، وآخرون يسألون تعجيزًا للنبي ﷺ الذي أخبر بها، فأخبرهم أنه لا يعلم وقت قيامها غير الله ﷻ، وأنه ليس لك ولا لغيرك علمٌ بوقت وقوعها، ومع هذا فلا تستبطئوها، وما أدراك يا محمد ﷺ بأن يكون وقت قيامها قد اقترب، فإنّ مجرد مجيء الساعة قرباً وبعدًا، ليس تحته نتيجة ولا فائدة، وإنما النتيجة بالشقاء أو السعادة، وأنّ هذا العبد هل يستحق العذاب أو الثواب؟[2]

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- السائلون عن الساعة أصناف، منهم المكذبون بها وهم أكثرهم، وسؤالهم تهكم واستهزاء، وصنف مصدقون بوقوعها، لكنهم يسألون عن أحوالها وأهوالها، وهؤلاء قال عنهم ﷻ: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾** [الشورى: ١٨]، وصنف مؤمنون يسألون عنها محبة لمعرفة المغيبات، وهؤلاء نهوا عن الاشتغال بذلك، فقد روى أنس ﷺ: **(أن رجلا من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، متى الساعة قائمة؟ قال: ويلك، وما أعددت لها)**[3]، فقد أراد النبي ﷺ أن يأخذ السائل إلى ما هو أهم من ذلك، وإلى ما ينبغي له أنْ يسأل عنه يهتم به، وصنف يسأل اختباراً للنبي ﷺ لعله يجيب بما يخالف ما في علمهم فيجعلون ذلك حجة على انتفاء نبوءته، وهؤلاء هم اليهود.[4]

٢- علم الساعة مرجعه إلى الله ﷻ، وهي من علم الغيب التي استأثر الله ﷻ بعلمه، فلم يُطْلِع عليه ملكاً مقرباً ولا نبيًا مرسلاً، حيث يقول ﷻ: **﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ...﴾** [لقمان:٣٤].

---

[1] انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٥/ ٥٩٢).

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧٢).

[3] صحيح البخاري (٨/ ٣٩)، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، حديث رقم (٦١٦٧).

[4] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١١٢).

٣- ليس في إخفاء وقت قيام الساعة عن النبي ﷺ ما يبطل نبوته، وليس من شرط النبي ﷺ أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله ﷻ،[١] بل إن في إجابة النبي ﷺ إثبات لرسالته التي جاء بها، فهو حين سئل عن الساعة فوض علمها وأمرها إلى الله ﷻ، ولو كان الذي سُئِل غير الرسول ﷺ من طلاب الرياسة أو الوجاهة لأجابهم، علم أو لم يعلم، لكن النبي ﷺ ما أجابهم إلا بما أمر بتبليغه.[٢]

٤- قرب قيام الساعة، وقد أكدت آيات كثيرة أخرى على ذلك، منها قوله تعالى: **﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾** [القمر: ١] كما أن النبي ﷺ قال: **(بعثت أنا والساعة كهاتين)**[٣].

٥- في إخفاء وقت قيام الساعة والإشارة إلى أن وقوعها قريب تخويف السائلين، كي يرجعوا ويعودوا إلى الله ﷻ، وليكون العبد مستعداً باستمرار لها، لا تغيب عن ذهنه ولا يشغله شيء عنها، فلا يجترئ على مخالفة أوامر الله ﷻ، أما الذين يغفلون عنها فأولئك قد خسروا خسراناً مبينا، يقول النسفي[٤]: "ثم بين لرسوله ﷺ أنها قريبة الوقوع تهديداً للمستعجلين وإسكاناً للممتحنين"[٥].

٦- ذم السؤال الذي يكون على سبيل السخرية والاستهزاء ، أو إعجاز الخصم أو لجعل الآخرين يستهزؤون به، ولا يعني هذا ذم السؤال مطلقاً، بل إنه قد يكون واجباً أو مندوباً في بعض الأحيان، حيث قال تعالى: **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل: ٤٣] ، لكن السؤال لما كان من باب الاستهزاء فقد نهى الله ﷻ عنه فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾** [المائدة: ١٠١]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: **(ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم)**[٦].

---

[١] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٤٨).

[٢] انظر: تأويلات أهل السنة: لأبي منصور الماتريدي (٨/ ٤١٦).

[٣] صحيح البخاري (٨/ ١٠٥)، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، حديث رقم (٦٥٠٤) وحديث رقم (٦٥٠٥)، وفي رواية لمسلم قال: "وضم السبابة والوسطى" انظر: صحيح مسلم (٤/٢٢٦٩)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، حديث رقم (٢٩٥١).

[٤] هو أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، حافظ الدين، فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها، نسبته إلى " نسف " ببلاد السند، له مصنفات جليلة، منها: مدارك التنزيل في التفسير، وكنز الدقائق في الفقه، والمنار في أصول الفقه ، مات سنة ٧١٠هـ. انظر: الأعلام: للزركلي (٤/٦٧).

[٥] مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي (٣/ ٤٦).

[٦] صحيح مسلم (٢/ ٩٧٥)، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، حديث رقم (١٣٣٧).

المطلب الثاني: وعيد الله ﷻ للكافرين باللعنة والعذاب الأليم

قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾** [الأحزاب: ٦٤- ٦٥]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿سَعِيرًا﴾**: (سَعَرَ) النار والحرب هيجها وألهبها، قال تعالى: **﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾** [التكوير:١٢]، (اسْتَعَرَتِ) النار و(تَسَعَّرَتْ) توقدت، و(السعير) اسم للنار، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾** [القمر: ٤٧] أي في عناء وعذاب.[١]

٢- **﴿وَلِيًّا﴾**: (والى) فلانا: أي أحبه ونصره وحاباه.[٢]

٣- **﴿نَصِيرًا﴾**: نصره الله ﷻ على عدوه ينصره نصراً، والنصير: الناصر، والجمع الأنصار، واستنصره على عدوه، أي سأله أن ينصره عليه، وتناصروا: نصر بعضهم بعضا.[٣]

ثانياً: وجوه البلاغة

"التعريف في **﴿الْكَافِرِينَ﴾** يحتمل أن يكون للعهد، أي الكافرين الذين كانوا شاقوا الرسول ﷺ وآذوه وأرجفوا في المدينة وهم المنافقون ومن ناصرهم من المشركين في وقعة الأحزاب ومن اليهود، ويحتمل أن يكون التعريف للاستغراق، أي كل كافر"[٤].

ثالثاً: وجه المناسبة

كما بينت الآيات السابقة لعنة الله ﷻ على المنافقين في الدنيا، في قوله تعالى: **﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾** [الأحزاب: ٦١]، ناسب أن يذكر في هذه الآيات لعنته عليهم في الآخرة، لذا عطف عليها **﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾**، فكانت لعنة الدنيا مقترنة بالأخذ والتقتيل ولعنة الآخرة مقترنة بالسعير.[٥]

---

[١] مختار الصحاح: للرازي (ص: ١٤٨).
[٢] المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون (٢/ ١٠٥٧).
[٣] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للفارابي (٢/ ٨٢٩).
[٤] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١١٤).
[٥] انظر: المرجع السابق (٢٢/ ١١٤).

ثالثاً: المعنى العام

إن الله ﷻ أبعد الكافرين به من كل خير، فأقصاهم من رحمته، وطردهم عنها، وأعد لهم في الآخرة ناراً متوهجة ملتهبة، لا يخرجون منها، ماكثين فيها أبداً إلى غير نهاية، وأيأسهم من وجود ما يدفع عنهم العذاب من الولىّ والنصير، بحيث لا يجدون حينئذ من يستنقذهم من السعير، وينجيهم من عذاب الله ﷻ، بشفاعة أو نصرة كما هو الحال في الدنيا لدى الظلمة، إذ ربما وجد النصير والشفيع الذي يخلّص فيها من الورطات، ويدفع المصائب والنكبات.[1]

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- أن الله ﷻ طرد الكافرين وأبعدهم عن رحمته، وأعد لهم ناراً ملتهبة.

٢- مصير الكافرين في الآخرة الخلود في نار جهنم، فهم سيمكثون فيها ولن يخرجوا منها أبدا.

٣- لن تنفع الكافرين عبادتهم للأصنام أو غيرها، ولن يجدوا في الآخرة شفيعاً، ولا صديقاً حميماً يناصرهم، أو يدفع عنهم الأذى، أو ينجيهم من عذاب الله ﷻ.

٤- "تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوال الكافرين فيها"[2].

المطلب الثالث: تقلب وجوه الكافرين في نار جهنم

قال تعالى: **﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾** [الأحزاب: ٦٦ -٦٨]

أولاً: المعاني اللُّغوية

﴿سَادَتَنَا﴾: السيد هو كل من افترضت طاعته كالملك والمتولي للجماعة الكثيرة، والمولى ذي الخدم والعبيد، فيقال: فلان سيد قومه، وسيد القرار: أي صاحبه.[3]

---

[1] تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٤١).

[2] أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٢٩٦).

[3] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٢/ ١١٣١).

﴿**وَكُبَرَاءَنَا**﴾: الكبير: اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى، ومعناه: الموصوف بالجلال وعِظم الشَّأن وكمال الذَّات، الكبير عن شبه المخلوقات، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [سبأ: ٢٣]، و كبير القوم: سيّدهم، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا**﴾ [الأحزاب: ٦٧].[١]

أما الفرق بين سيد القوم وكبيرهم هو: "أنّ سيدهم هو الذي يلي تدبيرهم، وكبيرهم هو الذي يفضلهم في العلم أو السن أو الشرف، وقد قال تعالى: ﴿**فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ**﴾ [الأنبياء: ٦٣]، فيجوز أن يكون الكبير في السن، ويجوز أن يكون الكبير في الفضل، ويقال لسيد القوم كبيرهم ولا يقال لكبيرهم سيدهم إلا إذا ولي تدبيرهم..."[٢].

ثانياً: وجوه البلاغة

١- التحسر والتفجع بطريق التمني في قوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**﴾[٣].

٢- التعبير عن قادتهم وزعمائهم الذين أضلوهم بلفظ ﴿**سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا**﴾ لتقوية الاعتذار، وإلا فهم في مقام التحقير والإهانة.[٤]

٣- تصدير الدعاء بالنداء مكرراً في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾، إظهار للتضرع والابتهال، وللمبالغة في الجؤار واستدعاء الإجابة.[٥]

٤- وَصْف اللعن بالكثرة كما وُصِفَ العذاب بالضعفين، إشارة إلى أن الكبراء استحقوا عذاباً لكفرهم وعذاباً لتسببهم في كفر أتباعهم، والمراد بالكثير الشديد القوي، فعبر عنه بالكثير لمشاكلة معنى التثنية في قوله: ﴿**ضِعْفَيْنِ**﴾ المراد به الكثرة.[٦]

---

[١] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٣/ ١٨٩٧).

[٢] الفروق اللغوية: للعسكري (ص: ١٨٢).

[٣] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٩٦).

[٤] انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود (٧/ ١١٧).

[٥] المرجع السابق (٧/ ١١٧).

[٦] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١١٩).

ثالثاً: وجوه القراءات

١- قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا**﴾، يقرأ بالجمع (سادة)، ويجمع الجمع (ساداتنا)، وحجة من قرأ بالجمع: أنه لما جاء بعده (كبراء) وهو جمع (كبير) وجب أن يكون الذي قبله (سادة) وهو جمع (سيّد)، ليوافق الجمع في المعنى، وحجة من قرأ بجمع الجمع أن السادة كانوا فيهم أكبر من الكبراء، فأبانوهم منهم بجمع يتميزون به عنهم.[١]

٢- قرأ عاصم ﴿**وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾ بالباء أي: عظيماً فالكبر مثل العظم والكبر وصف للفرد كالعظم، وقرأ الباقون ﴿**كَثِيرًا**﴾ بالثاء أي: جماً فالكثرة أشبه بالمعنى لأنهم يلعنون مرة بعد مرة وقد جاء ﴿**يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٩].[٢]

رابعاً: وجه المناسبة

لما بيَّن الله ﷻ في الآيات السابقة أن الكافرين لن يجدوا شفيعاً لهم يوم القيامة يدفع عنهم العذاب، ذَكَر في هذه الآيات أن بعض أعضائه أيضاً لا تدفع العذاب عن بعضها،[٣] ولمّا ذكرت الآيات السابقة وعيد الله للكافرين بالعذاب الأليم ناسب في هذه الآيات تنفيذ هذا الوعيد لأنهم لم يتوبوا، فوصفهم وهم يعذبون في النار.

خامساً: المعنى العام

يوم تقلب وجوه هؤلاء الكفار في النار وتحول وجوههم من حال الحسن إلى القبح ومن البياض إلى السواد، نادمين على فعلهم يقولون يا ليتنا أطعنا الله ﷻ في أوامره ونواهيه، وأطعنا الرسول ﷺ في دعوته لنا إلى الحق، وقالوا ربنا إنا أطعنا قادتنا وأشرافنا وعظماءنا فصرفونا عن طريق الحق والإسلام، ربنا ارفع عنا بعض العذاب، وزدهم واحمل عليهم، واطردهم من رحمتك وعذبهم عذاباً عظيماً وكثيراً دائماً.[٤]

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- من صور العذاب التي يلقاها الكفار في نار جهنم تقلبهم على وجوههم في النار.

---

[١] الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه (ص: ٢٩١).

[٢] حجة القراءات: لابن زنجلة (ص: ٥٨٠).

[٣] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٥).

[٤] انظر: بحر العلوم: للسمرقندي (٦١/٣).

٢- لو كان الوجه لا يقلب ولا يتغير من جهة إلى أخرى لنال من العذاب ما يستحق، فو محاط بالنار من جميع الجهات، لكن هذا زيادة في النكال والتعذيب، ولعل لفظ التقلب وهذه الصورة التي رسمتها الآيات، تؤثر في مسامع الكافرين فيعودوا إلى رشدهم ويؤمنوا بالله ﷻ، ويطيعوا نبيه ﷺ.

٣- تخصيص الوجوه بالتعذيب في النار بالذكر دون غيره من مواضع الجسد؛ لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده، فإذا كان قد تعرض للعذاب، فما دونه أولى، ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجسد كله،[١] كما أنّ تخصيص الوجوه بالذكر دون سائر الأعضاء لأنّ الوجه يتأذى أكثر من غيره، فهو يحتوي على الحواس الرقيقة كالعيون والأفواه، التي هي عرضة لتأثير أي شيء فيها.[٢]

٤- تمنّي الكافر لو أنه أطاع الله ﷻ والرسول ﷺ، لينجو من العذاب كما نجا المؤمن، وإذا كان الكافر قد تمنى ذلك، فهذا دافع للمؤمن أن يستزيد من الصالحات لأنه سيتمنّى أنه لو استكثر منها.

٥- على الإنسان أن يعمل عقله الذي وهبه الله ﷻ له في التفكير، ليصل إلى الصواب، فلا يوجد أحد معصوم بعد النبي ﷺ، وعلى المسلم الفطن ألا يجعل حائلاً أو مانعاً يحول بين تفكيره بالشيء ليهتدي إلى الحق.

٦- الزجر عن التقليد والتحذير منه والتنفير عنه، حيث إن تقليدهم لسادتهم وكبرائهم أوقعهم في الضلالة، وما كان لهم إضلالهم لولا تفضيلهم لطاعتهم العمياء عن النظر والتفكر والاستدلال، وقد حذر القرآن من ذلك في أكثر من موضع ونبه إليه، لكن هذا لا يعيه من كان عنده سوء فهم أو شدة تعصب،[٣] لذلك فإن تنصل هؤلاء الكفار واعتذارهم بأنَّ سبب ضلالهم هو طاعتهم لساداتهم وكبرائهم في الكفر مردودٌ عليهم، فإنهم لم يجبروهم على طاعتهم، ولكنهم دعوهم فاستجابوا.

٧- للزعماء والكبراء والأغنياء دور في الصدّ عن الدعوة الإسلامية ومناوأة الرسالة النبوية والوقوف في وجه النبي ﷺ، وهذا حال الكبراء والزعماء من كل دعوة فيها خير وصلاح، وفي

---

[١] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٦٢).

[٢] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١١٦).

[٣] انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: للقنوجي (١١/ ١٥٠).

هذا تحذير لعامة الناس ليحذروهم ولا يبالوا بهم، لما يعود عليهم من وراء ذلك من شرّ ونكال في دنياهم وأخراهم.[1]

٨- السادة لهم دور كبير في التأثير على الناس، وعلى حملة لواء الدعوة الإسلامية أن يَعُوا ذلك جيداً، لما فيه من مصلحة للإسلام والمسلمين، وهذا ما تنبه إليه مصعب بن عمير حين ذهب داعياً إلى المدينة، وما رأى من مكانة لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسيد بن حضير ﷺ عند قومهم، وسمعٍ وطاعةٍ لهم، فقام بدعوتهم إلى الإسلام فأسلموا، وأسلم الناس معهم.

٩- "الدعاء لا يكون إلا عند عدم حصول الأمر المدعو به، والعذاب كان حاصلا لهم واللعن كذلك، فطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب، بقولهم: ﴿**ضِعْفَيْنِ**﴾، وزيادة اللعن، بقولهم: ﴿**لَعْنًا كَبِيرًا**﴾"[2].

١٠- لا ينفع تمنِّي الكافر أنه لو أطاع الله ﷻ والرسول ﷺ شيئاً، فلا يملك حينها إلا طلب التشفي والانتقام من السادة الذين أضلوهم بالدعاء عليهم، بأن يضاعف العذاب عليهم ضعفين لأنهم ضلوا وأضلوا، وأن كانوا متيقنين بعدم خلاصهم مما هم فيه.[3]

المطلب الرابع: تحذير المؤمنين من إيذاء النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾ [الأحزاب: ٦٩]

أولاً: المعاني اللُّغوية

﴿**وَجِيهًا**﴾: رجل وجيه: ذو وجاهة، ووَجُه الرجل: صار وجيهاً أي ذا جاه وقدر، وأَوجَهَه الله ﷻ أي صيره وجيهاً، وأَوجَهَه السلطان ووجهه: شرفه، وأَوجَهْتُه: صادفته وجيهاً، وكله من الوجه.[4]

---

[1] انظر: التفسير الحديث: لدروزة (٧/ ٤٢٥).

[2] مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٥).

[3] انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري (٥/ ٤٧٦).

[4] لسان العرب: لابن منظور (١٣/ ٥٥٨).

ثانياً: وجوه البلاغة:

التشبيه في قوله تعالى: **﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾** ويسمى التشبيه المرسل المجمل.[١]

ثالثاً: وجه المناسبة

لمّا ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة إيذاء الكفار والمنافقين للنبي ﷺ والمؤمنين، حذر المؤمنين في هذه الآيات من التعرض لإيذاء النبي ﷺ، ونهاهم عن التشبه ببني إسرائيل في أذيتهم نبيهم موسى عليه السلام،[٢] ولما كان الإيذاء في الآيات السابقة يؤدي إلى الكفر، أرشد المؤمنين إلى الامتناع من الإيذاء الذي هو دونه ولا يورّث كفراً.[٣]

رابعاً: المعنى العام

يحذر الله ﷻ من إيذاء النبي ﷺ، كما آذَى بنو إسرائيل موسى عليه السلام، وذلك أنهم رموه بالبرص[٤] والأدرة[٥]، حتى برَّأه الله مما رموه بالباطل، فإنه كان ذو جاهٍ ومنزلةٍ عند ربه ﷻ، وكان من عباده المرسلين.[٦]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- تحذير المؤمنين من إيذاء النبي ﷺ بقول أو فعل يكرهه، كإيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام، فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: **(لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ ناساً، أعطى الأقرع مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى ناساً، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت: لأخبرن النبي ﷺ، قال: رحم الله ﷻ موسى عليه السلام، قد أوذي بأكثر من هذا**

---

[١] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٩٦)، والتشبيه المرسل المجمل: هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، لكن لم يذكر فيه وجه الشبه، مثل قولنا: "خالد كالأسد"، فقد سمى مرسلاً لذكر الأداة، ومجملاً لحذف وجه الشبه.انظر: البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حَبَنَّكَة الدمشقي (٢/ ١٧٣).

[٢] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٥٠).

[٣] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٦).

[٤] البرص: مرض معد مزمن يظهر على شكل بقع بيضاء في الجسد، يؤذي الجهاز العصبي، ويحدث في الجسم قشرا أبيض ويسبب حكا مؤلما. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد عمر (١/ ١٩٠).

[٥] الأدرة: هو انتفاخ الخصية. انظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ٣٣٠).

[٦] انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للواحدي (ص: ٨٧٥).

فصبر)[1]، يقول ابن عاشور: " نبه الله المؤمنين كي لا يقعوا في مثل تلك العنجهية[2]؛ لأن مدارك العقلاء في التنبيه إلى معاني الأشياء وملازماتها متفاوتة المقادير، فكانت حرية بالإيقاظ والتحذير "[3].

٢- "وجوب الامتناع عن اتهام الناس بما ليس فيهم، والتزام حدود الحق والسداد في كل ما يصدر عن المرء من قول"[4].

٣- آذى بنو إسرائيل نبي الله موسى عليه السلام، فقيل: إنهم اتهموه بالأدرة أو أنّ به برص أو بأنه قتل أخيه هارون عليه السلام، كما رموه بالسحر والجنون، يقول الطبري بعد ذكره للروايات في بيان إيذاء موسى عليه السلام: " وجائز أن يكون كل ذلك؛ لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى عليه السلام، فبرأه الله مما قالوا"[5]، ويقول المراغي: "ولم يعين لنا الكتاب الكريم ما قالوا في موسى عليه السلام، ومن الخير ألا نعيّنه؛ حتى لا يكون ذلك رجماً بالغيب دون أن يقوم عليه دليل"[6].

٤- في إيذاء اليهود لموسى عليه السلام إلفات للمسلمين وضعاف الإيمان إلى اعتزال اليهود وقطع كل ما بينهم من صلات، والتخلص عما نتج من مخلفات اليهود في المدينة من ماديات الحياة ومعنوياتها؛ لما ينتج عنهم من شر وبلاء محض، وأنه لا سلامة للمسلمين على أنفسهم وعقيدتهم إلا بالتخلص من هذه الآثار والمخلفات.[7]

٥- موسى عليه السلام كان عظيم القدر عند الله عز وجل، رفيع المنزلة والمكانة، ويروى أنه كان إذا سأل الله عز وجل شيئاً أعطاه إياه.[8]

---

[1] صحيح البخاري (٥/ ١٥٩)، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٦).

[2] يقال فلانٌ ذو عُنْجُهِيَّةٍ : أي كبر وعظمة، ويقال: العنجهية: الجهل والحمق. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للفارابي (٦/ ٢٢٣٩).

[3] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١١٩).

[4] التفسير الحديث: لدروزة (٧/ ٤٢٧).

[5] جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٣٣٥).

[6] تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٤٣).

[7] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٥٨).

[8] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١٢٤).

٦- لأنّ موسى عليه السلام ذا جاه ومنزلة عند الله جل جلاله، فقد كان الله عز وجل يميط عنه الأذى ويدفع عنه التهم،[١] والوجاهة التي تنفع صاحبها هي التي يتصف صاحبها بالخير والخصال الحميدة، والتي تجعل من شأنه أن يعرف فلا ينكر،[٢] بل إن الله عز وجل يدافع عن المؤمنين لاتصافهم بالإيمان حيث يقول: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** [الحج: ٣٨]، وفي هذا حث لنا على أن ندافع على من له منزلة عندنا، وعلى من نظن فيه الخير والصلاح.

٧- اتخذ العامة وغيرهم وصف الأنبياء عليهم السلام بالوجاهة ذريعة لتحقيق مقصد ورغبة ما عندهم، وهي التوسل بالأنبياء والأولياء، معتقدين أن التوسل بهم إلى الله عز وجل كالتوسل بأكابر الناس إلى الحكام، كما هو معروف من معنى الشفاعة والجاه عند الحكام، لكن هذا القول مخل بالعقيدة، فقياس التوسل إلى الله سبحانه وتعالى على التوسل بالحكام محال، حيث إنه لا ضار ولا نافع سوى الله عز وجل، وإن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعظم الناس منزلةً وجاهاً وقرباً ومحبة عند الله عز وجل، ليس له من الأمر شيء.[٣]

٨- يدل اغتسال موسى عليه السلام ووضع ثوبه على الحجر ودخوله في الماء عرياناً على جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة، وهذا هو مذهب الجمهور، ولكن يستحب التستر،[٤] فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن موسى عليه السلام كان رجلاً حيياً سِتِّيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة: وإما آفة، وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر**

---

[١] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٦٣).

[٢] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٦).

[٣] انظر: محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١١٨).

[٤] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٥١).

ضربه، ثلاثا أو أربعا أو خمسا، فذلك قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا)[1].

٩- من أوذي من عباد الله ﷻ عليه أن يتأسى بالأنبياء ﷺ، فعليه ألّا يجزع ولا يخاف، ولا يتراجع عن كلمة الحق، ويعلمّ أن الأنبياء ﷺ قبله أوذوا بأكثر مما أوذي به فصبروا، وهذا مما يعينه على تحمل المصائب والابتلاءات، والإيذاء في سبيل رفع لواء الدين.

[1] انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٥٦)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، حديث رقم (٣٤٠٤).

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٧٠-٧٣)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أمر المؤمنين بتقوى الله ﷻ وفضائل ذلك

المطلب الثاني: حمل الإنسان للأمانة

المطلب الثالث: أثر حمل الإنسان لأمانة التكليف

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٧٠-٧٣)

المطلب الأول: أمر المؤمنين بتقوى الله ﷻ وفضائل ذلك

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أولاً: المعاني اللُّغوية

﴿سَدِيدًا﴾: التسديد: التوفيق، والسَّداد هو الصواب والقصد من القول والعمل، والمُسَدَّد: المقوم، وأمر سديد أي قاصد، واستدّ الشيء: استقام.[١]

ثانياً: وجه البلاغة

ابتداء الكلام بنداء الذين آمنوا للاهتمام به واستجلاب الإصغاء إليه، كما أنّ نداءهم بالذين آمنوا فيه من الإيماء إلى أن الإيمان يقتضي ما سيؤمرون به، وهذا فيه تعريض بأنّ الذين يصدر منهم ما يؤذي النبي ﷺ قصداً ليسوا من المؤمنين في باطن الأمر ولكنهم منافقون.[٢]

ثالثاً: وجه المناسبة

لما نهى الله ﷻ عن أذى النبي ﷺ والمؤمنين في الآيات السابقة، أمر في هذه الآيات وأرشدهم لما ينفعهم ليصيروا وجهاء عنده ﷻ، وليكونوا مقربين منه،[٣] يقول الزمخشري: "وهذه الآية مقرّرة للتي قبلها، بُنِيَت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله ﷺ، وهذه على الأمر باتقاء الله ﷻ في حفظ اللسان، ليترادف عليهم النهى والأمر، مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام، واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه"[٤].

---

[١] مختار الصحاح: للرازي (ص: ١٤٤).

[٢] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٢٢).

[٣] انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي (١٥/ ٤٢١).

[٤] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٦٤).

رابعاً: المعنى العام

يأمر الله ﷻ المؤمنين في هذه الآيات بتقواه، وعدم معصيته، وأن يقولوا قولاً صواباً غير باطلاً، فإنه يترتب على التزامهم بهذه الأوامر أن يوفقهم لصالح الأعمال، ويغفر لهم ذنوبهم، وإنه من يطع الله ﷻ والرسول ﷺ فيعمل بما أُمِر به ويجتنب ما نُهِي عنه، فقد ظفر بالثواب العظيم يوم القيامة فينجوا من النار ويدخل الجنة.[1]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- وجوب تقوى الله ﷻ بالتزام أوامره واجتناب نواهيه، والتزام الصواب والصدق من الأقوال، وعدم التحدث بالفاحش من القول، بحيث يجعل المؤمن مخافة الله ﷻ نصب عينيه عند التحدث بلسانه.

٢- الصدق والصواب في القول هو أصل كل سعادة وكمال، وهو وإن كان داخلاً في التقوى المأمور بها في الآية، لأنه اجتناب للرذيلة، وفي هذا الشيء تزكية للنفس والتي يتضمنها معنى التقوى، لكنه أفرد بالذكر لفضيلته،[2] كما أنّه جوامع لكثير من الخير، وقد قال تعالى: ﴿**وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[الزمر: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[التوبة: ١١٩].

٣- من يتق الله ﷻ ويلتزم الصواب من القول فإنّ الله ﷻ يوفقه لصالح الأعمال، ويكون ذلك سبباً لقبولها، ويغفر له ذنبه فلا يعاقبه عليها.

٤- "من وفقه الله ﷻ لصالح الأعمال فذاك دليل على أنّه مغفور له"[3].

٥- طاعة الله ﷻ والرسول ﷺ بالتزام الأوامر والنواهي، سبب للفوز العظيم والكبير، الذي يطمع إليه كل مؤمن، وهو دخول الجنة والنجاة من النار.

٦- طاعة الله ﷻ هي طاعة للرسول ﷺ، وقد جمع الله ﷻ بينهما في هذه الآية لبيان شرف وعظم فعل المطيع لله ﷻ ورسوله ﷺ.[4]

---

[1] انظر: تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٤٥).
[2] انظر: محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١٢٣).
[3] تفسير التستري: للتستري (ص: ١٢٧).
[4] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٦).

المطلب الثاني: حمل الإنسان للأمانة

قال تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾** [الأحزاب: ٧٢]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿الْأَمَانَةَ﴾**: في الأمانة أقوال كثيرة، منهم من قال هي الفرائض، وقال آخرون هي التكليف، ومنهم من قال هي الطاعة، ومنهم من قال هي الأعضاء، ومنهم من قال هي الودائع، "وذهبت فرقة هي الجمهور، إلى أنّه كل شيء يؤتمن الإنسان عليه من أمر ونهي وشأن دين ودنيا، فالشرع كله أمانة"[١]، يقول ابن كثير: "وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها بل متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب"[٢].

٢- **﴿فَأَبَيْنَ﴾**: (أَبَيَ) الهمزة والباء والياء يدل على الامتناع، والإباء: أن تعرض على الرجل الشيء فيأبى قبوله، فتقول ما هذا الإباء، وَالْأَبِيَّةُ من الإبل: الصعبة، ورجل أَبَيَانٌ: إذا كان يأبى الأشياء، وماء مَأْبَاةٌ: أي تأباه الإبل، وأخذه أَبَاءٌ: إذا كان يأبى الطعام.[٣]

٣- **﴿وَأَشْفَقْنَ﴾**: الشفق والإشفاق: الخوف، قال تعالى: **﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾** [الأنبياء: ٤٩] والشفقة أن يكون الناصح من بلوغ النصح خائفاً على المنصوح، تقول: أشفقت عليه أن يناله مكروه، وأشفق عليه حذر، والشفيق: الناصح الحريص على صلاح المنصوح، والشفقة: رقة من نصح أو حب يؤدي إلى خوف.[٤]

ثانياً: وجوه البلاغة

١- الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾**، مثَّل للأمانة في ضخامتها وعظمها وتفخيم شأنها بأنها من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والأرض والجبال وهي من القوة والشدة بأعلى المنازل لأبت عن حملها وأشفقت منها.[٥]

---

[١] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٤٠٢).

[٢] تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٤٣١).

[٣] مقاييس اللغة: لابن فارس (١/ ٤٥).

[٤] لسان العرب: لابن منظور (١٠/ ١٧٩).

[٥] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٩٦).

٢- "تخصيص السماوات والأرض بالذكر من بين الموجودات؛ لأنهما أعظم المعروف للناس من الموجودات، وعطف الجبال على الأرض وهي منها لأنّ الجبال أعظم الأجزاء المعروفة من ظاهر الأرض وهي التي تشاهد الأبصار عظمتها"[١].

٣- وصف جنس الإنسان بصفتي المبالغة في قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾**، لكثرة الأفراد المتصفة بالظلم والجهل منه، وإن لم يكونا فيها على وجه المبالغة، بل لا يخلو فرد من الأفراد عن الاتصاف بظلم ما وجهل ما، ولا يجب في وصف الجنس بصيغة المبالغة تحقق تلك الصفة في الأفراد كلاً أو بعضاً على وجه المبالغة.[٢]

ثالثاً: وجه المناسبة

مناسبة الآية لِمَا قبلها أنّ الوفاء بهذه الأمانة التي حملها الإنسان من جملة التقوى المأمور بها في الآيات السابقة،[٣] وبعد أن بينت الآيات السابقة أن من أطاع الله ﷻ ورسوله ﷺ فقد فاز فوزاً عظيماً، ذكرت هذه الآيات الوسيلة التي يصل بها الإنسان إلى هذه الطاعة وهي القيام بالتكاليف الشرعية التي طلبت منه،[٤] ولمّا أرشد الله ﷻ المؤمنين إلى الأدب مع النبي ﷺ وترك الأذى واتقاء الله ﷻ، بَيَّن أنّ ما كلف به الإنسان أمر عظيم.[٥]

رابعاً: المعنى العام

يبين الله ﷻ أنّه عرض أمانة التكليف من امتثال للأوامر واجتناب للنواهي على السماوات والأرض وما فيهما، وعلى الجبال، فأبت ورفضت هذه الأشياء حمل هذه الأمانة، حيث خافت ألا تطيق ذلك وألّا تقوم بأدائها، لكنّ الإنسان مع ضعفه حين كُلِّف بها حملها، فهو في ذلك شديد الظلم والجهل لنفسه.[٦]

---

[١] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٢٥).

[٢] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٢٧٤).

[٣] انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لابن عجيبة الفاسي (٤/ ٤٦٨).

[٤] انظر: تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٤٦).

[٥] انظر: البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٥٠٨).

[٦] انظر: التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير (١/ ٤٢٧).

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال إنّما هو امتحان لهذه العوالم بما فيها ومن فيها في مواجهة الإنسان، حتى يظهر عجزها، ويبين فضل الإنسان عليها،[١] و"العرض على السموات والأرض والجبال إما مجاز، وإما حقيقة، وإما ضرب مثل"[٢].

٢- التعبير عن الطاعة بالأمانة تنبيهاً على أنّ الله ﷻ أودع المكلفين هذه الحقوق وائتمنهم عليها، وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد،[٣]وقد روى أبو هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **(أد الأمانة إلى من ائتمنك...)**[٤].

٣- تعظيم هذه الأمانة، فإذا كانت أعظم الأشياء مما نبصره ونراه من جنس الموجودات وهي السماوات والأرض والجبال لم تطق تحمل هذه الأمانة، فهذا يدل على عظمها.[٥]

٤- ليس معنى إباء السماوات والأرض والجبال هذه الأمانة هو الرفض والعصيان ومخالفة الأوامر، ولكنه يعني عدم موافقة طبيعة هذه الأشياء لقبول هذا الأمر المعروض عليها، فالإباء هنا يحكمه طبيعة هذه الأشياء، فهو إباء عجز وقصور، لا دخل للإرادة فيه،[٦] بل إنّ الله ﷻ قد وصف هذه العوالم بالطاعة والخضوع فقال: **﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾** [فصلت: ١١].

٥- أشفقت السماوات والأرض والجبال من هذه الأمانة؛ لأنّها قد تأمن هلاكها، كما أنّ الشيطان وأعوانه كانوا في قصد المكلفين إذ العرض كان بعد خروج آدم من الجنة، بالإضافة إلى أن هذه الأمانة بحاجة إلى رعاية والإتيان بجميع حقوقها.[٧]

---

[١] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٦٤).

[٢] التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١٢٨).

[٣] انظر: محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١٢٤).

[٤] سنن الترمذي (٣/ ٥٥٦)، أبواب البيوع، حديث رقم (١٢٦٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٧٨٣)، حديث رقم (٤٢٣).

[٥] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٢٥).

[٦] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٦٥).

[٧] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٧).

٦- حمل الإنسان هذه الأمانة لجهله بما فيها أو؛ لأنّه نظر إلى جانب التكليف، واعتقد أنّ الله ﷻ الذي أودعه هذه الأمانة لا يعرضها إلا على أهلها، كما أنّه يحفظها بعونه ﷻ عليها، فقد قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** [الطلاق: ٣][١].

٧- وصف الإنسان بأنّه ظلوم جهول، إنما هو واقع على من خان الأمانة ولم يؤدها، وهو إشارة إلى تلك الخسارة العظيمة، التي خسرها الإنسان بتضييع الأمانة التي كانت بين يديه، والتي حين تخلّى عنها فقد كلّ شيء، ولا يقع الظلم أو الجهل على الإنسان في جنسه كله.[٢]

٨- وصف الإنسان بالظلم والجهل في هذه الآيات، إلى جانب صفات أخرى ملازمة له بينتها آيات أخرى، يستلزم أن يبذل المسلم ما في وسعه لمعالجة مثل تلك الصفات والتخلص منها، ومن كل ما هو مذموم.[٣]

٩- على المسلم أن ينأى بنفسه عن تولي المسؤوليات، وعليه ألّا يقدم على حمل ما لا يستطيع حمله، وما يكون فيه متيقناً بعدم قدرته على حمل هذه المسؤولية؛ لأنّه مؤتمن عليها، وهو إن قصر في أدائها فسيحاسبه الله ﷻ عنها، وسيجازيه ﷻ على تفريطه وتقصيره، فعن أبي ذر ﷺ، قال: **(قلت: يا رسول الله ﷺ، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها)**[٤].

المطلب الثالث: أثر حمل الإنسان لأمانة التكليف

قال تعالى: **﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** [الأحزاب: ٧٣]

أولاً: وجوه البلاغة

١- المقابلة بين قوله تعالى: **﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾** وبين قوله: **﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾**، وفي ختم السورة بهذه الآية من البدائع ما يسميه علماء البديع (رد

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٨).

[٢] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٦٧).

[٣] انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٣٠٠).

[٤] صحيح مسلم (٣/ ١٤٥٧)، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حيث رقم (١٨٢٥).

العجز على الصدر)، لأن بدء السورة كان في ذم المنافقين، وختامها كان في بيان سوء عاقبة المنافقين، فحسن الكلام في البدء والختام.[١]

٢- تقديم التعذيب على التوبة، حيث إنّه لمّا سمى الله ﷻ التكليف أمانة، وكان من حكمها اللازم أن الخائن يضمن، وليس من حكمها اللازم أن الأمين يستفيد أجرة على فعله ذلك، فكان التعذيب على الخيانة كاللّازم، والأجر على الحفظ إحسان، والعدل إنما يكون قبل الإحسان.[٢]

٤- مقابلة التعذيب بالتوبة دون الإثابة أو الرحمة، للإشارة إلى أنّ في المؤمنين والمؤمنات من يصدر منه ما يصح أن يعذب عليه ومع ذلك لا يعذب، وفيه أيضاً إشعار بأنّه لا يعذب على كل ظلم وجهل وفي هذا من إدخال السرور على المؤمنين والكآبة على أضدادهم ما فيه، وأيضاً فإنّ ذلك أوفق بظاهر قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾**، وقيل: إنّه لم يعتبر بالإثابة؛ لأنها علمت من قوله ﷻ: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾**، فعبر بما ذكر للتنبيه على أن ذلك بمحض الفضل.[٣]

٣- عطف المشرك على المنافق، ولم يُعِدْ اسمه ﷻ، فلم يقل: (ويُعَذِّبَ اللَّهُ المُشْرِكين)، وعند ذكر التوبة على المؤمنين أعاد اسمه فقال: **﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾** ولو لم يعد اسمه وقال: (وَيَتُوبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) كان المعنى حاصلاً، ولكنّه أراد تفضيل المؤمن على المنافق فجعله كالكلام المستأنف.[٤]

٤- الالتفات إلى الاسم الجليل في قوله تعالى: **﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾**، لتهويل الخطب وتربية المهابة، والإظهار في موقع الإضمار، لإبراز مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه.[٥]

ثانياً: المعنى العام

حمَّل الله ﷻ الإنسان الأمانة؛ ليعذب المنافقين والمنافقات الذين يتسترون بالإيمان ويبطنون الكفر، والمشركين والمشركات الذين ظاهرهم وباطنهم على الكفر والشرك بالله ﷻ،

---

[١] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٤٩٦).

[٢] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٩).

[٣] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٢٧٤).

[٤] انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٥/ ٥٩٨).

[٥] انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود (٧/ ١١٩).

ويرحم المؤمنين والمؤمنات العاملين بطاعته، فإن الله ﷻ غفورٌ لذنوب المؤمنين، رحيماً بهم فلا يعاقبهم عليها.[١]

ثالثاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- جزاء الذين خانوا الأمانة وضيعوها ولم يقوموا بالوفاء بحقوقها من المنافقين والمشركين أن يعذبوا في نار جهنم، وجزاء الذين أدوها وأوفوا بها من المؤمنين والمؤمنات أن يتوب الله ﷻ عليهم ويدخلهم الجنة.

٢- حَمْل الأمانة وأداؤها كاملة، لا يكاد يتحقق على وجه الكمال، إلا في صفوة مختارة من أنبياء الله ﷻ ورسله ﷺ، والمطلوب من الناس، حتى من هم في أعلى المنازل، أن يقاربوا ويسدّدوا، وأن يأتوا من الأمر ما استطاعوا، فإذا وقع منهم تقصير فإنّ الله ﷻ غفور رحيم لمن يستغفره ويتوب إليه.[٢]

٣- " ذكر المؤمنات والمشركات والمنافقات يفيد أنّ الميدان في عهد النبي ﷺ وإزاء دعوته ورسالته لم يكن خالياً من المرأة، وأنه كان هناك مؤمنات مخلصات كما كان هناك مشركات عنيدات ومنافقات خائنات، فاستحقت الأوليات بشرى الله ﷻ بالتزامهنّ حدود الله ﷻ وتكليفه، واستحقّت الأخريات إنذار الله ﷻ وعذابه لانحرافهنّ عن هذه الحدود"[٣].

٤- العبد قَبِلَ الأمانة وحملها بعد عرضها عليه، مع ظلمه وجهله، لعلمه أنّ الله ﷻ يجبر ذلك بالغفران والرحمة، بعد بيان الله ﷻ لعبده وإعلامه بأنه غفور رحيم.[٤]

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٤٣٥).

[٢] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٧٠).

[٣] التفسير الحديث: لدروزة (٧/ ٤٣١).

[٤] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٨٩).

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١-٢٣)

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة سبأ

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١- ٩)

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١٠-١٤)

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١٥-٢٣)

المبحث الأول

تعريف عام بسورة سبأ

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه تسميتها، وعدد آياتها

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة، وجوُّ نزولها

المطلب الثالث: فضائل السورة، وترتيبها

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

المطلب الخامس: المحور الأساس للسورة

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة

المبحث الأول

تعريف عام بسورة سبأ

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه تسميتها، وعدد آياتها

أولاً: أسماء السورة

فقد سميت هذه السورة بسورة سبأ[١]، "وهذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب السنة وكتب التفسير وبين القراء"[٢]، وقد روى الترمذي عن فروة بن مسيك المرادي[٣]، قال: **(أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم؟...قال: وأنزل في سبإ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله، وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فَتَيَامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ، وَتَشَاءَمَ منهم أربعة...)**[٤]، وهذا الاسم (سبأ) هو الموجود في مصاحفنا اليوم، فقال تعالى في هذه السورة: **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ...﴾** [سبأ:١٥].

ثانياً: وجه التسمية

سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم لورود لفظ سبأ فيها عند ذكر الله ﷻ قصة قوم سبأ، قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾**، يقول القاسمي: "وهذه التسمية لهذه السورة الكريمة

---

[١] سَبَأ: أرض باليمن مدينتها مأرب، وسميت بذلك لأنّها كانت منازل ولد سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد كان اسمه عامرا، وسمّي سبأ لأنّه أوّل من سبى السّبي، ويقال إن سبأ رجل ولد عشرة بنين فسمّيت القرية باسم أبيهم. انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي (٣/ ١٨١) آثار البلاد وأخبار العباد: للقزويني (ص: ٤٠).

[٢] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٣٣).

[٣] فروة بن مسيك، ويقال مسيكة، ابن الحارث الغطيفي، أبو عمر، قال البخاريّ: له صحبة، يعد في الكوفيين، وأصله من اليمن. وفد فروة مع مذحج فأسلموا، وكانت وفادته سنة تسع أو عشر، واستعمله النبي وعمر من بعده على صدقات مذحج، وقد كان من وجوه قومه، وله أحاديث. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (٥/ ٢٨١)، أسد الغابة: لابن الأثير الجزري (٣٤٣/٤).

[٤] سنن الترمذي (٥/ ٣٦١) أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة سبأ، حديث رقم(٣٢٢٢)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: حسن صحيح، وانظر بنحوه: صحيح أبي داود، كتاب الحروف والقراءات، حديث رقم(٣٩٨٨)، قال الألباني: حسن صحيح، وقول النبي ﷺ: (فَتَيَامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ) أَيْ: أَخَذُوا نَاحِيَةَ الْيَمَنِ وَسَكَنُوا بِهَا، (وَتَشَاءَمَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ) أَيْ: قَصَدُوا جِهَةَ الشَّامِ. انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: للمباركفوري (٩/ ٦٤).

إنما هي من باب تسمية الشيء بما ورد فيه، فتسمية سور القرآن بما ورد فيها من الحوادث، أو بما ورد فيها من الأحكام المهمة؛ وهو منهج موجود في كتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ، ولذلك سميت بهذا الاسم لشرف الآية المذكورة، قال العلماء: إنّ تسمية السور بما ورد فيها يعتبر من باب الدلالة على ذلك الجزء المسمى به، سواء كان حكماً، أو كان قصةً، أو كان خبراً"[١].

ثالثاً: عدد آياتها

عدد آياتها كما هو موجود في المصاحف التي بين أيدينا هو أربع وخمسون آية، يقول الإمام الداني[٢]: "وهي خمسون وخمس آيات في الشامي وأربع في عدد الباقين اختلافها آية ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ: ١٥] عدَّها الشامي ولم يعدُّها الباقون"[٣]، وأئمة العدد "هم سبعة على المشهور: المدني الأول، المدني الأخير، المكي، البصري، الدمشقي، الحمصي، الكوفي".[٤]

"وسبب الاختلاف في الآي أنّ النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للأصالة والتمام فيحسب السامع أنّها ليست فاصلة، وأيضاً البسملة نزلت مع السور في بعض الأحرف السبعة فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدُّها"[٥].

رابعاً: عدد كلماتها وحروفها

اختلف المفسرون وعلماء العدد في عدّ كلمات هذه السورة وحروفها، فقد قال الفيروزآبادي[٦]: "وكلماتها ثمانمائة وثمانون، وحروفها أَربعة آلاف وخمسمائة واثنا عشر"[٧]،

---

[١] محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١٣١).

[٢] أبو عمرو، عثمان بن سعيد الداني المعروف بابن الصيرفي، وقد كان مالكي المذهب، من مؤلفاته: جامع البيان في السبع، وكتاب العدد وكتاب التيسير. انظر سير أعلام النبلاء: للذهبي (١٣/ ٣١٧).

[٣] البيان في عد آي القرآن (ص: ٢٠٩)

[٤] الفرائد الحسان في عد آى القرآن: لعبد الفتاح القاضي (ص: ٢٥).

[٥] حسن المدد في معرفة العدد: لإبراهيم الجعبري (ص٢٢).

[٦] محمد بن يعقوب بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي، تولى قضاء زبيد، كان مرجعاً عصره في اللغة والحديث والتفسير، من أشهر كتبه: القاموس المحيط، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز توفي سنة ٨١٧هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٤٦).

[٧] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٣٨٢).

وقال الداني: "وكلمها ثماني مئة وثلاث وثمانون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وخمس مئة واثنا عشر حرفاً"[١].

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة، وجوُّ نزولها

أولاً: مكان وزمان نزول السورة

سورة سبأ من السور المكية، وهذا ما قال به أغلب المفسرين،[٢] بينما يرى ابن الحصار[٣] أنّ هذه السورة مدنية، ودليله ما رواه الترمذي[٤] عن فروة بن مسيك، حيث قال: "هاجر فروة سنة تسع بعد فتح الطائف، وقال ابن الحصار: يحتمل أن يكون قوله: (وأنزل) حكاية عما تقدم نزوله قبل هجرة فروة، أي أن سائلا سأل عنه لما قرأه أو سمعه من هذه السورة أو من سورة النمل"[٥].

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ**﴾ [سبأ: ٦]، فقالت طائفة أنّها مكية، وقد عُنِي بها صحابة رسول الله ﷺ ومن آمن معه، وقالت طائفة أخرى أنّ هذه الآية مدنية، وأنّ المراد بها من أسلم من أهل الكتاب بالمدينة كعبد الله بن سلام وغيره،[٦] وقد روى ابن أبي حاتم روايتين في بيان المراد بهذه الآية، الأولى تُبيّن أن المقصود بها أصحاب النبي ﷺ، والثانية تبين أنّ المراد بها المؤمنون من أهل

---

[١] البيان في عد آي القرآن (ص: ٢٠٩).

[٢] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٥٨)، تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٤٣٦)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروز آبادي (١/ ٣٨٢).

[٣] علي بن محمد بن موسى الخزرجي، أبو الحسن، الحصار، فقيه إشبيلي الأصل، منشأه بفاس، له كتب في "أصول الفقه " و " الناسخ والمنسوخ " وغيرها، وتوفي بالمدينة سنة (٦١١هـ-١٢١٤م). انظر الأعلام للزركلي (٣٣٠/٤).

[٤] سبق تخريج هذا الحديث، انظر: (ص ١٦٧).

[٥] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٣٣).

[٦] انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: للطبري ت شاكر (٢٠/ ٣٥٢)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٤٠٤)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود (٧/ ١٢٢).

الكتاب،[١] ويقول السمعاني[٢]: " والصحيح أنّ الآية في الذين آمنوا بالنبي ﷺ من أهل مكة وغيرهم، وهو بمكة؛ لأنّ السورة مكية، وعبد الله بن سلام وأشباهه إنّما آمنوا بالمدينة"[٣].

ولم أجد أحداً من المفسرين قد خرج عن هذين القولين في الآية سوى ما قيل: بأنّ "المراد بالذين أوتوا العلم الملائكة وما بينهما اعتراض، والمعنى: ويرى الملائكة ما أنزل إليك من ربك من القران هو الحق ولذلك أفزعوا عند نزوله خوفاً من قيام الساعة، حيث كان نزوله عندهم من أشراط الساعة **﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾** [سبأ: ٢٣]"[٤].

ويرى الباحث أنّه لا تعارض بين هذه الآراء وأنه يمكن الجمع بينها بقول سيد قطب، حيث يقول: "ومجال الآية أكبر وأشمل، فالذين أوتوا العلم في أي زمان وفي أي مكان، من أي جيل ومن أي قبيل، يرون هذا متى صح علمهم واستقام واستحق أن يوصف بأنه الْعِلْمَ! والقرآن كتاب مفتوح للأجيال، وفيه من الحق ما يكشف عن نفسه لكل ذي علم صحيح"[٥]، ويرجّح الباحث هذا الرأي حيث إنّه لم يرد في هذه الآية سبب صريح في النزول، وعلى اعتبار أنّ كل ما ورد من روايات عن المفسرين في هذا الباب هي من باب الاجتهاد، بالإضافة إلى أنّ هذه الروايات لم يتم توثيقها، حيث يقول سيد قطب: " ومجال الآية أكبر وأشمل، فالذين أوتوا العلم في أي زمان وفي أي مكان، من أي جيل ومن أي قبيل، يرون هذا متى صح علمهم واستقام واستحق أن يوصف بأنّه العلم، والقرآن كتاب مفتوح للأجيال، وفيه من الحق ما يكشف عن نفسه لكل ذي علم صحيح، وهو يكشف عن الحق المستكن في كيان هذا الوجود كله، وهو أصدق ترجمة وصفية لهذا الوجود وما فيه من حق أصيل"[٦].

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦١).

[٢] أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السّمعاني، مفتي خراسان، وحيد عصره في وقته، وكان شوكا في أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة، وبرز على الأقران، برع في مذهب أبي حنيفة، ثم ترك طريقته التي ناظر عليها، وتحول شافعياً، من أشهر كتبه: الاصطلام، البرهان، الأمالي في الحديث، وله كتاب في التفسير، توفي سنة تسع وثمانين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي (١٤/ ١٥٥).

[٣] تفسير القرآن: لأبي المظفر السمعاني (٤/ ٣١٧).

[٤] التفسير المظهري: القاضي ثناء الله الباني بتي (٨/ ٢٧).

[٥] في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٩٤).

[٦] المرجع السابق (٥/ ٢٨٩٤).

وهذا الرأي هو الذي يميل إليه دروزة، حيث يرى أنّ المراد بالآية أولي العلم والفهم مطلقاً، فإنّ كل ذي علم يدرك صدق ما أكدته الآية من قدرته تعالى على البعث، وأنّ القرآن قد نزل من عند الله ﷻ ليهدي الناس إلى الطريق المستقيم.[١]

أما من قال بأنّ المقصود بالذين أوتوا العلم أهل الكتاب، فلا مانع من أن يكونوا من علماء أهل الكتاب قبل أن يؤمنوا، لأنّ المقصود الاحتجاج بما هو مستقر في نفوسهم بإسلام طائفة منهم، بالإضافة إلى أنّ هذا لا يقتضي أن يكون المقصودون هم من أسلم من أهل الكتاب في المدينة، فقد كان في مكة يهود ونصارى،[٢] وقد أسلموا وشهدوا بصدق الرسالة.[٣]

ثانياً: جو نزول السورة

كانت تلك الفترة التي نزلت فيها السورة قائمة على إنكار المشركين لكل ما يدل على توحيد الله ﷻ، وتكذيبهم للرسول ﷺ ولكل ما جاء به، والافتراء عليه بالكذب والسحر والكهانة والجنون، إلى غير ذلك من الأوصاف المشينة التي وصفوا بها رسول الله ﷺ، كما أنّها كانت قائمة على عبادة هؤلاء المشركين للملائكة وغيرها من المخلوقات، بالإضافة إلى أنها أظهرت تكذيبهم للآخرة وللبعث ولكل ما سيحصل فيه، فكان يلزم لأجل ذلك أن تخاطب السورة العقول والقلوب بأحداث حقيقية تهز المشاعر والقلوب لعلها ترجعها إلى صوابها، وكان ذلك ببيان قدرة الله ﷻ وعظمته في خلق السماوات والأرض وفي علم الغيب مثل الذي يحصل للناس يوم القيامة، فقال تعالى: **﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾** [سبأ: ٣]، أو من خلال تهديدهم بما سيحصل لهم جزاءً لهم على تكذيبهم وإنكارهم لما يرون من آيات الله وحججه البينة الواضحة، فقال تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ**

---

[١] التفسير الحديث (٤/ ٢٦٦).

[٢] هناك خلاف بين العلماء في ذلك، فمع وجود اليهود في الجزيرة العربية آنذاك، إلا أن معظم العلماء على أنه لم يكن وجود لليهود في مكة، ويرى آخرون بأن مكة كان فيها يهوداً، ومن القائلين بذلك ابن عاشور حيث قال في موضع آخر: "فإن المشركين كانت لهم مخالطة مع بعض اليهود في مكة ولهم صلة بكثير منهم في التجارة بالمدينة وخيبر..." التحرير والتنوير (٢٦/ ١٩)، ويرى النيسابوري أن الذين أوردوا الاقتراح على المشركين بسؤال اليهود للنبي ما أوتي موسى هم يهود مكة، وقيل بأن مشركي مكة بعثوا رهطا إلى يهود المدينة يسألهم عن محمد وشأنه. انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري (٥/ ٣٤٩).

[٣] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٣٣)، التفسير الحديث: لدروزة (٤/ ٢٦٦).

فِي ذلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[سبأ: ٩] ، ويكون أيضاً ببيان أنّ من قاموا بعبادتهم من دون الله ﷻ لن يملكوا لهم شيئاً يوم القيامة، فقال تعالى: **﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ماذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾**[سبأ: ٢٣] ، أو من خلال الحديث عن الأحداث التاريخية سواء المعلوم منها أو المجهول والتي تناولتها هذه السورة كالحديث عن قصة قوم سبأ وغيرهم.[١]

المطلب الثالث: فضائل السورة، وترتيبها

أولاً: فضائل السورة

لم يرد حديث صحيح في فضل خاص لهذه السورة.

ثانياً: ترتيبها:

سورة سبأ هي السورة الرابعة والثلاثون في ترتيب المصحف، أما في ترتيب النزول فهي السورة الثامنة والخمسون، " وقد كان نزولها بعد سورة لقمان"[٢]، وهذا الترتيب المذكور هو اعتماداً على الروايات التي نقلها المؤلفون في علوم القرآن منقولة عن الصحابة والتابعين.[٣]

المطلب الرابع: المحور الأساس لسورة سبأ

يدور محور هذه السورة كسائر ما تدور عليه جميع السور المكية من موضوعات العقيدة الرئيسة كتوحيد الله ﷻ والأدلة على وجوده، والإيمان بالوحي والنبوة، وصدق النبي ﷺ فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن، كما أنها ركزت على الحديث عن قضية البعث، فهي القضية الأكبر في السورة التي تم التركيز عليها ومناقشة المشركين فيها بعد إنكارهم لها، وإثبات الله ﷻ لها من خلال قسم النبي ﷺ لهم على وقوع البعث والجزاء، هذا إلى جانب تصحيح

---

[١] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٨٩).

[٢] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٦٦)، التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي (١٦١/٢).

[٣] مثل الرواية المنقولة عن عبد الله بن عباس، وجابر بن زيد، والحسن البصري، وقتادة، ومجاهد، وجميع هذه الروايات متقاربة في مضمونها، وقد اعتمدت في هذا الترتيب على ما ذكره السيوطي من رواية جابر بن زيد. انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٦).

بعض القيم والأفكار المتعلقة بموضوعات العقيدة الرئيسة، ومناظرة المشركين في أعمالهم ومعتقداتهم الباطلة، وإبطال قواعد الشرك التي يعتقدونها، كعبادتهم للأصنام وإشراكهم مع الله ﷻ آلهة أخرى، وقد ساق القرآن ما يحمل في طيّاته موعظة المشركين وتهديدهم وذلك من خلال بيان بعض القصص التي تظهر ما حلّ بالمشركين من قبل، وقد بقيت السورة تدور حول الحديث عن موضوعات العقيدة من أولها إلى آخرها، والإشارة إلى هذه القضايا الرئيسة التي تم ذكرها بشتى الطرق والأساليب، حيث ختمت بدعوة المشركين إلى الإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ وما جاء في القرآن، قبل أن يأتي يوم القيامة حينها سيلقون جزاء كفرهم وتكذيبهم لكل ذلك وهو العذاب المقيم في نار جهنم.[1]

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

تناولت فيما سبق سورة الأحزاب وذكرت أنّها من السور المدنية بإجماع العلماء، ثم تحدثت عن سورة سبأ، وبيّنت أنها من السور المكية بالإجماع، ومع هذا فإنّ المتأمل لهاتين السورتين جيداً، وللمواضيع التي تناولتها كلا السورتين، يرى أنّ هناك تناسقاً وتناسباً وتلاحماً واضحاً بين هاتين السورتين، حتى كأنّ هاتين السورتين سورة واحدة، وسأتناول في هذا المطلب المناسبات في هذه السورة على النحو التالي:

أولاً: مناسبة سورة سبأ لما قبلها (الأحزاب)

افتتحت السورة بالحمد على ما منح الله ﷻ عباده المؤمنين وأعطاهم من عظيم الآلاء والنعماء التي انطوت عليها سورة الأحزاب، فقال تعالى: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾** [سبأ: ١]،ولما أشار الله ﷻ في آخر سورة الأحزاب إلى عرض أداء الأمانة وحملها على السماوات والأرض والجبال، وحمل الإنسان لها، وأنّ نتيجة هذا الحمل إمّا العذاب أو الثواب، وبيان أن الله ﷻ غنيٌ عن العالمين، فعُلِم أنّ الكل ملكه، وأنه المالك التام المتصرف في كل شيء، ناسب ذلك افتتاح هذه السورة بالثناء على الله ﷻ وأنّ كل ما في الكون هو

---

[1] انظر: في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٨٨)، التفسير الواضح: لحجازي (٣/ ١٢٥)، التفسير المنير: للزحيلي (١٣١/٢٢)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٣٤).

تحت تصرفه وملكه وأن الأمر في الأولى والآخرة يرجع إليه[1]، "حيث إنّ الصفات التي أجريت على الله في مفتتح هذه السورة تشاكل الصفات التي نسبت إليه في مختتم السورة السابقة"[2].

ويقول الزحيلي: " تظهر صلة هذه السورة بما قبلها من وجوه ثلاثة: الأول: أنّ هذه السورة افتتحت ببيان صفات الملك التام والقدرة الشاملة التي تناسب ختام السورة السابقة في تطبيق العذاب وتقديم الثواب: **﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾** [الأحزاب: ٧٣] الثاني: كان آخر الأحزاب: **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** ومطلع سبأ في فاصلة الآية الثانية: **﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾**، الثالث: في سورة الأحزاب سأل الكفار عن الساعة استهزاء، وفي هذه السورة حكى القرآن عنهم إنكارها صراحة"[3].

ثانياً: مناسبة سورة سبأ لما بعدها (فاطر)

ويرى الباحث أنّ وجه اتصال السورة بما بعدها هو:

١- أن كلتا السورتين قد افتتحت بالحمد، فقد قال ﷻ في مطلع سورة سبأ: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾** [سبأ: ١]، بينما قال تعالى في مطلع سورة فاطر: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾** [فاطر: ١]

٢- لمّا تناولت سورة سبأ بعض ما أنعم الله ﷻ به على عباده، والملك الذي وهبه لسيدنا داود وسليمان ﷺ، فقد سخر لهما الريح والطير والجن وغير ذلك، ناسب أن يذكر في مطلع سورة فاطر أن هذا الملك لله وحده، وأن الله ﷻ هو الذي أوجده وفطره، وأن ذلك بقدرته وحده، حتى لا يظن أحد أن هذا الملك الذي وهبه الله ﷻ لسليمان وداود ﷺ هو من عند أنفسهما، فالله ﷻ هو الذي يستحق العبادة والحمد والتقدير دون سواه، فقال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾** [فاطر:٣]

---

[1] انظر: البرهان في تناسب سور القرآن: لأبو جعفر بن الزبير (ص: ٢٨٣)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لأبو العباس الفاسي (٤/٤٧١).

[2] تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٥٥).

[3] التفسير المنير (٢٢/ ١٣١)، أسرار ترتيب القرآن: للسيوطي (ص: ١٢٤).

٣- لمّا بين ﷻ أنّه وهب لداود وسليمان ﷺ من الملك الكثير، وأنّه هو من نزعه من قوم سبأ، ناسب أن يذكر في مطلع سورة فاطر قوله تعالى: **﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [فاطر: ٢] ، فالله ﷻ هو من يعطي الملك لمن يستحقه ويعبده، وهو من ينزعه عمّن لا يشكر نعمه وعظيم فضله.

٤- أنه لمّا ذكر ﷻ حال أصحاب الضلالة والكافرين به وما يجدونه من عذاب وبلاء، وأنه قد حيل بينهم وبين الإيمان والرجوع إلى الدنيا، ناسب أن تبدأ سورة فاطر بالحمد، وهذا هو حال المؤمنين أن يحمدوا الله ﷻ على عظيم فضله، بأن منّ عليهم فخلقهم مؤمنين وفتح لهم أبواب رحمته، وعافاهم عما يصيب الكافرين يوم القيامة من عذابٍ عظيم.

ثالثاً: مناسبة فاتحة سورة سبأ لخاتمتها

ويرى الباحث أنّ وجه المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها أنه لمّا افتتح الله ﷻ هذه السورة بالحمد، وكان من الواجب على المؤمن الموحد بالله ﷻ أن يحمده على نعمه عليه، ناسب ذلك ما ختمت به السورة من بيان هذه النعم وهو ذكر حال الكافرين يوم القيامة وأنّ كفرهم لن ينفعهم شيئاً، وأي نعمة أعظم من أي يمنّ الله ﷻ على عباده المؤمنين بأن ينجيهم من الوقوع في الضّلالة والكفر، كما أنّ هذه السورة بدأت بالحديث عن حال الكافرين وإنكارهم ليوم القيامة، فكان من المناسب لذلك أن تختم هذه السورة ببيان حال الكافرين يوم القيامة، والعذاب الذي سيلاقونه، وأنّ هذا العذاب إنما هو نتيجة كفرهم بالله ﷻ قبل ذلك.

يقول صاحب الظلال: "وهكذا تختم السورة في هذا الإيقاع السريع العنيف الشديد، وتختم بمشهد من مشاهد القيامة يثبت القضية التي عليها التركيز والتوكيد في السورة، كما مضى في نهاية كل شوط فيها وفي ثناياها، وقد بدأت السورة بهذه القضية وختمت بها هذا الختام العنيف".[١]

رابعاً: مناسبة فاتحة سورة سبأ لمحورها

افتتاح السورة بالحمد للتنبيه على أن هذه السورة تضمنت من دلائل اتصاف الله ﷻ بصفات العظمة وتفرده بالألوهية ما يوجب علينا حمده على ذلك، والإخبار باختصاصه به، فالآيتان التي بدأت السورة بالحديث عنهما هما عبارة عن مطلع بارز للسورة ومقدمة لما سيأتي

---

[١] في ظلال القرآن (٥/ ٢٩١٧).

بعدها، حيث إنّ هذه المقدمة توجب علينا استحقاق الله ﷻ للعبادة والحمد والثناء، وذلك من خلال إظهار حكمته ورحمته وعلمه المطلق والشامل وإحاطته لجميع ما في السماوات والأرض.[١]

ولما افتتح الله ﷻ هذه السورة بالحمد أتبع ذلك ببسط شواهد حكمته وعلمه، فله الحمد على رحمته وغفرانه لعباده المؤمنين، قال تعالى: **﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾**، ثمّ أتبع ذلك بذكر إمهاله لمن كفر به ليبين سعة رحمته، فقال تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾** [سبأ: ٩] ثم بسط لعباده المؤمنين من ذكر آلائه ونعمه وعظيم ملكه ما يستحق حمده.[٢]

يقول السيوطي: " وأمّا سورة سبأ فلما تضمّنت ما منح ﷻ داود عليه السلام من تسخير الجبال والطير والريح وإلانةِ الحديد ناسب ما افتتحت به السورة من أنّ الكلّ ملكه وخلقه، فهو المسخّر لها والتصرف في الكل بما شاء، فقال تعالى: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾** وهذا أوضح التناسب"[٣].

خامساً: مناسبة اسم سورة سبأ لمحورها

تسمية هذه السورة بسورة سبأ يتناسب مع ما دار عليه محور هذه السورة، يقول البقاعي: "ولقصة سبأ التي سميت بها السورة مناسبة كبيرة لهذا المقصد لما فيها من الآيات الشهودية المشهودة –لاسيما عند العرب–على قدرته ﷻ على الإيجاد والإعدام للذات والصفات، والتحويل لما يريد من الأحوال، والتصرف بالحكمة في الإعطاء والمنع ابتداء وجزاء لمن شكر، أو كفر"[٤].

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة

يمكن تقسيم السورة إلى خطوط عامة، حيث إنها تشترك فيما بينها في عرض موضوعاتها، وهذا يتضح من خلال السياق، لتكون كالجسد الواحد لا ينفك بعضها عن بعض،

---

[١] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٣٥)، التفسير الحديث: لدروزة (٤/ ٢٦٤).

[٢] انظر: البرهان في تناسب سور القرآن: لأبو جعفر بن الزبير (ص: ٢٨٤).

[٣] معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٦٥).

[٤] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ٣٧٧).

وهذه الأهداف العامة للسورة مرتبطة بالمحور الأساس الذي تدور حوله هذه السورة، ومن الأهداف التي تناولتها واشتملت عليها السورة ما يلي[1]:

١- تأكيد قيام الساعة لإثابة المؤمنين ومعاقبة الكافرين، وإثبات قيام البعث ووقوعه بعد تكذيب الكافرين له.

٢- إثبات نبوة محمد ﷺ، وتكذيب الكافرين في اتهامهم للنبي ﷺ بأنه مفترٍ أو مجنون.

٣- نعم الله ﷻ وفضله لمن يشكر هذه النعم ويقابلها بالطاعة كما حصل لسيدنا داود وسليمان عليهما السلام، وزوال هذه النعم لمن يكفر بالله ﷻ ويجحد فضله.

٤- بيان أنّ المترفين في كل زمان هم أعداء الرسل، لاغترارهم بأموالهم وأولادهم واعتقادهم أنها ستنفعهم يوم القيامة، واعتقادهم أنّ الله ﷻ راض عنهم فلن يعذبهم، ثم رد الله ﷻ عليهم ذلك، وبيّن أنّ ميزان الحق والعدل الذي يكون عليه الجزاء والحساب وأنّ ما ينفع العبد يوم القيامة إنما هو إيمانه وعمله الصالح.

٥- زعم المفترين على النبي ﷺ، ورد القرآن عليهم بأنّه نذير للناس بين يدي عذاب شديد، ودعوة هؤلاء الكافرين إلى التأمل والتفكر في هذه الدعوة لعلهم يهتدون إلى الحق والرشاد، والتفكير في حقيقة الأهداف الّتي تجعل الرّسول ﷺ يتمسك بدعوتهم للدخول في هذا الدين، وليس له من وراء ذلك نفع وأنه لا يبتغي سوى الأجر من الله ﷻ، فهو لا يريد أجراً من أحد، وهذا ما يزيد من ثبات المؤمنين على دعوتهم.

٦- تهديد الكافرين بسوء العاقبة إذا ما استمروا في كفرهم وعنادهم، وأنّ طلبهم بالرجوع إلى الدنيا للإيمان بالرسول ﷺ والعمل الصالح والإفلات من العذاب لن يُجاب لهم، فقد حيل بينهم وبين ذلك، وأنه لا سبيل إلى تحقيق هذا المطلب لهم.

---

[1] انظر: تفسير المراغي (٢٢/ ١٠٢)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروز آبادي (٣٨٢/١)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٢٥٩)، أهداف كل سورة ومقاصدها: للدكتور عبد الله شحاتة (٣١٣).

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١-٩)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: افتتاح السورة بالحمد وشمول علم الله ﷻ

المطلب الثاني: إثبات الله ﷻ لقضية البعث

المطلب الثالث: العلم يهدي إلى الإيمان

المطلب الرابع: استهزاء الكافرين بالنبي ﷺ

المطلب الخامس: تهديد المنكرين للبعث بالخسف

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١-٩)

المطلب الأول: افتتاح السورة بالحمد وشمول علم الله ﷻ

قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ**﴾ [سبأ: ١-٢]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- ﴿**يَلِجُ**﴾: الواو واللام والجيم: كلمة تدل على دخول شيء، يقال ولج في منزله وولج البيت يلج ولوجاً، وَالْوَلِيجَةُ: البطانة وَالدُّخَلَاءُ، ويقال رجل خُرَجَةٌ وُلَجَةٌ: كثير الخروج والولوج.[١]

٢- ﴿**يَعْرُجُ**﴾: عرج في السُّلَّمِ أي ارتقى، وعرج الشيء: ارتفع وعلا، والمِعْرَج: المَصْعَد، والطريق الذي تصعد فيه الملائكة جمعه المعارج، ومنه قوله تعالى: ﴿**مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**﴾ [المعارج: ٣] ومعارج الملائكة: مصاعدها التي تصعد فيها وتعرج فيها، قال تعالى: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾ [المعارج: ٤].[٢]

ثانياً: وجوه البلاغة

١ - تعريف الطرفين لإفادة الحصر في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ ومعناه لا يستحق الحمد الكامل إلا الله ﷻ.[٣]

٢- الحمد هنا إشارة إلى النعمة التي في الآخرة، وذكر الله ﷻ للسموات والأرض لأنّ نعم الآخرة غير مرئية، فذكر الله ﷻ النعم المرئية وهي ما في السموات وما في الأرض، ثم قال تعالى: ﴿**وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ**﴾ ليقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها.[٤]

---

[١] مقاييس اللغة: لابن فارس (٦/ ١٤٢).

[٢] تاج العروس: لمرتضى الزبيدي (٦/ ٩٤).

[٣] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٥٠٣).

[٤] انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٦/ ٤).

٣- في تقييد الحمد بأنّ محله الآخرة إيذان بأنّ محل الحمد الأول الدنيا، فتفيد الجملتان أنه ﷻ المحمود على نعم الدنيا فيها، وأنه ﷻ المحمود على نعم الآخرة فيها، ويجوز أن يكون الكلام من باب الاحتباك، وأصله: الحمد لله .. في الدنيا وله ما في الآخرة والحمد فيها.[١]

٤- تقديم المجرور لإفادة الحصر والاهتمام بالمُتَقَدَّم في قوله تعالى: **﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾**، أي لا يكون الحمد في الآخرة إلا له، فلا يحمد غيره، حيث إن التصرفات يومئذ مقصورة عليه فلا يلتبس عليهم شيء.[٢]

٥- الإدماج في قوله تعالى: **﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾**، وهو بمعنى أن يدمج المتكلم غرض في غرض، فالغرض منها تفرّده تعالى بوصف الحمد، وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء.[٣]

٦ - الطباق بين قوله تعالى: **﴿يَلِجُ﴾ و﴿يَخْرُجُ﴾، وبين قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ﴾ و﴿يَعْرُجُ﴾**.[٤]

٧- قدم ﷻ: **﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾** على **﴿مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾**؛ لأنَّ الحَبَّة تبذر ثم تُسْقَى.[٥]

٨- قال ﷻ: **﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾** ولم يقل: يعرج إليها إشارة إلى قبول الأعمال الصالحة ومرتبة النفوس الزكية وهذا لأنّ كلمة إلى للغاية، فلو قال وما يعرج إليها لفهم الوقوف عند السموات فقال: **﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾**؛ ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها، ولهذا قال في الكلم الطيب: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾** [فاطر: ١٠] لأن الله ﷻ هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول إليه، وأما السماء فهي دنيا وفوقها المنتهى.[٦]

٩- قدم ﷻ صفة الرحمة على صفة الغفور؛ ليعلم أنّ رحمته سبقت غضبه.[٧]

١٠- صيغة فعيل وفعول للمبالغة، فهاتان الصيغتان من صيغ الجموع التي تفيد الكثرة، وذلك في قوله ﷻ: **﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾**[٨].

---

[١] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٢٧٨).
[٢] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٣٦).
[٣] انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: للسيوطي (١/ ٢٩٤).
[٤] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٥٠٣).
[٥] مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٩١).
[٦] انظر: المرجع السابق (٢٥/ ١٩١).
[٧] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: للشربيني (٣/ ٢٧٨).
[٨] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٥٠٣).

ثالثاً: وجه المناسبة[1]

رابعاً: المعنى العام

يخبر الله ﷻ عباده بأنّ له الحمد التام دون سائر خلقه، ومما يوجب حمده وشكره، أنه المالك والمتصرف والمدبر لما في السموات والأرض، ولا يملك سواه من ذلك شيء ، كما أن له الملك في الآخرة على ما أنعم به عليهم، فيحمدونه على تكريمه لهم فيها، فهو المدبر لسائر مخلوقاته، الخبير بصفاتها الظاهرة والباطنة، وهو ﷻ يعلم ما يدخل في الأرض من مطر وكنوز وأموات، وما يخرج منها من نبات وماء ومعادن وغيرها، وما ينزل من السماء من غيث وملائكة ورزق، وما يصعد من ملائكة وأعمال العباد، وهو مع جلاله وكثرة نعمه رحيم بعباده المؤمنين فلا يعاقبهم، غفور لمن تاب منهم.[2]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- مما يوجب حمد الله ﷻ، ملكه لكل ما في السماوات والأرض، وتصرفه فيهما، وإحاطته بكل شيء، وتفضله على أهل الدنيا والآخرة، وإذا كنا نشكر من يقدم لنا خدمة أو منفعة مع أنه لا يملك شيئا، فكيف بمن يملك السماوات والأرض، ونستفيد من هذا شكر من له نعمة علينا، أو أسدى خدمة إلينا.

٢- في وصفه ﷻ لنفسه أنّه مالك لما في السماوات والأرض، يوجب هذا أن يكون محموداً على كلِّ لسان، لأنه مالك لكل شيء، ولأنّ كل ذلك له، فإنّ كل من ينتفع بشيء من ذلك يكون مستنفعاً بنعمه.[3]

٣- حمد الله نفسه بما تفضل به على خلقه؛ لتعليمهم الحمد والثناء عليه، فلولا تعليمه لهم لما عرفوا ذلك، كما أنه حمد نفسه لَمّا لم يرَ في وسع الخلق القيام بغاية الحمد له والثناء عليه على آلائه ونعمائه، فتولى ذلك بنفسه.[4]

---

[1] تم ذكر وجه مناسبة سورة سبأ لما قبلها. انظر: (ص١٧٣).

[2] انظر: أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٣٠١).

[3] انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري (٥/ ٤٨٤).

[4] انظر: تأويلات أهل السنة: للماتريدي (٨/ ٤٢٣).

٤- إثبات قضية التوحيد لله ﷻ، فملك السماوات والأرض له وحده، لا يشاركه فيه أحد، ولا مالك لشيء منهما سواه، وفي إثبات الحمد لله ﷻ الذي يملك السماوات والأرض وما فيهما، نفي لكل ما يتم شكره وعبادته مما لا يملك ولا يؤثر في هذه العوالم بشيء، كالأصنام التي يعبدها المشركون، ومن ذلك يتضح لنا "تقرير توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته"[١].

٥- الحمد لله ﷻ وحده في الآخرة، كما كان الحمد له في الدنيا، فهو المنعم والمتفضل علينا بكل ما نراه من نعم في السماوات والأرض، ويكون حمد الله ﷻ بكل قول أو فعل يكون فيه ثناء عليه، وشكره على جميع نعمه علينا.

٦- الفرق بين الحمد في الأولى والحمد في الآخرة، أن الأول على وجه العبادة والثاني على وجه التلذذ والسرور والاغتباط لا التعبد، مع كون نعم الدنيا والآخرة تفضل من الله ﷻ على عباده، فعن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(إن أهل الجنة...يلهمون التسبيح والتحميد، كما تلهمون النفس)**[٢].[٣]

٧- يكون حمد الله ﷻ في الجنة في مواضع: أحدها حين يتميز المؤمنون من الكافرين يقولون: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [المؤمنون: ٢٨] ، والثاني حين جازوا الصراط قَالُوا: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾** [فاطر: ٣٤]، والثالث لما دنوا إلى باب الجنة، وقالوا: **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾** [الأعراف: ٤٣]، والرابع لما دخلوا الجنة استقبلتهم الملائكة عليهم السلام بالتحية فقالوا: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾** [الزمر: ٧٤]، والخامس حين استقروا في منازلهم وقالوا: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾** [فاطر: ٣٤-٣٥][٤].

٨- لم يكن في سلطانه ﷻ المطلق وملكه جور أو استبداد، لأن هذا السلطان من عند الحكيم الخبير، الذي أقام كل شيء مقامه المناسب،[٥] ويريد الله ﷻ بذلك أن يطمئن العباد بأن ملك السماوات والأرض لله وحده، وأنها لو كانت لغيره لمنعنا منها، وكأن الله يقول لعباده: اطمئِنُّوا

---

[١] أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٣٠٢).

[٢] صحيح مسلم (٤/ ٢١٨٠)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا، حديث رقم (٢٨٣٥).

[٣] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٢٧٩).

[٤] انظر: بحر العلوم: للسمرقندي (٣/٦٤).

[٥] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٧٣).

فإن هذا ملكي ولا شريك ينازعني فيه فيمنع عنكم خيراتي، فأنا ربكم، وأنا المتفرد بالسلطان ولن أتخلى عنكم.[1]

٩- "سوء ظن الكافرين والمشركين وأهل الضلال بالله ﷻ، وقصور إدراكهم لما لله ﷻ من علم، وأنهم لو علموا بعض ما لله ﷻ من قدرة، وعلم، وسلطان، لخافوا بأسه، ولما تجرّؤوا على عصيانه، إذ لا يجرؤ على مخالفة أمر ذي الأمر، والخروج على سلطان ذي السلطان، إلا من وقع في تصوره أن عين صاحب الأمر لا تراه، أو أن سلطان ذي السلطان لا يقدر عليه"[2].

١٠- نعم الله ﷻ مع كثرتها وعدم قدرتنا على إحصائها منحصرة في قسمين نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء، فقد خلقنا الله ﷻ أولاً برحمته وخلق لنا ما نقوم به، وهذه النعمة توجد مرة أخرى بالإعادة حين يخلقنا مرة أخرى ويخلق لنا ما يدوم، فلنا حالتان الابتداء والإعادة وفي كل حالة له ﷻ علينا نعمتان نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء، وفي هذه السورة إشارة إلى نعمة الإبقاء ويدل على ذلك قوله تعالى: **﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾**.[3]

١١- في ختم الآية بقوله تعالى: **﴿الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾** "إيذان بأنه تعالى كما يستحق الحمد؛ لأنه سبحانه منعم يستحقه؛ لأنه جل شأنه منعوت بالكمال الاختياري وتكميل معنى كونه تعالى منعما أيضا بأنه على وجه الحكمة والصواب وعن علم بموضع الاستحقاق والاستيجاب لا كمن يطلق عليه أنّه منعم مجازاً"[4]، يقول ابن عاشور: "ففي التتميم بهذين الوصفين إيماء إلى أنّ المقصود من الجملة قبله استحماق الذين أقبلوا في شؤونهم على آلهة باطلة"[5].

١٢- علم الله ﷻ بكل شيء من الظواهر والبواطن، فلا يحجب عنه ﷻ شيء في خلقه مما يدخل الأرض أو يخرج منها، ولا ما ينزل من السماء أو يعرج فيها.

١٣- إثبات عجز البشر أمام قدرة الخالق، فهم لا يستطيعون الجمع بين أمرين في آن واحد، وهم يعجزون عن تتبع هذه الأشياء في آن واحد، لكن الله ﷻ يعلم في نفس الوقت كل ما يلج

---

[1] انظر: تفسير الشعراوي (١٢٢٢٨/٢٠).

[2] التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٧٣).

[3] مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٩٠) باختصار، ويشير الرازي في هذا الموضع إلى السور الخمس المفتتحة بالحمد، وما تشير إليه هذه السور من نعم الإيجاد والإبقاء.

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٢٧٩).

[5] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٣٧).

في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، كل هذا في لحظة واحدة، وأنَّى للبشر بشيء من ذلك.

١٤- رحمة الله ﷻ بعباده التائبين وعفوه عنهم وعدم تعذيبهم، ومغفرته لذنوبهم إن تابوا منها.

١٥- حث الناس على طلب أسباب الرحمة والمغفرة ، فإنّ من رغب في تحصيل شيء سعى نحوه، وبحث عن وسائل الحصول عليه، وفي قوله تعالى **﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾** تعريض بالمشركين ليتوبوا عن شركهم وكفرهم، فيغفر الله ﷻ لهم ما وقع منهم.[١]

المطلب الثاني: إثبات الله ﷻ لقضية البعث

قال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾** [سبأ: ٣ -٥]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿يَعْزُبُ﴾**: لا يعزب عنه: أي لا يغيب أو يخفى عن علمه شيء، وفيه لغتان: عزب يعزب ويعزب إذا غاب، ورجل عزب لا أهل له.[٢]

٢- **﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾**: والذر: صغار النمل، واحدته ذرة؛ وقيل: إنّ مائة منها وزن حبة من شعير فكأنها جزء من مائة، وقيل: الذرة ليس لها وزن، ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة، ومنه سمي الرجل ذراً،[٣] والمثقال: هو مقدار من الوزن أي شيء كان من قليل أو كثير، فمعنى مثقال ذرة: وزن ذرة.[٤]

---

[١] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٣٨).

[٢] تهذيب اللغة: للأزهري (٢/ ٨٨).

[٣] لسان العرب: لابن منظور (٤/ ٣٠٤).

[٤] المرجع السابق (١١/ ٨٧).

٣- ﴿**سَعَوْا**﴾: السعي: العدو والمشي، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**﴾ [يس: ٢٠]، والسعي: الكسب والعمل، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾ [النجم: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿**لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**﴾ [طه: ١٥]، والسعي: القصد، وبذلك فسر قوله تعالى: ﴿**فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة: ٩]، ويقال: فلان يسعى على عياله أي يتصرف لهم، والسعي يكون في الصلاح ويكون في الفساد؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا**﴾ [المائدة: ٣٣]، والساعي: الذي يقوم بأمر أصحابه عند السلطان، وسعى به إلى الوالي: وشى.[١]

وهذه المعاني المذكورة لكلمة السعي مما يحتمله النص، فإن هؤلاء الكافرين استعملوا أكثر من وسيلة للصد عن سبيل الله ، كما أن سعيهم كان في الإفساد، ويحتمل أنهم لجأوا إلى السلطان ليحولوا دون وصول هذه الدعوة إلى الناس.

٤- ﴿**مُعَاجِزِينَ**﴾: (عجز) العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف وعدم القدرة، قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ**﴾ [المائدة: ٣١]، ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [فاطر: ٤٤] ﴿**وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا**﴾ [الجن: ١٢]، بمعنى: لن يعجز الله أي شيء متى شاء، ويقال: فلان عاجز فلانا: سابقه، فإذا ذهب لم يوصل إليه، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ**﴾ [سبأ: ٥]، وأما الأصل الآخر فالعجز: مؤخر الشيء.[٢]

٥- ﴿**رِجْزٍ**﴾: الرجز: الذنب والعذاب، قال تعالى: ﴿**لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ**﴾ [الأعراف:١٣٤]، ويأتي بمعنى عبادة الأوثان والشرك، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ [المدثر:٥]، ورجز الشيطان: أي وسوسته قال تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ**﴾ [الأنفال:١١][٣].

---

[١] انظر: لسان العرب: لابن منظور (١٤/ ٣٨٥).

[٢] انظر: مقاييس اللغة: لابن فارس (٤/ ٢٣٢).

[٣] المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون (١/ ٣٣٠).

ثانياً: وجوه البلاغة

١- الطباق بين قوله تعالى: ﴿**أَصْغَرُ**﴾ و﴿**أَكْبَرُ**﴾.[١]

٢- من عَلِمَ الأصغر حتماً لابد وأنه يعلم الأكبر، وذكر الأكبر يفيد أنه لما أراد الله ﷻ بيان إثبات الأمور في الكتاب، وأنه لو اقتصر على الأصغر لتوهم متوهم أنه يثبت فيه الصغائر لكونها محل النسيان، وأما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى إثباته، فبيَّن أن الإثبات في الكتاب ليس كذلك، فإن الأكبر مكتوب فيه أيضاً.[٢]

٣- المقابلة بين قوله تعالى: ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ **وقوله:** ﴿**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ**﴾ فقد جعل الله ﷻ المغفرة والرزق الكريم جزاء المحسنين، وجعل العذاب والرجز الأليم جزاء المجرمين.[٣]

٤- إطلاق الجزاء الذي يجزي به الله ﷻ المؤمنين وعدم تقييده؛ للدلالة على أنه أمر واضح بيّن، إذ ليس للإحسان جزاء إلا الإحسان كقوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن:٦٠]، وفى الضرب عن صفة الجزاء للذين سعوا في آيات الله معاجزين، إشارة إلى التعجيل بالجزاء السيّء لهم، ومواجهتهم به بمجرد أن يعرضوا على الحساب، فهو عذاب من رجزٍ أليم.[٤]

٥- وصف الرزق بالكريم فهو بمعنى ذَا كرم أو مُكْرِم، أو لأنه من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فإنه إن لم يُطْلَبْ ويتسبب إليه لا يأتي، وفي تمييز الرزق بوصفه بأنّه كريمٌ ولم يضف للمغفرة، لأنَّ المغفرة واحدة وهي للمؤمنين، وأما الرزق فمنه شجرة الزَّقّوم والحَميم ومنه الفواكهُ والشَّرَاب الطهور، فميز الرزق لحصول الانقسام فيه، ولم يميز المغفرة لعدم الانْقِسَام فيها.[٥]

٦- ﴿**مُعَاجِزِينَ**﴾ مبالغة في معجزين، وهو تمثيل: حيث شبهت حالهم في مكرهم بالنبي ﷺ بحال من يمشي مشيا سريعا ليسبق غيره ويعجزه.[٦]

---

[١] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٥٠٣).

[٢] انظر: محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١٣٣).

[٣] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٥٠٣).

[٤] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٧٨).

[٥] انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٦/ ١٠).

[٦] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٤٤).

ثالثاً: وجوه القراءات

١- قوله تعالى: ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ**﴾، يُقرأ ﴿**عَالِمِ**﴾ بالخفض والرفع، ويُقرأ (علّام الغيب)، وحجة من قرأ بالخفض: أنه جعله وصفاً لقوله: ﴿**بَلَى وَرَبِّي**﴾ لأنه مخفوض بواو القسم، وحجة من قرأ بالرفع: أنه جعله خبر ابتداء محذوف، معناه: هو عالم الغيب، أما علّام فهو أبلغ في المدح من عالم وعليم، ودليله قوله في آخرها: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ [سبأ: ٤٨]، وقيل: بل شدد دلالة على التكثير، لأنه مضاف إلى جمع.[١]

٢- قوله تعالى: ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ**﴾، قرأ ابن كثير، وحفص، ويعقوب بالرفع، وقرأ الباقون ﴿**أَلِيمٌ**﴾ بالخفض، فمن قرأ ﴿**أَلِيمٌ**﴾ بالرفع فقد جعله صفة لقوله: ﴿**عَذَابٌ**﴾، ومن كسر جعله صفة لقوله: ﴿**رِجْزٍ**﴾.[٢]

رابعاً: وجه المناسبة

بعدما بينت الآيات السابقة تعظيم الله ﷻ بما وصف به نفسه، وأنّ له الحمد في الأولى والآخرة على ما أنعم به على عباده، ناسب أن يذكر بعدها أنّ هناك أصنافاً من الناس لم تقدر ربها حق قدره، ولم تعظمه حق عظمته، بل كفروا به ﷻ وبهذه النعم، وأنكروا قدرته على البعث بعد الموت وقيام الساعة، ثم ذكرت الآيات ما يثبت عقيدة البعث والجزاء، وينكر عليهم قولهم.[٣]

سادساً: المعنى العام

"وقال الكافرون المنكرون للبعث: لا تأتينا القيامة، قل لهم -أيها الرسول-: بلى وربي لتأتينَّكم، ولكن لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى الله ﷻ علام الغيوب، الذي لا يغيب عنه وزن نملة صغيرة في السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا هو مسطور في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ، ليثيب الذين صدَّقوا بالله ﷻ، واتَّبعوا رسوله ﷺ، وعملوا الصالحات، أولئك لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم، وهو الجنة، والذين سعوا في الصدِّ عن سبيل الله ﷻ

---

[١] الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه (ص: ٢٩١).

[٢] معاني القراءات: للأزهري (٢/ ٢٨٨).

[٣] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧٤).

وتكذيب رسله ﷺ وإبطال آياتنا مشاقين الله ﷻ مغالبين أمره، أولئك لهم أسوأ العذاب وأشده ألمًا"[1].

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- إنكار الكفار قيام الساعة وحصول البعث بعد الموت، وتأكيد الله ﷻ على وقوعها بقسم النبي ﷺ بربه، لِمَا يتضمنه معنى الربوبية من الإنكار على هؤلاء الكافرين، الذين يرون نعم الله ﷻ ويتقلبون بها ليل نهار ثم ينكرون ما تقتضيه هذه الربوبية من التزامات وواجبات كالتصديق بالنبي ﷺ وبما جاء به.

٢- كثرة سؤال هؤلاء المشركين عن الساعة وإنكارهم لها يُدَلِّل على شدّة خوفهم منها، وأنهم يرتعبون لمجرد السماع بها أو لمجرد تصديقها، فإن في قيام الساعة انتهاء سيادتهم والقضاء على جاههم وتكبرهم.[2]

٣- "الإنسان له جسم وروح والأجسام أجزاؤها في الأرض والأرواح في السماء فقوله: ﴿**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ إشارة إلى علمه بالأرواح وقوله: ﴿**وَلَا فِي الْأَرْضِ**﴾ إشارة إلى علمه بالأجسام، وإذا علم الأرواح والأشباح وقدر على جمعها لا يبقى استبعاد في المعاد"[3].

٤- أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقسم بالله ﷻ أنه يبعث من يموت رداً على قسم المشركين أن الله ﷻ لا يبعث من يموت، وكأن قسمه بما أقسم عندهم أصدق من قسمهم، لأنهم لم يعهدوا عليه كذبًا قط، ولا اتهموه في شيء من ذلك، فيعلموا بذلك كذب أنفسهم فيما أقسموا به، مقابل قسم رسول الله ﷺ، ومما يدل على ذلك، إخبار الله ﷻ عنهم حيث قال: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٣][4].

٥- أكد النبي ﷺ على مجيء الساعة بالقسم بالله ﷻ، وبما أتبع هذا القسم من ذكر صفات المقسم به، بوصفه أنه عالم الغيب الذي لا يخفى عليه شيء، وهذا يناسب الحديث عن قيام الساعة التي تندرج تحت علم الغيب، مما يكون دليلاً على صحة هذا القسم، حيث إنّ عظمة المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدّة ثباته واستقامته، فهو بمنزلة الاستشهاد على الأمر،

---

[1] التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير (١/ ٤٢٨).

[2] انظر: تفسير الشعراوي (١٢٢٣٨/٢٠).

[3] مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٩٢).

[4] انظر: تأويلات أهل السنة: للماتريدي (٨/ ٤٢٥).

وكلما كان المستشهد به أبْيَن فضلاً وأرفع منزلة، كانت الشهادة أقوى وآكد، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ.[١]

٦- لم يقتصر إثبات الساعة على القسم؛ لأن النبي ﷺ في نظرهم مفترٍ على الله ﷻ ولو حلف بأغلظ الأيمان، فقد أتبع الله ﷻ هذا القسم بالحجة القاطعة والبينة الواضحة، وهو إثبات الجزاء، وأن المحسن لا بد له من ثواب، والمسيء لابد له من عقاب، وهذا ما يتوافق مع العقل السليم،[٢] ومن هنا يتضح لنا أنه علينا تقديم الحجة التي لا يستطيع أن ينكرها الطرف الآخر، والتي تتوافق مع العقل السليم، وجعلها نقطة اتفاق للانطلاق لإثبات ما نريد.

٧- بقدر ما يكون الإيمان في القلب عند العبد، يعظم الإيمان بالبعث وما بعده، بحيث يسيطر على القلب، ويكون نصب عين المؤمن، فلا يغيب عنه ساعة.[٣]

٨- الحكمة من البعث و قيام الساعة مجازاة المؤمنين الذين عملوا الصالحات بالمغفرة والرزق الكريم، ومعاقبة الكافرين والمشركين الذين سعوا إلى تثبيط المؤمنين عن آيات الله ﷻ وتعذيبهم.

٩- ذكر الله ﷻ من المؤمنين أمرين، هما: الإيمان والعمل الصالح، ورتب على ذلك أمرين، هما: المغفرة والرزق الكريم، فالمغفرة جزاء الإيمان، والرزق الكريم مترتب على العمل الصالح.[٤]

١٠- يكون مغفرة الذنوب وسترها على المؤمنين بترك ذكر هذه الذنوب، وترك الجزاء عليها، كما يكون ستر الذنوب بأن ينسيهم الله ﷻ زلاتهم إذا أدخلهم الجنة، لأنّ في ذكرهم زلاتهم لربهم تنغيص عليهم للذاتهم وتنعمهم.[٥]

١١- الغاية من سعي الكفار في آيات الله ﷻ هو سعي لحجبها عن الناس، وتعجيزها وإعجاز الناس عن الوصول إليها، وأنه لم يكن سعيا للإفادة من هذه الآيات، أو الاهتداء بهديها، حيث كانوا يستخفون بآيات الله ﷻ ويسخرون منها،[٦] وهذا حال الكفار والمستشرقين اليوم الذين

---

[١] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٦٧).
[٢] المرجع السابق (٣/ ٥٦٧).
[٣] انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لابن عجيبة الفاسي (٤/ ٤٧٣).
[٤] اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٦/ ١٠).
[٥] انظر: تأويلات أهل السنة: للماتريدي (٨/ ٤٢٦).
[٦] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٧٨).

يقومون بدراسة القرآن والسنة وبعض العلوم المتعلقة بالدين، وغرضهم ليس الاهتداء بما ورد بهما من أحكام، إنما يقصدون من وراء ذلك هو الطعن في ديننا.

١٢- يحتاج المكذب والذي يسعى لإخفاء الآيات البينات وصد الناس عنها، إلى السعي العظيم والجد البليغ للترويج لكذبه، لعله يصل إلى ما يريد من الترويج لكذبه، مما يعجز المتمسك به، لأنّ الآيات البينات تحتاج إلى أساليب قوية تضاهي قوتها، وكان هذا بالطعن فيها ونسبتها إلى السحر والشعر وغير ذلك،[١] ومن خلال ذلك يظهر لنا أن الشبهات التي يثيرها أعداء الدين لابد وأنْ يتصدر لها كبار العلماء، لتفنيدها والرد عليها.

١٣- رفع قدر المؤمنين، والتنويه بمنزلتهم العالية في مقام التكريم والإحسان، وفضح الله ﷻ للذين سعوا في آيات الله معاجزين والكشف عن موقفهم الذليل في مقام الخزي والهوان.[٢]

١٤- "تقرير عقيدة القضاء والقدر وكتابة الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ"[٣].

المطلب الثالث: العلم يهدي إلى الإيمان

قال تعالى: **﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾** [سبأ: ٦]

أولاً: وجوه البلاغة

١- اختيار فعل الرؤية هنا في قوله تعالى: **﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾** دون (ويعلم) للتنبيه على أنه علم يقيني بمنزلة العلم بالمرئيات التي علمها ضروري.[٤]

٢- قوله تعالى: **﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾** يفيد رغبة ورهبة ، وتقديم الصفة التي للعزة على الصفة التي للرحمة مع سعي المؤمن دائماً إلى تقديم جانب الرحمة، لأنّ كونه عزيزاً تامّ الهيبة شديد الانتقام

---

[١] انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: للقنوجي (١١/ ١٦٤).
[٢] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٧٨).
[٣] أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٣٠٤).
[٤] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٤٥).

يُقَوّي جانب الرغبة، لأنّ رضا الجبار العزيز أعز وأكرم من رضا من لا يكون كذلك، فالعزة كما تخوف ترجى أيضا، وكما ترغب عن التكذيب ترغب في التصديق ليحصل القرب من العزيز.[١]

ثانياً: وجه المناسبة

"لما ذكر ﷻ إنكار من أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ﷺ ليس بحق، ذكر حالة الموفقين من العباد، وهم أهل العلم، وأنهم يرون ما أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ من الكتاب، وما اشتمل عليه من الأخبار هو الحق"[٢].

ثالثاً: المعنى العام

ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن يشايعهم من الأمة، أو مَن أسلم مِن أهل الكتاب وأصحابه، أن القرآن هو الحق الثابت وغيره باطل، وأنه يرشد إلى طريق شرع الله ودينه وهو التوحيد والتقوى، الذي يَغلِب ولا يُغلَب، المحمود في جميع شؤونه.[٣]

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف

١- "طلب شهادة أهل الكتاب على صحة الإسلام والحصول عليها لموافقة التوراة للقرآن"[٤].

٢- وصف الذين أوتوا العلم بذلك فيه ثناء عليهم، حيث انتفعوا بعلمهم وسخروه لخدمة دينهم، والدفاع عن الحق، وأنه يهدي لما فيه الخير والسعادة في الدين والدنيا والآخرة، وهكذا العلماء العاملون الذين سخروا علمهم النافع، فإنهم يكونون أنصاراً للحق والهدى في كل زمان ومكان.[٥]

٣- "كلما كان العبد أعظم علماً وتصديقاً بأخبار ما جاء به الرسول ﷺ، وأعظم معرفة بحكم أوامره ونواهيه، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله ﷻ حجة على ما جاء به الرسول ﷺ، احتج الله ﷻ بهم على المكذبين المعاندين"[٦].

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٩٤).

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧٥).

[٣] انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢٢/ ١٣٨)، وقد ذكرت عند التعريف بسورة سبأ من الذين نزلت فيهم الآية، ورأي العماء في ذلك مع بيان الرأي الراجح. انظر (ص١٦٩).

[٤] أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٣٠٤).

[٥] انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٢٦٩).

[٦] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧٥).

٤- " القرآن كتاب مفتوح للأجيال، وفيه من الحق ما يكشف عن نفسه لكل ذي علم صحيح، وهو يكشف عن الحق المستكن في كيان هذا الوجود كله، وهو أصدق ترجمة وصفية لهذا الوجود وما فيه من حق أصيل"[١].

٥- يهدي القرآن إلى المنهج الحق وإلى الطريق القويم والصراط المستقيم، بما ينشئه في إدراك المؤمن من تصور للوجود وروابطه وعلاقاته وقيمه ومكان هذا الإنسان منه، ويهدي إلى صراط العزيز الحميد بتصحيح منهج التفكير وإقامته على أسس سليمة، بحيث يؤدي هذا المنهج بالفكر البشري إلى إدراك طبيعة هذا الكون وخواصه وقوانينه، والاستعانة بها، ويهدي إلى صراط العزيز الحميد بمنهجه التربوي الذي يُعِدّ الفرد للتجاوب والتناسق مع الجماعة البشرية، ويهدي إلى صراط العزيز الحميد بما فيه من نظم وتشريعات مستقيمة مع فطرة الإنسان وظروف حياته ومعاشه الأصيلة، متناسقة مع القوانين الكلية التي تحكم بقية الأحياء.[٢]

المطلب الرابع: استهزاء الكافرين بالنبي ﷺ

قال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾** [سبأ: ٧-٨]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿مُزِّقْتُمْ﴾**:(مزق) الميم والزاي والقاف أصل صحيح يدل على تَخَرُّقٍ في شيء، وَالْمِزَقُ: قِطَاعُ الثَّوْبِ الْمَمْزُوقِ، وَنَاقَةٌ مِزَاقٌ: سريعة جدا يكاد يتمزق عنها جلدها، ومزقت القوم: فرقتهم فتمزقوا.[٣]

٢- **﴿جِنَّةٌ﴾**: الْجِنَّةُ: الجن، ومنه قوله تعالى: **﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** [هود: ١١٩] والْجِنَّةُ أيضاً: الجنون، ومنه قوله تعالى: **﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾**.[٤]

---

[١] في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٩٤).

[٢] المرجع السابق (٥/ ٢٨٩٤) باختصار.

[٣] مقاييس اللغة: لابن فارس (٥/ ٣١٨).

[٤] مختار الصحاح: للرازي (ص: ٦٢).

ثانياً: وجوه البلاغة

١- الاستفهام للسخرية والاستهزاء في قوله تعالى: **﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾**، وغرض الكافرين من ذلك الاستهزاء بالرسول ﷺ، ولم يذكروا اسمه إمعاناً في التجهيل كأنه إنسان مجهول.[١]

٢- العامل في **﴿إِذَا﴾** في قوله تعالى: **﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾** فعل دل عليه قوله تعالى:**﴿ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**، وتقديره: إذا مزقتم كل ممزق بعثتم، وتقديم الظرف للدلالة على البعد.[٢]

٣- الإسناد المجازي: في قوله تعالى: **﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾**، لأن البعيد صفة الضّال إذا بعد عن الجادّة، وكلما ازداد عنها بعداً كان أضل.[٣]

٤- وصف الضلال بالبعد؛ لأن من يسمي المهتدي ضالاً يكون هو الضال، ومن يسمي الهادي ضالاً يكون أضلّ، والنبي ﷺ كان هادياً كل مهتد.[٤]

٥- تقديم العذاب على الضلال: حيث إنّ العذاب الذي سينالهم هو من ثمرة ضلالهم، لكن تقديمه هنا استعجالا لما يسوؤهم، واستحضارا للبلاء الذي ظنوا أنهم في مأمن منه.[٥]

ثالثاً: وجه المناسبة

بعد أن بيَّنت الآيات السابقة إنكار الكافرين للساعة، وبيان جزاء المؤمنين بها وأنّ لهم ثواب عظيم، وجزاء المكذبين بها والمنكرين لها وأن لهم عذاب أليم، ذكر الله ﷻ مقال الكافرين وتهكمهم واستهزاؤهم بالنبي ﷺ، ثم ذكر الدليل على وقوع البعث وقدرته على ذلك، ثم هددهم وتوعدهم على تكذيبهم، لعلهم يعودون إلى رشدهم، ويرجعون عن كفرهم.[٦]

---

[١] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٥٠٣).
[٢] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١٤٣).
[٣] انظر: الجدول في إعراب القرآن: لمحمود صافي (٢٢/ ٢٠٤).
[٤] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٩٥).
[٥] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٨١).
[٦] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١٤٤).

رابعاً: المعنى العام

قال الكافرون المنكرون للبعث لبعضهم البعض على وجه السخرية والاستهزاء، هل نحدثكم بغرائب وعجائب هذا الرجل؟ ويقصدون بذلك النبي ﷺ، حيث يخبركم أنكم إذا بليتم، وتفرقت أوصالكم وأجسادكم في الأرض، وذهبت أعضاؤكم فصرتم تراباً، ستبعثون خلقاً جديداً بعد كل ذلك، فهل تجرأ هذا الرجل على الله ﷻ وكذب عليه فتحدث بهذا الأمر؟ أم أنه مجنون فتحدث بذلك، فهو لا يعي ولا يدري ما يقول؟ فردّ الله ﷻ على القائلين بهذا الشيء، المنكرين للبعث، الجاحدين لما جاء به النبي ﷺ، أنهم في شقاء وعذاب عظيم، وضلال وبعد عن الحق والصواب.[١]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- نكَّر الجاحدون للبعث النبي ﷺ، وقالوا: **﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾**، فلم يذكروا النبي ﷺ باسمه مع شهرته عند قريش، وأن إخباره بالبعث كان شائعاً عندهم، وإنما قصدوا بذلك السخرية والاستهزاء به، وأن يجعلوه وسيلة للضحك، متجاهلين به وبأمره وما جاء به.[٢]

٢- تبرئة الله ﷻ لنبيه ﷺ مما نسب إليه من الجنون والكذب فيما بلغ عن ربه.

٣- "البعث الأخروي كان من الأسباب الرئيسة لكفر الكفار ووقوفهم من الدعوة موقف الإنكار والعناد"[٣].

٤- الكافر لا يرضى بأن يظهر كذبه، ولهذا لم يجزم الكفار بأنّ النبي ﷺ كان مفترٍ، بل قالوا مفترٍ أو مجنون، احترازاً من أن يقول قائل: كيف يقال بأنه مفترٍ؟ مع جواز الظن بأن يكون قوله حق، فظن الصدق يمنع تسمية القائل مفترياً وكاذباً في بعض المواضع، وقد احترز الكافرون هنا عن تَبيُّنِ كذبهم، ومن هنا فإنه ينبغي لكل عاقل أن يحترز عن ظهور كذبه عند الناس، ولا يكون العاقل أدنى درجة من الكافر.[٤]

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧٥).

[٢] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٧٠).

[٣] التفسير الحديث: لدروزة (٤/ ٢٦٩).

[٤] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٩٥).

٥- من يُدْعَى إلى الإيمان والصلاح وترك الفساد فيرفض، بل ويتهم الداعي بالكذب والافتراء وأنه مجنون، هو شخص جاهل، وغارق في الضلالة، وليس له جزاء إلا أشد العذاب.[١]

٦- يراد بالعذاب عذاب الآخرة لأنهم يصيرون إليه، ويحتمل أن يراد بالعذاب في الدنيا بمكابدة الشرع ومحاولة إطفاء نور الله ﷻ، وكلاهما عذاب.[٢]

٧- الذين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت في ضلال بعيد، ولن يرجعوا إلى الهدى أبداً إن أصرّوا على هذا الاعتقاد، وعلى ذلك فإنّ هذه الآية نزلت في قوم يختم لهم على الضلال، كما أنّ فيها أيضاً إثبات لرسالة النبي ﷺ.[٣]

المطلب الخامس: تهديد المنكرين للبعث بالخسف

قال تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾** [سبأ: ٩]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿كِسَفًا﴾**: (كِسَف) الشَّيْء قِطَعه، ويُقَال يَوْم كاسف عَظِيم الهول شَدِيد الشَّرّ، و(الْكِسْفَةُ) القِطعة من الشيء ومنه قوله تعالى: **﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾** [الإسراء:٩٢].[٤]

٢- **﴿مُنِيبٍ﴾**: ناب إلى الله ﷻ: أقبل وتاب ورجع إلى الطاعة، وقيل: ناب: لزم الطاعة، وأناب: تاب ورجع، والإنابة: الرجوع إلى الله ﷻ بالتوبة، ومنه قوله تعالى: **﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾** [الروم:٣١،٣٣] أي: راجعين إلى ما أمر به، غير خارجين عن شيء من أمره، وقيل أناب: رجع مرة بعد أخرى، ومنه النوبة، لتكرارها.[٥]

---

[١] انظر: محاسن التأويل: للقاسمي (٨/ ١٣٥).

[٢] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٤٠٦).

[٣] انظر: تأويلات أهل السنة: للماتريدي (٨/ ٤٢٨).

[٤] المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون (٢/ ٧٨٧).

[٥] تاج العروس: لمرتضى الزبيدي (٤/ ٣١٥).

ثانياً: وجوه البلاغة

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ**﴾، قال هنا: ﴿**لَآيَةً**﴾ بالتوحيد والإفراد، وجمعها بعد ذلك فقال: ﴿**لَآيَاتٍ**﴾ في قوله تعالى: ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [سبأ: ١٩]؛ لأنّ الحديث هنا إشارة إلى إحياء الموتى فناسب التوحيد، وما بعد إشارة إلى سبأ حيث تفرقوا في البلاد فصاروا فرقاً فناسب الجمع.[١]

ثالثاً: وجوه القراءات

قوله تعالى: ﴿**إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ**﴾، ﴿**نَخْسِفْ**﴾ و ﴿**نُسْقِطْ**﴾ يقرءان بالنون والياء، فحجة من قرأ بالنون: أنّه جعله من إخبار الله ﷻ عن ذاته، وحجة من قرأ بالياء: أنّه جعله من إخبار النبي ﷺ عن ربه ﷻ.[٢]

رابعاً: وجه المناسبة

لمّا ذكر ﷻ في الآيات السابقة الدليل على كونه عَالِمَ الْغَيْبِ، وأنّه مجازياً على السيئات والحسنات، ذكر دليلاً آخر فيه التهديد والتوحيد، فدليل التوحيد ذكره السماء والأرض، فإنهما يدلان على الوحدانية، وأمّا التهديد فبقوله تعالى: ﴿**إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ**﴾[٣]، ولما تناولت الآيات السابقة المنكرين للبعث والمستهزئين بالنبي ﷺ ناسب أن تتحدث هذه الآية عن تهديدهم بإنزال العقوبة عليهم بقوله تعالى: ﴿**إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ**﴾، كما أن هذه الآية دعت الذين استعظموا قضية البعث بعد الموت إلى التفكر في خلق السماوات والأرض، فخلقهما أكثر عظمة من إعادة خلق الإنسان.

خامساً: المعنى العام

أفلم ينظر هؤلاء المنكرون البعث، المتهمون الرسول ﷺ بالافتراء على الله ﷻ، أو أنّ به جنون، أنّ السماوات والأرض محيطة بهم من جميع الجهات، فيكون ذلك رادعاً لهم وزاجراً

---

[١] انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: للقنوجي (١١/ ١٦٨).

[٢] الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه (ص: ٢٩٢).

[٣] اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٦/ ١٩).

لتكذيبهم بآيات الله ﷻ ورسوله ﷺ، خشية أن يخسف الله ﷻ بهم الأرض أو يسقط عليهم قطعاً من السماء، وفي ذلك آية وعبرة لكل من تاب ورجع إلى ربه ﷻ وأناب إليه.[1]

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- "هذه الآية اشتملت على أمرين: أحدهما: أنّ هذا الخلق الذي خلقه الله ﷻ من السماء والأرض يدل على كمال القدرة على ما هو دونه من البعث كما في قوله: **﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾** [يس: ٨١] ، والأمر الآخر: التهديد لهم بأنّ من خلق السموات والأرض على هذه الهيئة التي قد أحاطت بجميع المخلوقات فيهما قادر على تعجيل العذاب لهم"[2].

٢- النظر والتأمل طريق للوصول إلى الصواب، والاهتداء إلى الحق من الأقوال، فلو نظر الكافر وتفكَّر في عظم خلق السماوات والأرض وسعتهما، وقدرته ﷻ على إنشاء هذه الأشياء، وأن فيهما ما يبهر العقول ويخطف الوجدان، لعلم أنّ الرسول ﷺ صادق فيما جاءهم به من أخبار، ولعلم أنّ من قدر على إنشاء ذلك قادر على البعث بعد الموت، إذ إنّهما أعظم من خلق الناس، قال تعالى: **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾** [يوسف: ١٠٥].

٣- قدرة الله ﷻ على التعذيب بسمائه وأرضه، فهذه كلها من مخلوقاته، وبيان أنّ النعمة قد تتحول إلى نقمة إذا جحدها صاحبها، فنعم الله ﷻ التي سخرها لنا في السماء والأرض كثيرة، لكن لمَّا لم يتفكر المخلوق في هذه النعم استحق أن يعاقب على غفلته عن ذلك.

٤- تخصيص المنيب بالذكر لأنّه المنتفع بآيات الله ﷻ وحججه، وهو لا يخلو من النظر والتفكر في آيات الله ﷻ.[3]

٥- إثبات وحدانية الله ﷻ، وإثبات الحشر والبعث بعد الموت، فالسماوات والأرض يدلان على كمال قدرة الله ﷻ.[4]

---

[1] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٣٥٥).

[2] فتح البيان في مقاصد القرآن: للقنوجي (١١/ ١٦٧).

[3] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٦٤).

[4] انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: للشربيني (٣/ ٢٨١).

٦- الاستدلال بالدليل العقلي والذي يتوافق مع العقل الصحيح، لإقناع الآخرين والوصول بهم إلى الحق.

٧- المنيب هو من استعمل نعم الله ﷻ عليه، فتفكر لما فيه حسن المصير، وتنبه لما أصاب غيره فأقبل على ربه ﷻ، فهو لا يخلو من التفكر والتدبر في مخلوقات الله ﷻ وقدرته وعظمته، يقول السعدي: "كلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله ﷻ، كان انتفاعه بالآيات أعظم؛ لأنّ المنيب مقبل إلى ربه ﷻ، قد توجهت إراداته وهماته لربه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريباً من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة"[١].

٨- التخويف والتذكير بما أصاب الآخرين قد يكون وسيلة يلجأ إليها أحدنا لتخويف الآخر ليستجيب لما نريد، فإن الله ﷻ قام بتخويف الكافرين كي يعتبروا ويعودوا إلى رشدهم، حيث لجأ إلى بيان عقوبة تذكرهم بما أصاب الأمم السابقة من الخسف والكسف، يقول ابن عاشور: "وما يخطر في عقولهم ذكر الأمم التي أصابها عقاب بشيء من الكائنات الأرضية كالخسف أو السماوية كإسقاط كسف من الأجرام السماوية مثل ما أصاب قارون من الخسف وما أصاب أهل الأيكة من سقوط الكسف"[٢].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٦٧٥).

[٢] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٥٣).

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١٠-١٤)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نعم الله ﷻ على سيدنا داود عليه السلام

المطلب الثاني: نعم الله ﷻ على سيدنا سليمان عليه السلام

المطلب الثالث: نفي علم الغيب عن الجن

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١٠-١٤)

المطلب الأول: نعم الله ﷻ على سيدنا داود عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠- ١١]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿أَوِّبِي﴾**: الأوب: الرجوع، يقال آب إلى الشيء: رجع، وقوله ﷻ: **﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾**، معناه يا جبال سبّحي معه ورجعي التسبيح.[١]

٢- **﴿وَأَلَنَّا﴾**: ألان المعدن وغيره: سهله، وجعله طائعا قابلا للانثناء والتشكيل، قال تعالى: **﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾**، وألان للقوم جناحه: عاملهم بلطف ورقة، ومنه قوله تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾** [آل عمران: ١٥٩].[٢]

٣- **﴿سَابِغَاتٍ﴾**: سبغ الشيء سبُوغا، طال إلى الأرض، كالثوب، والشعر، والدرع ونحوها، ومن المجاز: سبغت النعمة: اتسعت، ويقال: الحمد لله على سبوغ النعمة، ودرع سابغة أي: تامة وافرة طويلة واسعة، قال تعالى: **﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾** والدرع السابغة: التي تجرها في الأرض أو على كعبيك طولاً وسعة.[٣]

٤- **﴿السَّرْدِ﴾**: السين والراء والدال أصل يدل على توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض، ومن ذلك السرد: وهو اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الحلق، قال الله ﷻ في شأن داود عليه السلام: **﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾**، قالوا: معناه ليكن ذلك مقدراً، لا يكون الثقب ضيقاً والمسمار غليظاً، ولا يكون المسمار دقيقاً والثقب واسعاً، بل يكون على تقدير.[٤]

---

[١] لسان العرب: لابن منظور (١/ ٢١٧).

[٢] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٣/ ٢٠٥٦).

[٣] تاج العروس: للزبيدي (٢٢/ ٤٩٨).

[٤] مقاييس اللغة: لابن فارس (٣/ ١٥٧).

ثانياً: وجوه البلاغة

١- تنكير ﴿فَضْلًا﴾ للتفخيم، و﴿مِنَّا﴾ أي بلا واسطة؛ لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية، وهذا يفيد قصر النعمة على المنعم ﷻ، وتقديم ﴿دَاوُودَ﴾ على المفعول الصريح للاهتمام بالمُقَدَّم والتشويق إلى المؤخر، ليتمكن في النفس عند وروده فضل تمكُّن.[١]

٢- اختُلِفَ في علة نصب (الطير)، فقال بعضهم: معناه: ولقد آتينا داود منا فضلاً، وسخرنا له الطير، وقيل: نصب قوله: (والطَيرَ) على النداء، المعنى: يا جبال أوبي معه والطير، كأنه قال: أنادى الجبال والطير، (فالطير) معطوف على موضع (الجبال) في الأصل، وقال بعضهم: يجوز أن يكون قوله: (والطيرَ) منصوبًا بمعنى (مع) ، فيكون المعنى: أوبي معه ومع الطير.[٢]

٣- تقديم (الجبال) على (الطير): لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة وأدخل في الإعجاز، لأنّها جماد والطير حيوان، إلا أنه غير ناطق.[٣]

ثالثاً: وجه المناسبة

تحدثت الآيات السابقة عن إنكار الكافرين للبعث لاستحالة وقوعه في نظرهم، فأتى الله ﷻ في هذه الآيات بما هو مستحيل عادة مما لا يستطيعون إنكاره، ومما تناولوه وذكروه في أخبارهم وأشعارهم كتأويب الجبال والطير وإلانة الحديد، وقيل: إنّه لما ذكر الله ﷻ في الآية السابقة من ينيب إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ: ٩]، أتبع هذه الآيات بذكر بعضاً منهم، ومن جملتهم داود عليه السلام، وقيل: إنّ الله ﷻ ذكر نعمه على داود وسليمان عليهما السلام رداً على من احتج بما منح الله ﷻ نبيه ﷺ، أي لا تستبعدوا هذا، فقد تفضلنا على عبيدنا قديما بكذا وكذا.[٤]

رابعاً: المعنى العام

لقد تفضل الله ﷻ على داوود عليه السلام إذ منَّ وأنعم عليه بأن أمر الجبال والطير أن تردد معه التسبيح، وسخر له الطير لقضاء حاجاته، كما جعل الحديد في يده ليناً، وسهل له تصريفه

---

[١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٢٨٧).

[٢] معاني القراءات: للأزهري (٢/ ٢٨٩).

[٣] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ١٢٩).

[٤] انظر: البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٥٢٤).

كما يشاء، بحيث يعمل منه الدروع التامة على أتمِّ النظم والتقدير، فيجعل حلقاتها على قدر الحاجة فلا هي بالضيقة فتضعف ولا تؤدى وظيفتها، ولا هي بالواسعة التي ربما ينال صاحبها من خلالها الأذى، ثم أمره ﷻ بأن يعمل هو وآله بطاعة الله ﷻ، فإنه مراقب لهم، بصير بأعمالهم وأقوالهم، لا يخفى عليه شيء منها.[1]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- تفضيل الله ﷻ لداود عليه السلام بما أنعم عليه من النعم التي لم ينعم بها الله ﷻ على غيره، وقد ذكر الله ﷻ بعضاً من هذه الفضائل في سور أخرى[2]، ومن النعم التي ذكرتها هذه السورة، تسبيح الجبال والطير معه وتسخيره له، وإلانة الحديد له ليعمل منه ما شاء، بحيث يصير في يده كالعجين، بحيث يستخدمه بيديه ويُصَرِّفه كيفما شاء، وهذا يدلل على ما آتاه الله ﷻ له من قوة شديدة، كما أن الله ﷻ علمه صناعة الدّروع التّامات الواسعات.

٢- في تسبيح الجبال والطير ما يظهر عزة الربوبية وكبرياء الألوهية لله ﷻ، فقد أنزل الله ﷻ الجبال منزلة العقلاء، حيث إنه إذا أمرهم أطاعوه، وإذا دعاهم لشيء سمعوه وأجابوه، وهذا يدل على أنه ما من شيء ولو كان جماداً إلا ومنقاداً لمشيئة الله ﷻ، ولا يمتنع عما أراده ﷻ،[3] ومن باب أولى أن يكون البشر هم من يحصل منهم ذلك، بحيث إذا صدر أمر من الله ﷻ سارعوا وبادروا إلى فعله، فلا يكون الجماد أفهم وأعقل من الإنسان المكلف صاحب الإرادة.

٣- في تسبيح الجبال والطير دلالة على قدرة الله ﷻ، إذ لا يعجزه ﷻ شيء، فهو على كل شيءٍ قدير، وهذا ليس غريباً في حق الله ﷻ، وقد حصل هذا مع النبي ﷺ حين سبح الحصى في يديه، وهذا إنما لمن أنكر تسبيح الجبال، وأنها عندها لا تعقل ولا تدرك ولا تميز، فكيف يقال بأنها تسبح، وأنّ هذا القول يتناقض مع العقل السليم والعلم الصحيح، لكن نرد عليهم بأن الله ﷻ الذي خلقها أمرها بالتسبيح، ونوقن بحدوث ذلك، مع عدم إدراكنا لكيفيته، يقول تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** [الإسراء: ٤٤].

---

[1] تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٦٤).

[2] انظر في سورة (ص)، ذكر الله بعضاً من هذه الفضائل بأن جمع الله له بين النبوة والملك، ومكنه من العدل في القضاء، يقول السمعاني: "اختلف القول في الفضل الذي أوتي داود؛ فقال بعضهم: هو النبوة، وقال بعضهم: هو الملك، ويقال: القضاء بالعدل، وقيل: حسن الصوت، وقيل: تليين الحديد له، وجميع ما أعطي وخص به". تفسير القرآن: للسمعاني (٤/ ٣١٩).

[3] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٧١).

٤- لم ينحصر التأويب لداود في الطير والجبال، بل إن هناك أشياء أخرى وافقته في التأويب، ولكن الله ﷻ ذكر الجبال لأنّ الصخور للجُمُود، والطير للنُفُور، وكلاهما تستبعد منه الموافقة عادة، لما هو معروف من صفاتهما، فإذا كانت هذه الأشياء موافقة له، فغيرهما أولى بالموافقة، إذ إن من الناس من لم يوافقه وهم القاسية قلوبهم، والتي هي أشد في قسوتها من الحجارة.[١]

٥- أعطى الله ﷻ داود صوتاً جميلاً، حتى أنّ الجبال كانت تسبح معه، وعن أبي موسى الأشعري ﷺ، أنّ النبي ﷺ قال له: **(يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود)**[٢]، وهذا يظهر أن داود قد بلغ من الشفافية والتجرد في تسابيحه أن انزاحت الحجب بينه وبين هذه الكائنات، وهذه الدرجة من الصفاء والتجرد لا يبلغها أحد إلا بفضل من الله ﷻ، وهذه اللحظات لا يشعر بها ولا يتذوقها إلا من عنده بها خبر،[٣] وقد حصل مع النبي ﷺ مثل هذا، حين حنَّ الجذع شوقاً إليه،[٤] لَمّا كان يقف عليه أفضل الخلق، ويسمع منه أفضل الكلام.

٦- عناية الله ﷻ بالمنيبين وأنّه يتفضل عليهم بالنعم في الدنيا والآخرة، وفيه أيضاً تعريض بضد ذلك ممن لم يعتبر بآيات الله ﷻ، كما أنها تشير إلى بشارة النبي ﷺ وما سيؤول إليه حاله من العزة وتأسيس ملك هذه الأمة بعد تكذيب قومه له وما يتعرض له من ضيق منهم.[٥]

٧- أوّل من صنع الدروع هو داود عليه السلام، وقد كانت قبل ذلك عبارة عن صفائح،[٦] وقد تعلَّم الناس بعده هذا العلم وتوارثوه عنه، ليصبح له فضل على كل من أتى بعده وأراد القتال، فيلجأ لصنع هذه الدّروع.

٨- "فضيلة صنع السلاح وآلات الحرب لغرض الجهاد في سبيل الله"[٧]، وفي هذا الأمر دعوة للمؤمن للإعداد بقدر استطاعته، ليكون قادراً على مواجهة الأعداء، فإن الله ﷻ قد أمر داود

---

[١] انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٦/ ٢٢).

[٢] صحيح البخاري (٦/ ١٩٥)، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، حديث رقم (٥٠٤٨).

[٣] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٩٧).

[٤] فعن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: (كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت). انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٩٦)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٥٨٥).

[٥] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٥٥).

[٦] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٣٥٩).

[٧] أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٣١١).

عليه السلام بصناعة الدّروع ليكون مستعداً لقتال العدو، يقول الشعراوي: " فتأمل أنّ الله عز وجل لم يعلم نبيه داود عليه السلام أولاً وسائل السلم، إنما علمه أولاً وسائل الحرب وإعداد العدة لمن نقض كلمة الله عز وجل، وحاد عن منهجه، علَّمه أن يعد له ما استطاع من قوة"[1].

٩- أهل الفضائل تعلموا الصنائع والحرف، ولم تكن تشغلهم مناصبهم عن العمل، فقد فهموا جيداً أنّ تعلم الصنائع لا تنقص من مناصبهم، بل إنّ في ذلك زيادة في فضلهم، حيث يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، فيحصل له الكسب والتوسع في الرزق من وراء ذلك، وقد روى المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)**[2].[3]

١٠- اهتمام القرآن بالحِرَف ومنها الصِّناعة، فقد ذكر الله عز وجل أن نبي الله داود عليه السلام اشتهر بصناعة الدروع من الحديد، وفي هذا حثّ على التدبر والتفكر في الطبيعة ، واستعمال ما يتاح من وسائل تقنية أو علمية من أجل عمارة هذه الأرض، وفيه أيضاً دعوة للمسلم إلى العمل والإنتاج في كافة المجالات، فإن الله سبحانه وتعالى لمَّا ألان الحديد لداود عليه السلام استغل ذلك في إحدى مجالاته، لكنها لا تقتصر على هذه المجالات، فمجالات الحديد كثيرة ومنافعه عديدة، وقد قال تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾** [الحديد: ٢٥]، وعلى الإنسان اكتشاف المجالات الأخرى لهذه المادة، فمن الحديد تستطيع صناعة الكثير من الأشياء.

١١- توجيه الله سبحانه وتعالى لعباده بإتقان العمل والقيام به على أتمّ وجه، فإذا كان الله جل جلاله قد طلب من سيدنا داود عليه السلام بأن يحسن الصنعة ويحكمها في قوله تعالى: **﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾**، فغير الأنبياء مطلوبون أيضاً بذلك، إذ إنَّ هذا الأمر لا يختص بالأنبياء وحدهم، وهذا أيضاً ينطبق على جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان والتي منها الصنائع.[4]

١٢- الأصل أن الكسب يكون على قدر الحاجة، وأن تكون باقي الأوقات والليالي للعبادة، وعلى المؤمن ألّا يشغل جميع أوقاته بالكسب وتحصيل المال وجمعه، وألَّا يجعل نفسه مستغرقة

---

[1] تفسير الشعراوي (٢٠/ ١٢٢٧٣).

[2] صحيح البخاري (٣/ ٥٧)، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم (٢٠٧٢).

[3] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٦٧).

[4] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٨٦).

في النعم التي أنعم الله ﷻ بها عليه، بل يكفيه ما يحصل به قوته، فإنّ الإنسان مخلوق ليكثر من الأعمال الصالحة، وهذه الأعمال هي ما تنفع المؤمن بعد موته.[١]

١٣- الله ﷻ لم يستثن نبياً مرسلاً من إلزامه بالعمل الصالح، فقد أعقب الله ﷻ بيان نعمه وأفضاله على داود عليه السلام بأنْ أمره وأهله بصالح الأعمال.[٢]

١٤- لابد من الأعمال الصالحة ، حيث لا نجاح ولا انتصار على العدو بالقوة المادية فقط، بل لابد أن يصاحب ذلك العمل الصالح الذي يُقَوِّمُ النفس ويُحَصِّنُها، فلا تكفي القوة المادية التي أمد الله ﷻ بها داود عليه السلام من صناعة الدروع التي تحمي الإنسان وتقيه من بطش الأعداء،[٣] وفي هذا حث على عدم الاكتفاء بالقوة المادية في مواجهة الأعداء، بل لابد أن يتسلح الإنسان بالإيمان قبل التسلح بالعتاد المادي.

١٥- العلم بمراقبة الله ﷻ لنا وأنَّه بصيرٌ بأعمالنا وأقوالنا، فيه تنبيه وإرشاد إلى إصلاح العمل والإخلاص فيه،[٤] فإذا كان الإنسان يعمل بمرأى من صاحب العمل فإنّه يحاول قدر استطاعته أن يتقنه على أحسن وجه، فكيف إذا كان من يرى الإنسان ويراقبه هو الله ﷻ؟

المطلب الثاني: نعم الله ﷻ على سيدنا سليمان عليه السلام

قال تعالى: **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾** [سبأ: ١٢-١٣]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾:** أي كان سيدنا سليمان عليه السلام يجلس على سريره هو وأصحابه فتسير بهم الريح بالغداة مسيرة شهر، وتسيرُ بالعَشِي مَسِيرَة شَهْرٍ.[٥]

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٩٦).

[٢] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١٥٠).

[٣] انظر: التفسير الواضح: لحجازي (٣/ ١٣١).

[٤] انظر: تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٦٤).

[٥] معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (٤/ ٢٤٥).

٢- ﴿**وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ**﴾: سال الماء والشيء سيلاً وسيلاناً: أي جرى، وماء سيل: سائل، وقوله ﷻ: ﴿**وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ**﴾ القطر: النحاس وهو الصُّفرُ، ذكر أنَّ الصُّفرَ كان لا يذوب فذاب مذ ذلك فأساله الله ﷻ لسليمان عليه السلام،[١] والمعنى المراد بذلك تحويل النحاس من حالةٍ صلبةٍ جامدةٍ إلى حالةٍ سائلةٍ مذابة.

٣- ﴿**يَزِغْ**﴾: الزيغ: الميل، زاغ البصر: تعب وكَلّ ومال عن مستوى النظر حيرةً وشخوصاً، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾ [الأحزاب: ١٠]، وزاغت الشمس: مالت إلى الغروب، وزاغ عن الطريق المستقيم: عدل عنه، أي مال وانحرف، ومنه قوله تعالى: ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ**﴾ [التوبة: ١١٧].[٢]

٤- ﴿**مَحَارِيبَ**﴾: المحراب الغرفة وفُسِّر به قوله تعالى: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ**﴾ [مريم:١١]، والمحراب: القصر، قال تعالى: ﴿**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ**﴾، والمحراب: صدر البيت وأكرم موضع فيه، ومقام الإمام من المسجد، ومنه قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا**﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقوله: ﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ**﴾ [آل عمران: ٣٩].[٣]

٥- ﴿**وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ**﴾: (الجفن) غطاء العين من أعلاها وأسفلها، والجفن: غمد السيف ونحوه، والْجَفْنَة: القصعة التي يوضع بها الطعام، والجفنة: البئر الصغيرة،[٤] (جبي) الجيم والباء وما بعده من المعتل أصل واحد يدل على جمع الشيء والتجمع، يقال جبيت المال أجبيه جباية، وجبيت الماء في الحوض، والحوض نفسه جابية، وَالْجَبَا، مقصور: ما حول البئر، وَالْجِبَا: ما جمع من الماء في الحوض أو غيره،[٥] وهذا فيه كناية عن كرم سيدنا سليمان عليه السلام، حيث كان يجتمع على هذه القصاع الكثير من الناس للأكل.

٦- ﴿**وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ**﴾: رست قدمه: ثبتت في الحرب، ورسا الجبل: إذا ثبت أصله في الأرض، كقولنا جبال رواس وراسيات، وقدر راسية: أي لا تبرح مكانها ولا تنزل عن مكانها لعظمها، وبه

---

[١] لسان العرب: لابن منظور (١١/ ٣٥٠).

[٢] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٢/ ١٠١٦).

[٣] المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى وآخرون (١/ ١٦٤).

[٤] المرجع السابق (١/ ١٢٧).

[٥] مقاييس اللغة: لابن فارس (١/ ٥٠٣).

فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾، وزاد بعضهم فقال: ولا يطاق تحويلها،[1] وهذا المعنى يحتمل أن يكون من باب مساعدة الفقراء والمحتاجين وإطعامهم، لعدم قدرتهم على الحصول على الطعام، فكان يصنع لهم الأواني الكبيرة للطبخ ويوزعه عليهم.

ثانياً: وجوه البلاغة

١- الحكمة في قوله ﷻ في الجبال ﴿مَعَهُ﴾ في تسخيرها لداود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠] ، وقال في الريح: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾ باللام، أنّ الجبال لما سبَّحت شَرفت بذكر الله ﷻ فلم يُضِيفْها إلى داود عليه السلام بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب، والريح لم يذكر تسبيحها فجعلها كالمملوكة لَهُ.[2]

٢- قُدِّمَت المحاريب على التماثيل؛ لأنّ النقوش تكون في الأبنية، وقُدِّمَت الجِّفان على القدور؛ لأنّ القدور آلة الطبخ، والجفان آلة الأكل، والطبخ إنما يكون قبل الأكل.[3]

٣- التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾، حيث شبه القصاع الكبار بالحياض العظام في سعتها وضخامتها.[4]

ثالثاً: وجه المناسبة

بعد أن ذكر ﷻ ما تفضل به على داود عليه السلام أتبع ذلك بذكر ما تفضل به على ابنه سليمان عليه السلام من تسخير الريح، وإذابة النحاس، وتسخير الجن، وهذه الأشياء الثلاثة تقابل الثلاثة في حق داود عليه السلام، وهي تسخير الجبال الذي هو من جنس تسخير الريح لسليمان عليه السلام، وتسخير الطير الذي هو من جنس تسخير الجن لسليمان عليه السلام، وإلانة الحديد كإلانة النحاس لسليمان عليه السلام، حيث إنّ كلاً منهما كان منيباً إلى ربه ﷻ، ومخبتاً إليه، ومتوكلاً عليه.[5]

---

[1] تاج العروس: للزبيدي (٣٨/ ١٥٣).

[2] انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٦/ ٢٥).

[3] انظر: البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٥٢٨).

[4] انظر: الجدول في إعراب القرآن: لمحمود صافي (٢٢/ ٢١١).

[5] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١٥٣).

رابعاً: المعنى العام

"وسخرنا لسليمان الريح، جريها في أول النهار يعدل السير العادي شهرا، وجريها في آخر النهار يعدل السير شهراً وأسلْنا له معدن النحاس يجرى غزيرا مستمرا، وسخرنا له من الجن من يعمل أمامه بتسخير ربه، ومن ينحرف من الجن عن أمرنا لهم بطاعة سليمان عليه السلام نُذقه من عذاب النار المستعرة، يعملون له ما يريد من مساجد للعبادة، وصور مجسمة، وقصاع كبيرة كالأحواض، وأوان للطبخ ثابتات على قواعدها لعظمها، وقلنا لآل داوود عليه السلام: اعملوا عملاً تشكرون به الله ﷻ شكراً، وقليل من عبادي من يذكر نعمى فيكثر شكري".[1]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- أنعم الله ﷻ على سيدنا سليمان عليه السلام بنعم كثيرة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن سليمان بن داوود عليه السلام سأل الله ثلاثاً، أعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون له الثالثة: فسأله حكما يصادف حكمه، فأعطاه الله إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه إياه...)**[2]، ومن هذه النعم التي بينها الله ﷻ لنا:

أ- نعمة تسخير الريح له: فقد كانت الريح تسير بهم شهرين في يوم واحد، ومن الروايات التي تدلل على ذلك ما رواه الحسن البصري[3] رحمه الله حيث قال: **(كان يغدو على بساطه من دمشق، فينزل بإصطخر[4] يتغذى بها ويذهب رائحا من إصطخر فيبيت بكابل[5]، وبين دمشق وإصطخر**

---

[1] المنتخب في تفسير القرآن الكريم: لجنة من علماء الأزهر (ص: ٦٣٦).

[2] مسند أحمد (١١/ ٢١٩)، حديث رقم (٦٦٤٤). وهذا الحديث إسناده صحيح.

[3] أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من سادات التابعين وكبرائهم، وقد كان عالماً زاهداً عابداً فصيحاً، مات بالبصرة سنة ١١٠هـ وقد كانت جنازته مشهودة. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٦٩).

[4] إِصْطَخْر: وهي أقدم مدن فارس وأشهرها اسماً، وهي مدينة كبيرة جليلة كثيرة الأرزاق والتجارات، وقيل إن الفتح الأخير لها كان سنة (٢٨هـ) وسط إمارة عثمان رضي الله عنه على يد الحكم بن أبي العاص، وقيل إنه كان سنة (٢٣هـ)، أما فتحها الأول ففي أيام عمر رضي الله عنه، وقد فر كسرى إليها حين دخل عليه المسلمون المدائن وغلبوه عليها فأخذت أمواله ونفائس عديدة، وقد ورد بها بعض الأخبار عن سيدنا سليمان عليه السلام. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار: لأبو عبد الله الحِميري (ص: ٤٣).

[5] كَابُلُ: هي أرض تقع بين الهند ونواحي سجستان، وقد وقع فيها قوم من الأتراك قديماً، وقيل إنها ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وغزنة، والراجح أنها مدينة بأرض الهند، وقد غزاها المسلمون في أيام بني مروان وافتتحوها، وأهلها مسلمون. انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي (٤/ ٤٢٦).

شهر كامل للمسرع وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع)[1]، "وتسخير الريح لسليمان عليه السلام تتكاثر حوله الروايات، وتبدو ظلال الإسرائيليات واضحة في تلك الروايات، وإن تكن كتب اليهود الأصلية لم تذكر شيئا عنها، والتحرج من الخوض في تلك الروايات أولى، والاكتفاء بالنص القرآني أسلم، مع الوقوف به عند ظاهر اللفظ لا نتعداه"[2].

ب- إذابة النحاس له: وقد **(روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أنه كانت تسيل له باليمن عين جارية من نحاس يصنع له منها جميع ما أحب)**[3].

ج- تسخير الجن لخدمته: فقد سخر الله عز وجل الجن لسليمان عليه السلام وأمرهم بطاعته في كل شيء يريده منهم، فقد صنعوا له القصور العظيمة الحصينة أو المساجد والتماثيل والصور المختلفة، والقصاع الكبيرة وقدور النحاس الثابتة التي لا تحرك لعظمها.

٢- من الجن من سخره الله سبحانه وتعالى للعمل وخدمة سليمان عليه السلام، وهذا يدل على أن منهم من لم يسخره الله له.[4]

٣- من يخالف أوامر سليمان عليه السلام من الجن فلا يطيعه كما أمر سبحانه وتعالى، فإنه يستحق العقاب والعذاب، وهذا يدلل على أن أمر الأنبياء عليهم السلام لقومهم يجب اتباعه فهو كأمر الله سبحانه وتعالى لهم، لأنهم مرسلون من عند الله عز وجل.

٤- إباحة التصاوير في شريعة سليمان عليه السلام، فإن هذا مما تختلف عليه الشرائع، إذ إنها ليس مما يستقبحه العقل كالكذب مثلاً، ويجوز أن يكون التصوير المراد كصور الأشجار وغيرها، لأنّ التمثال كل ما صوّر على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان، أو أن يتم تصويرها محذوفة الرؤوس،[5] وهذا الحكم قد تم نسخه، فالتصوير محرم في الشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، حيث بعث النبي صلى الله عليه وسلم والناس كانوا يعبدون هذه الصور، فكان الأفضل والأنسب القول

---

[1] تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٤٤٠).

[2] في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٨٩٨).

[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٤٠٩).

[4] انظر: النكت والعيون: للماوردي (٤/ ٤٣٨).

[5] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٧٢).

بتحريمها، وقد روى عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون)**[1].

٥- الواجب هو شكر الله ﷻ على ما أنعم به علينا من نعم كثيرة، حيث يقول تعالى: **﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾** [إبراهيم: ٣٤]، كما أنّ الشكر هو وسيلة لبقاء نعم الله ﷻ ودوامها علينا وعدم زوالها، وقد ميز الله ﷻ آل داود عليهم السلام بما أنعم به عليهم وفضلهم على سائر الخلق، فكان واجباً عليهم شكرها وشكره ﷻ على غيرها من النعم، وعن ثابت البناني[2] رحمه الله، قال: **(بلغنا أنّ داود عليه السلام نبي الله ﷻ، جزأ الصلاة على بيوته على نسائه وولده، فلم تكن تأتي ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان قائم من آل داود يصلي، فعمتهم هذه الآية ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾)**[3].

٦- حين يشكر الإنسان نعم ربه ﷻ عليه فإنّ هذا الشكر إنما هو بتوفيق الله ﷻ، وقليل من الناس من يقوم بذلك، ومع قيام الإنسان بذلك فإنه لن يؤدي شكر هذه النعم، وقد وصف الله ﷻ نبيّه نوحا عليه السلام بذلك فقال: **﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾** [الإسراء: ٣]، والشَّكور: هو "المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه؛ لأنّ توفيقه الشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهايته، ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر"[4]، وقد روى البيهقي بسنده عن الوراق[5] منشداً:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً ... عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

وَكَيْفَ وُقُوعُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ[6]

---

[1] صحيح البخاري (٧/ ١٦٧)، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، حديث رقم (٥٩٥٠).

[2] أبو محمد ثابت بن أسلم البُنَانِيُّ، ولد في خلافة معاوية، كان من أئمة العلم والعمل، وهو عند علماء الحديث والجرح والتعديل ثقة مأمون، صحيح الحديث، حدّث عن عدد من الصحابة وغيرهم، وروى له أصحاب الكتب الستة، وقد مات سنة ثلاث وعشرين ومائة ويقال سنة سبع. انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي (٥/٥١٩).

[3] الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: لأبو بكر بن أبي شيبة (٦/ ٣٤٢)، كتاب الفضائل، ما ذكر من أمر داود عليه السلام وتواضعه، حديث رقم (٣١٨٨٩).

[4] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي (٤/ ٢٤٤).

[5] الوَرَّاق: هو محمود بن حسن الوراق: شاعر من بغداد، وأكثر شعره في المواعظ والحكم، وقد روى عنه ابن أبي الدنيا، توفي سنة ٢٢٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٦٧).

[6] شعب الإيمان: للبيهقي (٦/ ٢٣٨)، رقم (٤٠٩٩).

٧- ينبغي على الإنسان ألا يجعل نفسه مستغرقة في النعم التي أنعم الله ﷻ بها عليه، وألّا يلتفت إلى زخارفها وزينتها، وعليه التقليل من الاشتغال بها، فإنّ هذه الأشياء حالِيَّة، ولن تبقى مع الإنسان بعد موته، وإنّ ما ينفع المؤمن بعد موته هو العمل الصالح، فالواجب على الإنسان الإكثار من هذه الأعمال الصالحة.[١]

٨- "التعبير عن الحديد بالإلانة في قوله تعالى: **﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾** ، وعن النحاس بالسيولة في قوله تعالى: **﴿وَأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾**، إشارة إلى اختلاف طبيعتي كلّ من الحديد والنحاس، وأن الحديد يمكن تشكيله بالطرق إذا سخن ولان، أما النحاس فلا ينتفع به حتى ينصهر، ويتحول إلى مادة أقرب ما تكون إلى السوائل"[٢].

٩- ذكر الله ﷻ في حق داود عليه السلام اشتغاله بآلة الحرب، وفي حق سليمان عليه السلام استقرار الأحوال واشتغاله بآلة السلم وهي المحاريب والتماثيل والمساكن والمآكل، وذلك لأنّ سليمان عليه السلام كان ملكاً ابن الملك داوود عليه السلام، وقد ثَبَّت داود عليه السلام ووطَّدَ أركان الملك لابنه سليمان عليه السلام، فقد قتل داوود عليه السلام جالوت والملوك الجبابرة، واستوى داود عليه السلام على الملك، كما غلب الظن على الآخرين عدم قدرتهم على قتال سليمان عليه السلام فتركوا محاربته، وإن حاربه أحد كان زمان الحرب يسيراً لإدراكه إياه بالريح.[٣]

المطلب الثالث: نفي علم الغيب عن الجن

قال تعالى: **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾** [سبأ: ١٤]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾**: فيه وجهان، أظهرهما: أنّ الأرض هذه المعروفة، والمراد بدابة الأرض: الأَرَضَةُ دُوَيْبَّةٌ تأكل الخشب، الثاني: أن الأرض مصدر لقولك: أَرَضَتِ الدابةُ الخشبةَ تَأْرِضُها أرضاً أي: أكلَتْها، فكأنه قيل: دابَّةٌ الأكل.[٤]

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٩٩).

[٢] التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٨٨).

[٣] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٩٨).

[٤] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي (٩/ ١٦٦).

٢- **﴿مِنْسَأَتَهُ﴾**: المنسأة: هي العصا العظيمة التي تكون مع الراعي، يقال لها المنسأة، أخذت من نسأت البعير أي زجرته ليزداد سيره،[١] والسَّاةُ والسِّيَةُ على قراءة منساته: العَصَا وأصلها يَدُ القَوْس العليا والسفلى، يقال: سَاةُ القَوْسِ مثلُ شَاةٍ وسِنَتُها فسمِّيت العصا بذلك على وجه الاستعارة، والمعنى تأكل من طرف عصاه، ووجه بذلك أنه اتَّكأ على عصا خضراء من خروب، والعصا الخضراء متى اتُّكِئَ عليها تصير كالقَوْس في الاعْوِجاج غالباً، وقيل: سمي العصا منسأة لأنها تسوء.[٢]

٣- **﴿خَرَّ﴾**: الخرير: صوت الماء والريح والعقاب إذا حفت، وخر: هوى من أعلى إلى أسفل، وخرّ لوجهه: وقع كذلك، وفي التنزيل: **﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾** [الإسراء: ١٠٩]، وخرّ الحجر: صوت في انحداره، وخرّ البناء: سقط، وخرّ أيضا: مات، وذلك لأنّ الرجل إذا مات خر، ومنه قول حكيم بن حزام ﷺ: **(بايعت رسول الله ﷺ ألا أخر إلا قائماً)**[٣] وقوله تعالى: **﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾** يجوز أن يكون خرّ هنا: وقع، ويجوز أن يكون بمعنى مات.[٤]

ثانياً: وجوه القراءات

قوله تعالى: **﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾**، يقرأ بالهمز وتركه، فالحجة لمن همز: أنه أتى باللفظ على أصل الاشتقاق؛ لأن العصا سميت بذلك؛ لأن الراعي ينسئ بها الإبل عن الحوض أي يؤخرها، والحجة لمن ترك الهمز: أنه أراد التخفيف.[٥]

ثالثاً: وجه المناسبة

بعدما ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة ما يظهر عظمة سيدنا سليمان عليه السلام وفضائله ﷻ عليه كتسخير الريح والجن له، ناسب أن يذكر بعدها أن الله ﷻ قد قضى عليه بالموت وأنه مع

---

[١] لسان العرب: لابن منظور (١/ ١٦٩).

[٢] اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الحنبلي (١٦/ ٣٣).

[٣] سنن النسائي الصغرى (٢/ ٢٠٥)، حديث رقم (١٠٨٤)، قال الألباني: صحيح الإسناد، ومعنى أن لا أخر إلا قائما، أي لا أموت إلا ثابتاً على الإسلام ومتمسكاً به ومواظباً على أحكامه، حيث يقال: يقال قام فلان على الشيء إذا ثبت عليه وتمسك به، وإن من مات فقد خر وسقط. انظر: حاشية السندي على سنن النسائي: للسيوطي (٢٠٢/٢).

[٤] المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده المرسي (٤/ ٥٠٨).

[٥] الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه (ص: ٢٩٣).

هذه النعم لن ينجو منه، تنبيهاً للخلق على أنّ الموت لابدّ منه، وأنه لو نجا منه أحد لكان سليمان عليه السلام أولى بالنجاة منه.[1]

رابعاً: المعنى العام

لمّا حكمنا على سليمان عليه السلام بالموت، وأنفذناه فيه، وأوقعناه عليه، ما دَلَّ الجن الذين كانوا في خدمته عَلى مَوْتِهِ بعد أن مات وظل واقفا متكئا على عصاه إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ حين أكلت شيئا من عصاه التي كان متكئاً عليها، فسقط واقعا بعد أن كان واقفا، فلما سقط على الأرض علمت الجن وظهر لهم ظهورا جليا بعد موت سليمان عليه السلام أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ كما زعم بعضهم، لعلموا بموته، ولمّا استمروا في الأعمال الشاقة التي كلفهم بها سليمان عليه السلام واستعملهم فيها تلك المدة بعد موته.[2]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- الجنّ لا يعلمون الغيب، وإن كانوا يعلمون بعض الأشياء الظاهرة الخفية على الإنسان، إذ لو كانوا يعلمونه لما بقوا في الأعمال الشاقة التي كلفهم بها سيدنا سليمان عليه السلام ظانِّين أنه لم يمت، كما لا يجوز الاعتقاد بأنّ أحداً يعلم الغيب غير الله عز وجل، سواء كان من الجن أو من غيره، وقد قال تعالى : **﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾** [النمل: ٦٥] ، بل إنّ النبي ﷺ وهو أفضل الخلق وأشرفهم لا يعلم الغيب، فكيف بمن دونه، حيث يقول تعالى: **﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى﴾** [الأنعام: ٥٠] ، فمن ادَّعى الغيب أو اعتقد أنّ أحداً يعلم الغيب كالجنّ فإنه يكون قد كذّب الله عز وجل فيما أخبر به، وفي كلاهما كفر بالله تعالى.

٢- بعدما قُبِضَ سيدنا سليمان عليه السلام وبقي مدة على هيئته، كان الشياطين يقومون بما أمرهم به ظانِّين أنه حيّ، فلما خرّ وعلموا بموته، رجعوا إلى أعمالهم الخبيثة، وهكذا الملك الذي يقوم ملكه باعتماده على الغير، ويكون استمساكه بعصا، ويقوم ملكه على الشدة والقوة والترهيب، فإنه إذا سقط سقط ملكه بسقوطه، وإن من قام بغيره زال بزواله.[3]

---

[1] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ١٩٩).

[2] انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٢٧٧).

[3] انظر: لطائف الإشارات: تفسير القشيري (٣/ ١٨٠).

٣- سيدنا سليمان عليه السلام كان يستعمل الجنّ في أمور ومهام شاقّة وصعبة، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾، كما أنه "يدل على أن الجن يتعب من العمل ويطرأ عليه ما يطرأ على كل حي من تعب وإجهاد"[١].

٤- المؤمنون من الجن لم يكونوا ممن سخرهم الله ﷻ لسليمان عليه السلام؛ لأن المؤمن لا يكون في زمان النبي في العذاب المهين.[٢]

٥- لم يكن يقترب الجن من سيدنا سليمان عليه السلام لهيبته وسلطانه على الناس، أو لَمَّا كان يكثر العبادة لله ﷻ والخضوع له فيتوحد ويتفرد بنفسه،[٣] ومن هذا يتضح لنا أنَّ من الناس من يجب أن يوقر لقربه من الله ﷻ أو لسلطانه على الناس، وأيضاً يظهر لنا أنَّ السلطان له دور كبير في إخضاع الناس وطاعتهم له واستجابتهم لما يريد.

٦- لم يكن يشغل الأنبياء عليهم السلام الملك وفضل الدنيا الذي أعطاه الله ﷻ لهم، عن القيام بأمره ﷻ وتبليغ الرسالة للناس، مع أنّ هذه الأشياء شاغلة لغيرهم من الخلق عن القيام بأمور الله ﷻ وتبليغ الدعوة.[٤]

٧- من كانت حجته واهية فإنها ستبطل بمرور الزمن، وسيظهر ما يبطلها، فإنّ الجنّ لمّا ادّعوا علم الغيب أبطل الله ﷻ قولهم وأظهر الصواب، فمهما طال الباطل وعلا، فإنه ولابدّ أن يظهر الحق، كما أنّ مدّعي الباطل سيكون محطّ سخرية بادعائه، يقول الزمخشري بعدما تبيَّن الجنّ أنهم لا يعلمون الغيب: "أو علم المدّعون علم الغيب منهم عجزهم، وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم، وإنما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدّعى الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك: هل تبينت أنك مبطل"[٥].

٨- "كل دولة في الدنيا تحول، وكل عز فيها عن قريب يزول، فالعاقل من صرف دولته في طاعة مولاه، وبذل جهده في محبته ورضاه، فإن كانت قسمته في الأغنياء كان من الشاكرين، وإن كانت في الفقراء كان من الصابرين، والفقير الصابر أحظى من الغني الشاكر... والغني

---

[١] تفسير الشعراوي (١٢٢٨٦/٢٠).

[٢] انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٢٠٠).

[٣] انظر: تأويلات أهل السنة: للماتريدي (٨/ ٤٣٥).

[٤] انظر: المرجع السابق (٨/ ٤٣٥).

[٥] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٧٣).

الشاكر هو الذي يعطي ولا يبالي، ويتواضع للكبير والصغير، والوجيه والحقير، والفقير الصابر هو الذي يغتبط بفقره، ويكتمه عن غيره"[1]، فالإنسان مهما أوتي من الملك فإنه في النهاية مصيره الموت.

[1] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: للفاسي (٤/ ٤٨٣).

المبحث الرابع

مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١٥-٢٣)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: نعم الله ﷻ على أهل سبأ في مساكنهم ومعاقبتهم لكفرهم بها

المطلب الثاني: نعم الله ﷻ على أهل سبأ في أسفارهم وما حلَّ بهم لجحودهم

المطلب الثالث: اتباع قوم سبأ لوساوس الشيطان سبب هلاكهم

المطلب الرابع: الشفاعة يوم القيامة مرهونة بإذن الله ﷻ

المبحث الرابع

مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١٥-٢٣)

المطلب الأول: نعم الله ﷻ على أهل سبأ في مساكنهم ومعاقبتهم لكفرهم بها

قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥ -١٧]**

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- **﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾**: العرم جمع عَرِمة، وهي سد يعترض به الوادي، بمعنى أنه يمسك الماء، وقيل العرم: المُسَنَّاة، أو هي الأحباس تبنى في أوساط الأودية، وقيل العرم: الجُرَذُ الذَّكَرُ، وهو الخُلْدُ، وقيل العرم: المطر الشديد الذي لا يطاق، وقيل: اسم واد باليمن، وبكلٍّ فُسِّر قوله تعالى: **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾** قيل: أضافه إلى المُسَنَّاةِ أَو السَّدِّ، أو الفأر الذي بَثَقَ السِّكْرَ عليهم، ونُسِبَ إِلَيْهِ السَّيْلُ، من حَيْثُ إِنَّه هُوَ الَّذِي ثَقَبَ المُسَنَّاةَ،[١] يقول ابن فارس: "فأما قولهم إن العرم: الجرذ الذكر فمما لا معنى له ولا يُعَرَّج على مثله"[٢].

٢- **﴿خَمْطٍ﴾**: الخمط: الحَمْل القليل من كل شجرة، وقيل: شجر مثل السدر، وحمله كالتوت، وقيل: هو ضرب من الأراك له حمل يؤكل، وقيل: هو ثمر الأراك، وقيل: شجر له شوك، وقيل: الخمط، هنا: شجر قاتل، أو سم قاتل،[٣] و"يقال لكل نَبْت قد أَخَذ طَعْماً من مرارة حتى لا يمكن أكله خَمْط"[٤].

٣- **﴿وَأَثْلٍ﴾**: الأثل: هو شجر يشبه الطَّرْفاء إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عُوداً تسوى به الأَقداح الصُّفْر الْجِيَادُ، والأثل: أصول غليظة يسوى منها الأبواب وغيرها وَوَرَقُهُ عَبْلٌ كَوَرَقِ الطَّرْفَاءِ، وقد كان منبر رسول الله ﷺ من أثل الغابة، فقد سُئِل سهل بن سعد ﷺ: **(من أي**

---

[١] تاج العروس: للزبيدي (٣٣/ ٧٩).

[٢] مقاييس اللغة: لابن فارس (٤/ ٢٩٣).

[٣] المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده المرسي (٥/ ١٣١).

[٤] معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (٤/ ٢٤٩).

شيء المنبر؟ فقال: ما بقي بالناس أعلم مني، هو من أثل الغابة[1] **عمله فلان مولى فلانة لرسول الله ﷺ...)**[2]، وهو طُوَال في السماء مستطيل الخشب وخشبه جيد يُحْمَلُ من القرى فتبنى عليه بيوت الْمَدَرِ، وورقه هَدَبٌ[3] طُوَال دُقَاق وليس له شوك، ومنه تصنع القصاع والجفان، وله ثَمَرَةٌ حمراء لا تؤكل.[4]

٤- **﴿سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾**: السدر من الشجر نوعان: أحدهما سدر بري لا ينتفع بثمره، وَلَا يصلُح ورقُه للغَسول، وَرُبمَا خُبِط ورقُه للرّاعية، وَله ثمَر عَفِصٌ[5] لَا يُؤْكَل، وهو ذو أشواك صغير الثمار، والعرب تسميه الضّال، وهو من طعام أهل النار، والنوع الثاني من السدر ينبت على الماء، وثمرُه النَّبِق، ورَقُه غَسولُ، يُشبه شجر العُنّاب، لَهُ سُلاّء كسُلاّئه وورَقٌ كوَرَقِه، إلّا أنّ ثمر العناب أحمر حلو، وثمرُ السِّدْر أصفَرُ مُزّ يتفكَّه بِهِ، وهو من طعام أهل الجنّة، قال تعالى: **﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾** [الواقعة: ٢٨].[6]

ثانياً: وجوه البلاغة

١ – الطباق بين لفظ **﴿يَمِينِ﴾** و **﴿شِمَالِ﴾**.[7]

---

[1] الغابة: هي أرض على تسعة أميال من المدينة، كانت إبل النبي ﷺ مقيمة بها للمرعى، وبها وقعت قصة العرنيين الذي أغاروا على سرحه، وقيل بينها وبين المدينة أربعة أميال، وقيل: الغابة بريد من المدينة من طريق الشام، وقال البعض: أن كل شجر ملتف هو غابة. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين العيني (٦/ ٢١٦).

[2] صحيح البخاري (١/ ٨٥)، كتاب الصلاة، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب، حديث رقم (٣٧٧).

[3] الهَدَبُ: مَا ليْس بِوَرَقٍ، ويقُوم مَقَامَهِ، أَو كُلّ وَرَق لَيْس لَهُ عَرْضٌ. انظر: تاج العروس: للزبيدي (٤/ ٣٨٢).

[4] لسان العرب: لابن منظور (١١/ ١٠).

[5] العَفْصُ: مَعْرُوفٌ يَقَعُ عَلَى الشَّجَرِ وَعَلَى الثَّمَرِ، والعَفْصُ: الَّذِي يُتَّخذُ مِنْهُ الحِبْرُ، مولَّد وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ أَهل الْبَادِيَةِ، وقيل إنه لَيْسَ مِنْ نَبَاتِ أَرض الْعَرَبِ، وَمِنْهُ اشْتُقَّ طَعَامٌ عَفِصٌ، وَطَعَامٌ عَفِصٌ: بَشِعٌ وَفِيهِ عُفُوصةٌ ومَرارَةٌ وتقبُّضٌ يعْسُر ابتلاعُه. انظر: لسان العرب (٥٤/٧).

[6] انظر: تهذيب اللغة: للأزهري (١٢/ ٢٤٧)، معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (١٠٤٩/٢).

[7] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٥٠٩).

٢- تسمية البدل جنّتين في قوله: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾، إنما هو من باب المشاكلة[١]، وفيه ضرب من التهكم، إذ إنّ الأرض التي فيها أشجار الأثل والخمط لا تسمى جنة.[٢]

ثالثاً: وجوه القراءات

١- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾، قُرِأت ﴿لِسَبَإٍ﴾ بالإجراء (بالجر) والتنوين، وبترك الإجراء والفتح من غير تنوين ﴿لِسَبَأَ﴾، وبإسكان الهمزة ﴿لِسَبَأْ﴾، والحجة لمن أجراه أنه جعله اسم جبل أو اسم أب للقبيلة، والحجة لمن لم يُجْرِه: أنه جعله اسم أرض، أو امرأة فثقل بالتعريف والتأنيث، والحجة لمن أسكن الهمزة: أنه يقول: هذا اسم مؤنث، وهو أثقل من المذكّر، ومعرفة، وهو أثقل من النكرة، ومهموز، وهو أثقل من المرسل، فلما اجتمع في الاسم ما ذكرناه من الثِّقل خفّف بالإسكان.[٣]

٢- قوله تعالى: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾، قرأ حفص وحمزة ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ موحدًا، بفتح الكاف، وقرأ الكسائي ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ موحدًا، بكسر الكاف، وقرأ الباقون: ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ جماعةً، و﴿مَسْكَنِهِمْ﴾، ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ لغتان، وكسر الكاف، للموضع الذى يسكن، وَمَنْ قَرَأَ ﴿مَسَاكِنِهِمْ﴾ فهو جمع مسكن، ويقال للمساكن الكثيرة: مسكَن، ومسكِن.[٤]

٣- قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ أجمع القراء فيه على التنوين إلا (أبا عمرو) فإنه أضاف فقرأ: ﴿أُكْلِ خَمْطٍ﴾، والحجة لمن نوّن: أنه جعل (الخمط) و (الأثل) بدلاً من الأكل، وهو يؤدي نفس المعنى، لذلك كرهوا إضافته، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، والحجة لأبي عمرو: أنه جعل الأكل أشياء كثيرة، و(الخمط) جنساً من المأكولات، فأضاف كما يضيف الأنواع إلى الأجناس، أمّا (أكل) فيقرأ بضم الكاف على الأصل وإسكانها تخفيفا.[٥]

---

[١] المشاكلة: هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، فالجزاء على السيئة في الحقيقة ليس بسيئة، وإنما هو عقوبة يراد بها الإصلاح، فالمعنى حينئذ: وجزاء سيئة عقوبة تعادلها، فتعبيره عن العقوبة بلفظ ﴿سَيِّئَةٌ﴾ مشاكلة؛ لوقوعه في صحبة ذلك اللفظ. انظر: المنهاج الواضح للبلاغة: لحامد عوني (١/ ١٦٥).

[٢] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٧٦).

[٣] الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه (ص: ٢٧٠).

[٤] معاني القراءات: للأزهري (٢/ ٢٩١).

[٥] الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه (ص: ٢٩٣).

٤- قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: (نُجازِي) بالنون، و(الكفورَ) نصبًا، وقرأ الباقون وعاصم في رواية أبي بكر (يُجَازَى) بالياء، و(الكفورُ) رفعًا، وحجة من قرأ نجازي قوله ﷻ: جزيناهم، ومن قال: يجازى، فالمجازي: هو الله ﷻ وإن بني الفعل للمفعول به.[١]

رابعاً: وجه المناسبة

بعد بيان الله ﷻ حال الشاكرين لنعمه المنيبين إليه، بذكر داود وسليمان ﷺ، أعقب ذلك بذكر ما حل بالجاحدين والكافرين بنعمه، المعرضين عن ذكره، موعظةً لقريش وتحذيراً لمن يكفر بنعم الله ﷻ عليه.[٢]

خامساً: المعنى العام

لقد كان لأهل سبأ في مسكنهم دلالةً على قدرة الله ﷻ، ففيها بستانان عن يمين وشمال، وقيل لهم: كلوا من رزق ربكم، واشكروا على نعمه عليكم، فإن بلدتكم كريمة التربة، وربكم غفورٌ لكم، فأعرضوا عن شكر الله ﷻ، فأرسل عليهم السيل الجارف الشديد الذي خرَّب السد وأغرق البساتين، وأبدلهم بجنتيهم المثمرتين جنتين ذواتَيْ ثمر مر، وشجر لا ثمر له، وقليل من الشجر الكثير الشوك، وهذا الجزاء والتبديل بسبب كفرهم بنعم الله ﷻ عليهم، وعدم شكرهم نِعَمَ الله ﷻ، وما يُعاقَب بهذا العقاب الشديد إلا المبالغ في الكفر بالله ﷻ.[٣]

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- كان لقوم سبأ بساتين مثمرة يانعة، وخيرات وفيرة، وثمار كثيرة، ومناخ لطيف وبُعد عن المؤذيات، فلمّا أعرضوا أرسل الله ﷻ عليهم سيل العرم فتصدعت السدود وأفسدت المياه أرضهم ومزارعهم، ودمرت ديارهم ومساكنهم، فمزّقتهم وفرّقتهم، وأبدلهم الله ﷻ بهذه البساتين الخضراء المثمرة التي كانوا يعيشون فيها، بساتين أخرى وثماراً لا تؤكل.[٤]

---

[١] الحجة للقراء السبعة: لأبو علي الفارسيّ (٦/ ١٧).

[٢] انظر: البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٥٣٣).

[٣] انظر: التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير (١/ ٤٣٠).

[٤] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١٧٠).

٢- في ذكر هاتين الجنتين عبرة وعظة، وتذكير بقدرته ﷻ وعظمته وسلطانه؛ لعلّها تحملهم على شكر ربهم وحمده والثناء عليه جزاء هذه النعم، أو تحملهم على الخوف من عقابه، وقوم سبأ لم يكن لهم حاجةً لأنْ يعتبروا ويتعظوا بغيرهم، أو بمن سبقهم وتقدّم عنهم، بل إنّ عبرتهم في أنفسهم أكثر من غيرهم، لأنّهم عاينوا هذه النعم، ثم تبدّلت عنهم، أمّا ما تقدم قبلهم فقد وصلهم خبرهم بالبلاغ والسماع، ولا شك أنّ المعاينة والمشاهدة أقوى من السماع.[١]

٣- كان على أهل سبأ فقط شكر هذه النعم لتستمر عليهم، وليزيدهم ﷻ من هذه النعم ومن رغد العيش وطيب الحياة، لكنهم أعرضوا وكفروا بهذه النعم ولم يشكروها فغير الله ﷻ أحوالهم، وفي هذا بيان لنا أن على الإنسان عمل الأيسر والأسهل؛ كي لا يضطر إلى الوقوع فيما هو أسوأ وأشد من ذلك، ولا ريب أن شكر النعمة أيسر على الإنسان وأهون عليه من الإعراض عنها والكفر بها فتزول عنه.

٤- على الإنسان أن يستعمل نعم الله ﷻ عليه فيما يرضيه ﷻ، ولا بأس بأن يتنعم الإنسان بما أنعم الله ﷻ عليه، لكن عليه ألا يغترّ بهذه النعم، وعليه أن يتذكر دائماً بأنّ ما هو فيه نعم إنما هو من عند الله ﷻ؛ كي لا يوصله ذلك إلى أن يطغى، فينسى شكرَه ﷻ.

٥- إن مغفرة الرب مع طيب البلدة على تلك الحالة لم تكن إلا لقوم سبأ؛ لذا فإن الله ﷻ قد خصصهم بالمغفرة مع أنها لجميع الناس، وفي الجمع بينهما إشارة إلى أن الرزق قد يكون فيه حرام.[٢]

٦- ما دام العباد مداومين على الاستغفار والتوبة فهذا مانع من عقاب الله ﷻ لهم، بإهلاكهم أو بسلب نعمه عنهم، وإن الله ﷻ يمهل عباده ليتوبوا قبل أن يعاقبهم.

٧- من تمام نعم الله ﷻ على أهل سبأ بجانب كثرة الخيرات، أن المتفضل بها رب غفور، يغفر الذنوب، ويتجاوز عن السيئات، وبهذا تطيب النعمة، ويتّسع للإنسان مجال التمتع بها، على خلاف ما لو كان ربّ هذه النعم، يحاسب على كل شيء، ويعاقب أصحابها بكل ما اقترفوا، فإن هذا الأمر يجعل الإنسان على حذر متصل وخوف دائم، فلا يهنأ بهذه النعم،[٣] وفي هذا حث لنا لأن نتجاوز عن زلات الآخرين وهفواتهم.

---

[١] انظر: تأويلات أهل السنة: للماتريدي (٨/ ٤٣٦).

[٢] انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: للقنوجي (١١/ ١٧٩).

[٣] انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٩٨).

٨- ما عوقب أهل سبأ إلا بما صدر عنهم، إذ إن الجزاء من جنس العمل، أي أن عقابه كان لأنهم أعرضوا عن نعم الله ﷻ وكفروا بها، فقد قال تعالى: **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾** [إبراهيم: ٧]، ولعل ما نراه اليوم من واقع الأمة الإسلامية وما حل بها من التفرق والتشتت إنما هو جزاء إعراضهم عن أوامره ﷻ، وكفرهم بنعمه عليهم، وإن هذه سنة الله ﷻ في خلقه لا تتغير ولا تتبدل إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

٩- فيما حصل لقوم سبأ موعظة للكافرين والمشركين، فقد أنعم الله ﷻ عليهم بنعم كثيرة كما أنعم على أهل سبأ، فكان عليهم أن يؤمنوا بهذا النبي الذي جاءهم، حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب قوم سبأ، يقول السعدي: " ومن نعم الله ﷻ ولطفه بالناس عموماً، وبالعرب خصوصاً، أنه قصّ في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة"[١].

١٠- بطر النعمة يؤدي إلى زوالها وتحويلها إلى نقمة، والله ﷻ حين يجازي الجاحدين بذلك فإنما هو جزاء عادل لجحودهم لهذه النعم وكفرهم بها، يقول القشيري: "من الناس من يكون في رغد من الحال، واتصال من التوفيق، وطرب من القلب، ومساعدة من الوقت، فيرتكب زلّة أو يسيء أدباً أو يتبع شهوة، ولا يعرف قدر ما هو به، فيتغير عليه الحال فلا وقت ولا حال، ولا طرب ولا وصال يظلم عليه النهار وقد كانت لياليه مضيئة"[٢].

١١- من مظاهر قدرته ﷻ أنّه يُوَجّه الشيء للحياة فيُحيي، وللهلاك فيُهلك، فقد جعل الله ﷻ من الماء كل شيء حيّ، لكنه إذا أراد أن يجعله وسيلة إهلاك أهلك، وقد أهلك قوم سبأ حين انهار السّد فسال الماء وأغرقهم، كما أهلك من قبل قوم نوح وفرعون.[٣]

١٢- بعد أن يسيل الماء على وجه الأرض وتتشرب الأرض منه على قدر حاجته، يسيل ويذهب إلى مكان آخر، ويعلمنا الله ﷻ من ذلك أن نبحث عن مصارف الماء حتى لا يغرقنا، قبل أن نبحث عن مصادره، وقد قال تعالى: **﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾** [هود: ٤٤]، فالأمر الأول للأرض بابتلاع الماء وتشربه، ثم للسماء بالإمساك عن إنزاله.[٤]

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧٧).

[٢] لطائف الإشارات (٣/ ١٨٠).

[٣] انظر: تفسير الشعراوي (١٢٢٩٩/٢٠).

[٤] انظر: المرجع السابق (١٢٣٠٠/٢٠).

١٣- تخصيص أهل الكفر بالجزاء لأنّه مكافئ لأعمالهم، فقد وعد الله ﷻ المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته مثلها مكافأة له على جرمه، فهذا العقاب الذي حصل لهم إنّما هو جزاء كفرهم، ومثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكفار، أما المؤمنين فلهم من الله ﷻ التفضل، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف، فالمكافأة لأهل الكبائر والكفر، والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل.[١]

المطلب الثاني: نعم الله ﷻ على أهل سبأ في أسفارهم وما حلّ بهم لجحودهم

قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٨-١٩]**

أولاً: وجوه البلاغة

١ - جناس الاشتقاق في: **﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السير سِيرُواْ﴾** فكلمة **﴿سِيرُواْ﴾** مشتقة من السير.[٢]

٢- في لفظ (في) في قوله تعالى: **﴿سِيرُوا فِيهَا﴾** إشعار بشدة القرب حتى كأنهم لم يخرجوا من نفس القرى،[٣] يقول ابن عاشور: "وضمير فيها عائد إلى القرى، والظرفية المستفادة من حرف الظرف تخييل لمكنية،[٤] شبهت القرى لشدة تقاربها بالظرف وحذف المشبه به ورمز إليه بحرف الظرفية، والمعنى: سيروا بينها"[٥].

٣- تقديم الليالي على الأيام لأنها تكون سابقة للأيام، كما أنها مظنة الخوف، وللاهتمام بها في مقام الامتنان؛ لأن المسافرين أحوج إلى الأمن في الليل منهم إليه في النهار؛ لأن الليل تعترضهم فيه القطاع والسباع، وفي الإتيان بهما بلفظ النكرة تنبيهاً على قصر أسفارهم.[٦]

---

[١] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٣٨٤).

[٢] صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٥٠٩).

[٣] فتح البيان في مقاصد القرآن: للقنوجي (١١/ ١٨٣).

[٤] يقصد ابن عاشور بالتخييل أي: الخيال والتصوير الفني الموجود في الآية، ومكنية أي: استعارة مكنية، حيث أفاد حرف الجر (في) في قوله تعالى: **﴿سِيرُوا فِيهَا﴾** استعارة مكنية، فقد حُذف الظرف (بينها) واستبدل بالظرف (فيها) للدلالة على قرب تلك القرى من بعضها وكأنها قرية واحدة.

[٥] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٧٥).

[٦] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٣٠٤)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (١٧٦/٢٢)، فتح البيان في مقاصد القرآن: للقنوجي (١١/ ١٨٣).

٤ – المبالغة بذكر صيغ المبالغة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، فإن فعَّال وفعيل وفعول من صيغ المبالغة.[١]

٥ – مراعاة الفواصل لما لها من وقع حسن على السمع مثل: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾...﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.[٢]

ثانياً: وجوه القراءات

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو (بَعِّدْ) بغير ألف، وكذلك روى هشام بن عمار لابن عامر، وروى غيره عنه (بَاعِدْ)، وقرأ يعقوب الحضرمي (رَبُّنَا بَاعَدَ) بالنصب، وقرأ الباقون (رَبَّنَا بَاعِدْ) بألفٍ، ومَنْ قَرَأَ (بَاعِدْ) و (بَعِّدْ) فالمعنى واحد، والتقدير يا ربَّنَا بَاعِد، على الدعاء، وَمَنْ قَرَأَ (ربُّنا بَاعَدَ) فهو فعل ماض، وليس بدعاء، وقد يكون (فَاعَلَ) من واحد، كما يقال: عاقَبَه الله، وعافاه.[٣]

ثالثاً: وجه المناسبة

بعد أن بيَّن الله ﷻ ما أنعم به على قوم سبأ في مساكنهم وبساتينهم وثمارهم، ثمّ كفرانهم بها، وما لحق بهم من الخراب والدمار، وتبديل هذه الثمار، ذكر لنا ما أنعم به عليهم في أسفارهم ومسايرهم ومتاجرهم، ثم جحودهم بها، ثم ما حلَّ بهم بسبب ذلك.[٤]

رابعاً: المعنى العام

أنعم الله ﷻ على أهل سبأ بنعم أخرى غير التي ذكرناها في الآيات السابقة، فقد جعل بين مسكنهم وبين القرى المباركة في الشام قرى متقاربة ومحطات متعاقبة ذات مسافات متناسبة يظهر بعضها لبعض، وقيل لهم سيروا فيها ليالي وأياماً متمتعين بالأمن، لكنهم بطروا النعمة والراحة وتمنوا طول الأسفار وتباعد الديار، فظلموا أنفسهم بطلبهم ذلك، فباعد الله ﷻ بين أسفارهم، وشتتهم في البلاد، وصيَّرهم عبرًا وأحاديث لمن يأتي بعدهم، وفيما وقع لهم لعبرة لكل صابر على المصائب، شكور لنعم الله ﷻ.[٥]

---

[١] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٥٠٩).
[٢] المرجع السابق (٢/ ٥١٠).
[٣] معاني القراءات: للأزهري (٢/ ٢٩٣).
[٤] انظر: تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٧٣).
[٥] انظر: التفسير الوسيط: للزحيلي (٣/ ٢١٠٣).

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- مباركة الله ﷻ لبلاد الشام، فقد أنعم ﷻعلى قوم سبأ بأن أصلح لهم البلاد وقدر فيها المسير إلى القرى التي بارك فيها، فيسَّر لهم السفر، وقرَّب لهم المسافات، فقد كانت أسفارهم قصيرة، فلا يحتاجون لما يحتاجه ويطلبه المسافر، وكانوا كلما مشوا مرحلة وجدوا مكاناً للراحة والتزود، وقد كانوا آمنين لا يخافون الناس أو الجوع والعطش، فقد روى الحسن ﷺ قال: **(كان فيما بين اليمن إلى الشام قرى متواصلة والقرى التي باركنا فيها الشام، كان الرجل يغدو فيقبل في القرية، ثم يروح فيبيت في القرية الأخرى وكانت المرأة تخرج وزنبيلها[١]على رأسها، فما تبلغ حتى يمتلئ من كل الثمار)**[٢].

٢- لما علم الله ﷻ احتياج أهل سبأ إلى التجارة والكسب، هيأ لهم من الأسباب ما يمكنهم من القيام بذلك،[٣] وعلى الإنسان أن يهيئ الأسباب التي تمكنه من ذلك، يقول ابن عاشور: "من أجل ذلك كله كان حقاً على ولاة أمور الأمة أن يسعوا جهدهم في تأمين البلاد وحراسة السبل وتيسير الأسفار وتقرير الأمن في سائر نواحي البلاد جليلها وصغيرها بمختلف الوسائل، وكان ذلك من أهم ما تنفق فيه أموال المسلمين وما يبذل فيه أهل الخير من الموسرين أموالهم عوناً على ذلك، وذلك من رحمة أهل الأرض المشمولة"[٤].

٣- الأمن له دور أساس في وجود العمران، إذ إنّ العمران لا يتمّ مع عدم وجود الأمن،[٥] يقول الرازي: "وقوله: آمنين إشارة إلى كثرة العمارة، فإن خوف قطاع الطريق والانقطاع عن الرقيق لا يكون في مثل هذه الأماكن"[٦].

٤- الأمن من أفضل نعم الله ﷻ على عباده، فهو يعمل على تيسير تبادل المنفعة، وقد بيَّن لنا هذا ربنا حين أنعم على قريش وامتن عليهم بأن أمنهم وهذا ما مكنهم من القيام بالتجارة دون أن يجدوا ما يخيفهم، أو يعترض طريقهم، حيث قال تعالى: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ**

---

[١] الزنْبِيل: بفتح الزاي وكسرها، قُفّة كبيرة. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عمر (٢/ ٩٩٩).

[٢] تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٧)، حديث رقم (١٧٨٩٥).

[٣] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي (ص: ٦٧٧).

[٤] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٨١).

[٥] انظر: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: لابن باديس الصنهاجي (ص: ٣٩٩).

[٦] مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٢٠٢)

الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤] وقال تعالى: **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾** [البقرة: ١٢٥]، ولعل الناس في أيامنا هذه تدرك قيمة الأمن بعدما عايشوا ذهاب هذا الأمن فأصبح الواحد منا لا يأمن حتى في بلده، فضلاً عن أن يكون آمناً في السفر أو التنقل من مكان إلى آخر.

٥- طلب أهل سبأ أن يباعد ربهم بين القرى في المسافات، سواء كان طلبهم لذلك بلسان المقال، أو أنّه نتيجة لأعمالهم، إذ إنّ الجزاء يترتب على الفعل ويرتبط به، وهذا يدلُّ على بطر القوم لنعمة الله ﷻ عليهم وإحسانه إليهم، وأنهم سئموا وملوا من رغد العيش وكثرة ما أنعم الله ﷻ به عليهم، وطلبوا التعب والكدح والمشقة، وأنهم جهلوا مقدار هذه النعم والعافية، وآثروا الذي هو أدنى على ما هو خير، وقد أعطاهم الله ﷻ ما رغبوا فيه من المسألة، وعجل لهم الإجابة، فدمر تلك القرى وذهب بتلك النعم، كما عجل للقائلين في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [الأنفال:٣٢][1]، وهذا يدعونا إلى الوسطية في كل شؤون حياتنا، والابتعاد عن التشدد، فقد شدّد أهل سبأ على أنفسهم فشدد الله عليهم، وإن ديننا دين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

٦- نظرة أهل سبأ إلى نعم الله ﷻ عليهم هي نظرة جشع وطمع، فبمطالبتهم بالمباعدة في الأسفار لن يستطيع السفر إلا من يملك القدرة على ذلك، وهم يريدون حرمان الفقراء وغير القادرين من السفر من التجارة معهم، وقد ظلموا أنفسهم بذلك حين أرادوا أن يحتكروا هذه التجارة، وإن من مكملات الإيمان أن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه، وقد تمنى هؤلاء حرمان غيرهم من النعمة والاستئثار بها لأنفسهم،[2] وبذا يتبيّن لنا أن الطمع يوقع في المعصية ومخالفة أوامر الله ﷻ، وهذا يؤدي إلى زوال النعم.

٧- أهلك الله ﷻ قوم سبأ وصاروا عبرة لمن بعدهم، بظلمهم لأنفسهم وكفرهم بنعم الله ﷻ، حتى أصبح الناس يتحدثون بشأنهم، ويروون قصصهم وهم مستغربون ومتعجبون من فعلهم، وينظرون لعاقبتهم، بتفرقهم وتمزقهم في البلاد، بعد أن كانوا مجتمعين، وما كانوا فيه من نعيم ثم أذهب الله ﷻ عنهم هذا النعيم ، حتى ضرب بهم المثل فقيل: تفرقوا أيدي سبأ.

---

[1] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٢٠/ ٣٨٩).

[2] انظر: تفسير الشعراوي (١٢٣٠٤/٢٠).

٨- في تمزيق أهل سبأ وما حلَّ بهم، وما ذكر الله ﷻ من أحوالهم وأفعالهم لعبرة وعظة لمن صبر على طاعة الله ﷻ وشكره على نعمه،[١] وأن حق الله ﷻ على عباده أن يشكروه على نعمه إذا أنعم عليهم، فإن جحود النعمة وعدم شكرها سبب لزوالها، ، يقول صاحب الحكم العطائية: "من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها"[٢]، وقد قال تعالى: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** [النحل: ١١٢].

٩- "في قوله: **﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾** دلالة خلق الأفعال؛ لأنه أخبر أنه جعل بينهم وبين القرى المباركة قرى ظاهرة، والقرى: ما اتخذها أهلها، ثم أخبر أنه جعل ذلك، والجعل منه خلق؛ دل أنه خلق أفعال العباد، وأخبر أنه قدر السير فيها، والسير هو فعل العباد، والتقدير هو الخلق أيضًا؛ دل أنه خلق سيرهم، وخلق اتخاذهم القرى، وذلك (رداً) على المعتزلة؛ لإنكارهم خلق أفعال العباد"[٣].

١٠- ما ذكره الله ﷻ لنا وقصه علينا من قصة سبأ ليبين لنا إحسان المحسن وثوابه، وإساءة المسيء وعقوبته، وليبتعد الناس عن المعاصي ويرغبوا في الطاعة، ويسارعوا إلى الأعمال الصالحة، ويزدجروا عما نهى الله ﷻ عنه، فيحذروا ويخافوا أن يصيبهم وأن تحلّ بهم العقوبة كما حلّت بقوم سبأ وغيرهم ممن بيّن القرآن أخبارهم، فهذه مواعظ على العاقل أن يتنبه لها ولا يغفل عنها.[٤]

١١- التحصين الحقيقي للأشياء يكون بتحقيق الإيمان والعدل والشكر لله ﷻ، وأن الأشياء مهما كانت عظيمة ومهما كبرت فلن تبقى خالدة، ولنا في قصص الذين سبقونا عبرة وموعظة، وقد حصل هذا مع قارون حين قال إنما أوتيت هذا المال بعلمي وقدرتي وفهم مني، وفي هذا بيان لنا أنه لا يجوز أن نغتر بعمارة البلاد، أو تطغينا النعم، فنظن أنه لن يستطيع أن يدمرها أو يخربها أحد، يقول الرازي في طلب قوم سبأ بالمباعدة بين الأسفار: "ويحتمل أن يكون ذلك لفساد

---

[١] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١٧١).

[٢] ابن عطاء الله السكندري (ص ١١).

[٣] تأويلات أهل السنة: للماتريدي (٨/ ٤٣٩).

[٤] انظر: الهداية الى بلوغ النهاية: لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٩١٥).

اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يقدر، كما يقول القائل لغيره: اضربني إشارة إلى أنّه لا يقدر عليه"[1].

المطلب الثالث: اتباع قوم سبأ لوساوس الشيطان سبب هلاكهم

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾ [سبأ:٢٠-٢١]

أولاً: المعاني اللغوية

﴿**إِبْلِيسُ**﴾ بلس: أبلس الرجل: قطع به وسكت، وأبلس من رحمة الله، أي: يئس وندم وانقطع رجاؤه، ومنه سمي إبليس، فالمبلس: اليائس، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ [الروم: ١٢]، وإبليس لعنه الله: مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله أي أويس، وأبلسوا أي سكتوا، والمبلس: الساكت من الحزن أو الخوف، لذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب: قد أبلس، ويقال: أبلس فلان إذا سكت غماً، قال تعالى: ﴿**أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٤] ومنه الحديث: **(وأبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة)**[2]، والإبلاس: الحيرة؛ ومنه الحديث: **(...ألم تر الجن وإبلاسها؟)**[3] أي: تحيرها ودهشها.[4]

ثانياً: وجوه البلاغة

١- في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ**﴾ إيجاز حذف؛ لأن صدق الظن المفرع عنه اتباعهم، يقتضي أنه دعاهم إلى شيء ظاناً استجابة دعوته إياهم.[5]

---

[1] مفاتيح الغيب: للرازي (٢٥/ ٢٠٢).

[2] مسند أحمد (٣٣/ ١٣٤)، حديث رقم (١٩٩٠١)، وهذا حديث صحيح.

[3] صحيح البخاري (٥/ ٤٨)، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، حديث رقم (٣٨٦٦).

[4] لسان العرب: لابن منظور (٦/ ٢٩).

[5] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٨٢).

٢- الظاهر أن يَرِدْ قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾ ممن لا يؤمن بها، وقد عدل عنه إلى ما في هذا النظم الجليل لنكتة، وهي: أنه قوبل الإيمان بالشك؛ ليؤذن بأن أدنى مراتب الكفر مهلكة.[١]

٣- أورد ﷻ قوله: ﴿لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾ بصيغة الفعل المضارع، إشارة إلى أنّ المعتبر في الإيمان الخاتمة؛ ولأنه يحصل بنظر تدريجي متجدد، ولأن الإيمان طارئ على كفرهم السابق ومتجدد عليهم، وأورد ﷻ قوله:﴿ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ بصيغة الاسم، إشارة إلى أن المعتبر الدوام والثبات على الشك إلى الموت، وبيان أن شكهم في الآخرة أمر متأصل فيهم.[٢]

ثالثاً: وجوه القراءات

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿صَدَقَ﴾ خفيفة، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿صَدَّقَ﴾ مشددة، ووجه من قال بالتخفيف: أنّه صدق ظنّه الذي ظنّه بهم من متابعتهم إيّاه إذا أغواهم، وذلك نحو قوله ﷻ: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩]، فهذا ظنّه الذي صدّقوه ، لأنّه لم يقل ذلك عن تيقّن، فظنّه على هذا ينتصب انتصاب المفعول به، ويجوز أن ينتصب انتصاب الظرف، صدق عليهم إبليس في ظنه، ولا يكون متعديا بصدق إلى المفعول به، ووجه من قال: صدق بالتّشديد أنّه نصب على أنّه مفعول به، وعدّى صدق إليه.[٣]

رابعاً: وجه المناسبة

لمّا ذكر الله ﷻ ما كان من أمر سبأ في اتباعهم الهوى والشيطان، وإغوائه لهم، أتبع ذلك ﷻ بالإخبار عن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف الرشاد والهدى، وأن من ركن إلى تزيين الشيطان وإغوائه وانقاد إلى وسوسته، فقد صدّقوا ظنّ إبليس فيهم، وأن المؤمنين قد تميزوا عنهم بأنه لا سلطان للشيطان عليهم.[٤]

---

[١] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٣٠٨).

[٢] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٨٤)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (١١/ ٣٠٨).

[٣] الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الفارسيّ (٦/ ١٩).

[٤] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٤٥٣)، تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٧٥).

خامساً: المعنى العام

لقد تحقق ظن إبليس وصدق في هؤلاء الضالين، حين ظنَّ أنَّ بقدرته أن يضلهم ويغويهم بتزيين الباطل لهم، فتحقق ما ظن، فاتبعه الناس فضلوا وأطاعوه فعصوا أوامر ربهم، إلا فريقاً من المؤمنين فلم يتبعوه، أي: وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار الذين اتبعوه من تسلط واستيلاء بالوسوسة والإغواء، إلا أنّ حكمة الله ﷻ اقتضت أن يميز المؤمن بالآخرة المصدق بالبعث، عن الشاك في ذلك، وربك يا محمد ﷺ يحفظ أعمال العباد، ويعلم نياتهم وأحوالهم.[1]

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- الحذر من وساوس الشيطان، فقد صدق ظن إبليس في بني آدم، أنه إن أغوى البشر فإنهم سيطيعونه ويجيبونه، وقد صدق ظنه فيهم فاتبعوه، إلا طائفة منهم ثبتوا على طاعة الله ﷻ، فلم يجد وسيلةً ولا سبيلاً يدخل عليهم منها ليغويهم، قال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾** [الحجر: ٣٩-٤٠].

٢- لا سلطان ولا قوة قاهرة أو حجة لإبليس على قلوب الناس فلا يستطيعون دفعها، بل إنه لا يملك لنفسه شيء، ولو كان يملك من الأمر شيء لهدى نفسه، ولدفع عن نفسه نار جهنم، وقد قال تعالى: **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾** [الحجر: ٤٢]، وإنما كان منه الوسوسة والتزيين، ولم تكن استجابتهم له عن جبر أو إكراه، وإنما كان باختيارهم، فإن شاؤوا خالفوه وإن شاؤوا اتبعوه، ومما يدل على ذلك، أن فرقة من المؤمنين ثبتت فلم يستطع إغواءها، حيث يقول تعالى: **﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾** [إبراهيم: ٢٢].

٣- أراد الله ﷻ بتسليط إبليس على الناس ابتلاءهم؛ ليظهر حال المؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها، ولا يؤمن بوجود الثواب أو العقاب، فبوسوسة الشيطان يميز الله ﷻ بين الثابت على هذه العقيدة والمضطرب في إيمانه، بحيث يسقط عند الاختبار، فيتميز الخبيث الذي يزيغ عن الهدى من الطيب الذي يثبت على الحق.

---

[1] انظر: صفوة التفاسير: للصابوني (٢/ ٥٠٦).

٤- لما وجد إبليس آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته، علم أن ذريته أضعف عزماً منه، وظن بهم أنهم سيتبعونه، كما أنه علم قدرته على إغواء بني آدم، حين أخبر الله ﷻ الملائكة أنه سيجعل فيها من يفسد فيها.[١]

٥- المؤمن هو الذي يثبت أمام وساوس الشيطان، فلا يستطيع الشيطان أن يدخل إلى قلبه ليضله ويغويه؛ لأنّ المؤمن يجعل بينه وبين إغواء الشيطان حاجزاً فلا يستطيع أن يستميل قلبه إليه، ويسد أمامه كل الطرق والمسالك للدخول إلى قلبه، **(فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)**[٢]، ومن لا يثبت فهو ضعيف الإيمان، يقول الخطيب: "الفاسدين في قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم هم الذين يتأثرون بالوساوس ولا يؤمنون بالآخرة ولا يستجيبون إلى دعوة رسل الله ﷺ"[٣].

٦- على الناس أن يتعظوا مما حصل مع قوم سبأ بعد وسوسة الشيطان لهم، فلا يغوينهم فيحصل معهم مثلما حصل لهم، بل لابد أن يتخذوه عدواً، يقول ابن عاشور: " فالمقصود تنبيه المؤمنين إلى مكائد الشيطان وسوء عاقبة أتباعه؛ ليحذروه ويستيقظوا لكيده فلا يقعوا في شرك وسوسته"[٤].

٧- لا تخلو الجماعات والأقوام من قلة مؤمنة تستعصي على الغواية وتثبت أن هنالك حقاً ثابتاً يعرفه من يطلبه ويمكن لكل من أراد أن يجده وأن يستمسك به، حتى في أشد الظروف وأحلكها ظلمة.[٥]

٨- بحفظ الله ﷻ ضلَّ من ضلَّ من أتباع إبليس، وبحفظه ﷻ سلم ونجى من سلم من المؤمنين من ضلال الشيطان ووسوسته لأولياء الله ﷻ.[٦]

٩- الله ﷻ مطلع على أعمال العباد، لا يخفى عليه شيء، وهو يحفظ أعمال العباد ويجازيهم عليها.

---

[١] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٧٩).
[٢] صحيح البخاري (٣/ ٥٠)، كتاب الاعتكاف، باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه، حديث رقم (٢٠٣٩).
[٣] التفسير الحديث: لدروزة (٤/ ٢٧٨).
[٤] التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٨٢).
[٥] انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب (٥/ ٢٩٠٢).
[٦] انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٦/ ٤٥٣).

المطلب الرابع: الشفاعة يوم القيامة مرهونة بإذن الله ﷻ

قال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]

أولاً: المعاني اللُّغوية

١- ﴿**ظَهِيرٍ**﴾: الظهير المعين ويطلق على الواحد والجمع، قال تعالى: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ [التحريم: ٤]، والمظاهرة: المعاونة والمساندة، وتظاهروا: أي تقاطعوا، كأن كل واحد ولى ظهره إلى صاحبه وهو نازل بين ظهرانيهم.[١]

٢- ﴿**فُزِّعَ**﴾: الفاء والزاي والعين أصلان صحيحان، الأصل الأول: الذعر، يقال فزع يفزع فزعا، إذا ذعر، وهذا مفزع القوم، إذا فزعوا إليه فيما يدهمهم، أما فزعت عنه فمعناه: كشفت وأزلت عنه الفزع، قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾، والأصل الآخر: الإغاثة، فيقولون: أفزعته إذ رعبته، وأفزعته، إذا أغثته، وفزعت إليه فأفزعني، أي لجأت إليه فزعاً فأغاثني.[٢]

ثانياً: وجوه البلاغة

﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: تعجيز بدعاء الجماد الذي لا يسمع.[٣]

ثالثاً: وجوه القراءات

١- قوله تعالى: ﴿**إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾، يقرأ بضم الهمزة ﴿**إِلَّا لِمَنْ أُذِنَ لَهُ**﴾، دلالة على ما لم يُسَمَّ فاعله، ونصبها إخباراً بالفعل عن الله ﷻ.[٤]

٢- قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾، قرأ ابن عامر: ﴿**حَتَّى إِذَا فَزَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾ مفتوحة الفاء والزاي، وقرأ الباقون: ﴿**فُزِّعَ**﴾ مضمومة الفاء مكسورة الزاي، فمن قرأ ﴿**فَزَّعَ**﴾

---

[١] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد الفيومي (٢/ ٣٨٧).

[٢] مقاييس اللغة: لابن فارس (٤/ ٥٠١).

[٣] التفسير المنير للزحيلي (٢٢/ ١٧٣).

[٤] الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه (ص: ٢٩٥).

فالمعنى: أن الفعل المبني للفاعل فاعله ضمير عائد إلى اسم الله ﷻ، ومن قرأ: ﴿فُزِّعَ﴾ فبنى الفعل للمفعول به كان الجارّ والمجرور في موضع رفع، والفعل في المعنى لله ﷻ.[1]

رابعاً: وجه المناسبة

بعد أن ذكر الله ﷻ حال الشاكرين كداود وسليمان ﷺ، وبيان أن نعم الله ﷻ عليهم لم تفسد الإيمان في قلوبهم، وبيان حال الكافرين كسبأ وما حلَّ بهم حين بطروا النعمة، عاد ﷻ إلى خطاب المشركين ومطالبتهم على سبيل التهكم بأن يستعينوا بآلهتهم المزعومة لتكشف عنهم الضر وتعينهم على قضاء حوائجهم، ثم بين أنها لا تملك لهم شيئا ولا تنفعهم شفاعتها، فكيف يعبدونها ويتقربون إليها، بعدما علموا حالها وأمرها؟[2]

خامساً: المعنى العام

قل أيها الرسول لمشركي قومك موبخا لهم: ادعوا هؤلاء الأصنام لعلهم يستجيبون لكم إن كان ذلك في قدرتهم، وبيدهم مقاليد أموركم، ثم أبان لهم عظيم خطئهم وهو أن هؤلاء الآلهة لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض من خير أو شر، لا على سبيل الاستقلال ولا على سبيل الشركة للخالق لهما، وما لله ﷻ من الآلهة التي يدعون من دونه معين على خلق شيء من ذلك، ولا على حفظه، فكيف يكونون آلهة يرجى منهم نفع أو يخشى منهم ضر، كما أن الشفاعة عنده ﷻ لا تنفع إلا لمن أذن له أن يشفع، ولا تكون الشفاعة لمثل هؤلاء الكافرين أبداً، ثم يقف الناس منتظرين الإذن بالشفاعة وجلين حتى إذا أذن للشافعين وأزيل الفزع عن قلوب المنتظرين قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم؟ قالوا أذن بالشفاعة لمن ارتضى، وهو المتفرد بالعلو والكبرياء لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه.[3]

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- ليس للآلهة التي يعبدها المشركون قدرة على تحقيق النفع لهم أو دفع الضر عنهم، بل إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض على سبيل الاستقلال، وليس لهم مشاركة في خلقهما أو التصرف فيهما، ولا معين منهم أو من غيرهم على فعل شيء من أمر السماوات أو الأرض، بل إن كل خلقه ﷻ فقراء إليه، وفي هذه الآية بيان عجز هذه الآلهة التي يعبدونها،

---

[1] الحجة للقراء السبعة: لأبو علي الفارسيّ (٦/ ١٦).

[2] انظر: التفسير المنير: للزحيلي (٢٢/ ١٧٣).

[3] انظر: تفسير المراغي: لأحمد المراغي (٢٢/ ٧٧).

وبطلان عبادتها، كما أنّها تقيم الحجة عليهم وأنه يجب عليهم عبادة من يستحق العبادة، ويجيب دعاء السائل، ومن يملك السماوات والأرض وما فيهن.

٢- لقَّنَت هذه الآيات الحجج والبراهين التي يردُّ بها النبي ﷺ على المشركين، والتي من شأنها أن تحملهم على اعتناق الحق، واجتناب الباطل، والدخول في دين الله ﷻ.[١]

٣- لا تنفع الشفاعة إلا بإذن من الله ﷻ، فهي كائنة لمن أذن له ﷻ من الشافعين، كما أنها لا تكون إلا لمن أُذِن أن يُشفع له، حيث يقول تعالى: **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾** [البقرة:٢٥٥]، وفي هذا أيضاً تكذيب لادعائهم بشفاعة ما يعبدون من دون الله ﷻ لهم، قال تعالى: **﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾** [يونس:١٨]،[٢] وبذا يتبين أنّ إذنه ﷻ في الشفاعة لا يكون إلا لمن يستحقها، فإذنه لن يشمل هذه الآلهة المزعومة التي يعبدها المشركون، كما أنّ شفاعته ﷻ لا تشمل هؤلاء المشركين، فهم خالدون في نار جهنم لا يخرجون منها.

٤- لا يطلق الإذن بالشفاعة إلا بعد مليّ من الزمان، وطول من التربص، فإن قوله تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ﴾**، يفيد أن انتظاراً للإذن وتمهلاً وفزعاً ممن يرجو الشفاعة والشفعاء، وهل يؤذن لهم أو لا؟ ومثل هذا دل عليه قوله تعالى: **﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾** [النبأ: ٣٧-٣٨].[٣]

٥- الملائكة والأنبياء حين يؤذن لهم في الشفاعة يكونون فزعين من الله ﷻ، فقد قال تعالى: **﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾** [الأنبياء: ٢٨]، لما يقترن بذلك من الخوف والرهبة من أن يقع في تنفيذ ما أذن الله ﷻ لهم فيه تقصير،[٤] وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كالسلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال: الحق، وهو**

---

[١] انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي (١١/ ٢٩٠).

[٢] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري (٣/ ٥٨٠).

[٣] انظر: المرجع السابق (٣/ ٥٨٠).

[٤] انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١٤/ ٢٩٥).

العلي الكبير...)[1]، وفي هذا دعوة للمؤمنين إلى إجلاله ﷻ وتعظيم أوامره، ما يجعلهم ينقادون لطاعته، فإذا كان هذا حال الملائكة بين يدي ربها، بحيث تفزع تعظيماً وهيبة له، فنحن المسلمون أولى بذلك.

٦- في بيان أن الشفاعة لا تكون إلا لعباد الله ﷻ المؤمنين، قطع للأطماع لكل من يتأمل ويرجو الشفاعة من هؤلاء الكافرين، وأن النجاة لا تكون إلا بالتزام أوامر الله ﷻ، يقول ابن عطية: "ثم تقرر في الآية بعد، أنّ الذين يظنون أنهم يشفعون لهم لا تصح منهم شفاعة لهم، إذ هؤلاء كفرة ولا يأذن الله تعالى في الشفاعة في كافر"[2].

٧- صرف المشركون عبادتهم للأصنام، واستكبروا عن عبادة الله ﷻ، مع ما سمعوا به من عظمته ﷻ، حتى أن الملائكة المقربون يقرون بألوهيته، ويخضعون لجبروته وجلاله، وفي هذا "تقرير ما سوف يكون من أمر الكفار يوم القيامة حينما يبعثون وتزول آثار الدهشة والفزع عنهم ويسألون عما وعدهم الله ﷻ، حيث يعترفون بأن ما وعد الله ﷻ هو الحق، وأن الله ﷻ هو العلي الكبير الذي لا يدانيه أحد في علوّه وعظمته"[3].

٨- كل من آثر شيئاً أو أحبه أو خافه سوى الله ﷻ، فإنه لن ينفعه أو يغني عنه شيئاً، أما محبة الأنبياء والأتقياء والعلماء وأهل الخير والصلاح فهي محبة لله ﷻ، لأنهم يوصلون إليه، فلم يحبهم أحد إلا لأجل الله ﷻ، فتنفع شفاعتهم بإذن الله ﷻ،[4] وفي هذا دعوة إلى محبة كل من يُظَنُّ فيه الخير، ومن يُذَكِّر بالله ﷻ في كل الأحوال والأوقات، فهم مظنة الشفاعة لغيرهم.

٩- "قضى الله ﷻ بالحق لكل أحد بما يستحقه، فإنه لا يخفى عليه حال أحد، ولا يعوقه عن إيصاله إلى حقه عائق، ولا يجوز دونه حائل"[5].

١٠- "تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله ولا يستحق العبادة سواه"[6].

---

[1] صحيح البخاري (٦/ ٨٠)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿**إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ**﴾ [الحجر: ١٨]، حديث رقم (٤٧٠١).

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (٤/ ٤١٧).

[3] التفسير الحديث: لدروزة (٤/ ٢٧٩).

[4] انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: للفاسي (٤/ ٤٩٣).

[5] انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (٢٢/ ١٩١).

[6] أيسر التفاسير: للجزائري (٤/ ٣١٨).

الخاتمة

الحمد لله الذي أتم عليّ بمنِّه وفضله الانتهاء من هذا البحث، وقد ذكرت في هذه الخاتمة خلاصة مقاصد وأهداف الحزب الثالث والأربعين من القرآن الكريم، ومن أهم النتائج والتوصيات التي توصَّل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة:

أولاً: نتائج البحث

١- علم مقاصد السور من العلوم المهمة والتي تحتاجها الأمة في وقتنا المعاصر؛ لتنهض به من غفلتها، فهو يلامس واقع الناس، ويحل كثيراً من مشكلاتهم، لكنه يحتاج إلى تأمل وتفكير بعمق، مع عدم التكلف في استخراج هذه المقاصد، أو الخروج عن المعنى المراد.

٢- القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو كتاب لا تفنى عجائبه ولا تنقضي أخباره وأسراره.

٣- الأمة الإسلامية اليوم هي في أشد الحاجة للرجوع إلى دينها، والتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها، وإن ما نعانيه اليوم وما نعيشه من تأخر وهوان سببه الركون إلى الدنيا.

٤- توصلت الدراسة إلى كثير من اللطائف البيانية، والتي تظهر بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وروعة نظمه، كما احتوى البحث على معاني المفردات، والدلالات المستفادة من الآيات، مما يعين القارئ على الاستفادة من هذه العبر والعظات.

٥- اشتملت سورة الأحزاب على كثير من الآداب والفضائل، والتي من أهمها ما يتعلق بالأسرة وعلاقة الأفراد ببعضهم البعض في المجتمع، كآداب الدخول إلى البيوت، وبيان مكانة المرأة في المجتمع.

٦- فضل نساء النبي ﷺ على نساء العالمين، وأنّ من واجب المسلمين الدفاع عن زوجات النبي ﷺ، ومواجهة الهجمة التي يقوم بها البعض بالطعن في زوجاته والتطاول عليهنَّ.

٧- أنَّ الرسل عليهم السلام قاموا بالمهمة التي كلفهم الله ﷻ بها، فقد أدُّوا الرسالة على أتمِّ وجه، ولم يبق عذر ولا حجة لكافر لم يؤمن بالله ﷻ، ولا لمؤمن مقصر في حمل هذه الأمانة بعد الأنبياء.

٨- التأكيد على إلغاء حكم التبني في الإسلام، ببيان جواز نكاح زوجات الأدعياء، وأنهم ليسوا كأبناء الصلب في الحكم، وأنّ النبي ﷺ ليس بأب لزيد رضي الله عنه، وإن كان قد تبناه قبل ذلك.

٩- على المؤمن أن يعطي المرأة حقوقها التي فرضها الله ﷻ لها، لأن الله ﷻ هو من قدر وأوجب لها هذه الحقوق.

١٠- على المؤمنين الحذر من المنافقين، فقد كانوا كثيرا ما يؤذون النبي ﷺ وزوجاته والمؤمنين، وأنَّ هؤلاء المنافقين من أعظم الأخطار التي تبعث الفتنة وتمزق صفوف الأمة.

١١- وجوب تقوى الله ﷻ، وحمل أمانة هذا الدين بصدق، والتضحية من أجله، والثبات على مبادئه، وبيان أن التقوى طريق الفلاح في الدنيا والآخرة.

١٢- النعم التي نحيا بها قد أنعم الله ﷻ بها علينا، فهو مالك كل شيء، وهذا يدعونا إلى العزة والكرامة، والتحرر من عبودية غير الله ﷻ.

١٣- عقيدة البعث هي حقيقة راسخة، لا ينكرها كل ذي لب، إلا من كان جاحداً معانداً، لا يعمل عقله، وأنّ الساعة آتية لا محالة، وعلى المؤمنين ترسيخ هذه القضية في نفوسهم، فإنها مما يعين على التزام المؤمن بأوامر الله ﷻ.

١٤- عرضت سورة سبأ فضل الله ﷻ على بعض أنبيائه، كفضله على سيدنا داود وسليمان ﷺ، وأنّ الشكر هو السبيل إلى دوام نعم الله ﷻ علينا، وأنّ الله ﷻ لا يتخلى عن عباده المؤمنين، بل يمدهم من فضله، وهذا يبعث في نفوس المؤمنين اليقين والنصر والتمكين.

١٥- علم الغيب خاص بالله ﷻ وحده، فهو لم يُطْلِع عليه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأن الجن من جملة من لا يعلمون الغيب.

١٥- سورة سبأ تطرقت إلى بعض القصص كقصة قوم سبأ، وأنَّ على الأمة الإسلامية الاعتبار والاتعاظ من هذه القصص، فلا تقع في مثل تلك الأخطاء التي وقعوا بها، فيكون ذلك سبباً لهلاكها.

١٦- سعة رحمته ﷻ ومغفرته، وشدة عقابه لمن يغفل عن أداء واجباته، فإن الله ﷻ قد بين لنا طرق الصلاح وأسباب الفساد.

ثانياً: التوصيات والمقترحات

١- أوصي نفسي وإخواني بوصية الله ﷻ للأولين والآخرين، وهي تقوى الله ﷻ، فهي سبيل النجاة، وطريق السعادة في الدنيا والآخرة.

٢- الاهتمام بالمقاصد والأهداف القرآنية، وإدخال الطلاب في غمار هذا العلم، فإنه مما يوسع المدارك والمفاهيم، ويهدي العصاة المذنبين، ويزيد إيمان المؤمنين، ويُفَنِّدُ مزاعم الكافرين، ويغرس الثقة واليقين بعلو شأن هذا الدين.

٣- التركيز على إيصال هذه العبر والدلالات والمفاهيم للناس، وإشعار الناس بأنهم مخاطبون بها، مع مراعاة الآداب التي غفل عنها الكثير من الناس، كآداب الدخول إلى البيوت، أو احتجاب النساء، وغيرها من الآداب والفضائل.

٤- أوصي الدعاة باختيار الأسلوب المناسب، وبما يتناسب مع وسطية هذا الدين، والذي يراعي حال المدعُو، ويكون أَدْعَى إلى اعتناق الإسلام، والإقبال على التمسك بأحكام هذا الدين.

٥- وضع المقاصد والأهداف المُستنبطة من قصص القرآن في مجلدات مع بعضها البعض، فإن هذا يسهل على القارئ الحصول على المعلومة والرجوع إليها.

٦- أوصي القائمين على التعليم والمناهج الدراسية بالاهتمام بالقصص القرآني التي لا توجد لها مساحة كافية في المناهج التعليمية، والتي لا يَعرِفُ تفاصيلها والأحكام المتعلقة بها الكثير من الناس، كقصة قوم سبأ مثلاً، مع استخراج المضامين التربوية التي تحتوي عليها تلك القصص.

وأخيراً فما كان من صواب فمن الله ﷻ، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي والشيطان، فإنّ الله أبى الكمال إلا لنفسه، وأبى أن يُحكِم إلا كتابه، وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي، والحمد لله رب العالمين.

الفهـارس

أولاً: فهرس الآيـــــات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحـــاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فـــــــهـــرس البلـــدان

خامساً: فهرس المصــادر والمراجع

سادساً: فهرس المحتويـــــــات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الفاتحة		
١.	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١١
	سورة البقرة		
٢.	﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾	٥	٧٦
٣.	﴿وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾	١٣٣	١٢٢
٤.	﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾	١٥٩	١٤٩
٥.	﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾	١٩١	١٣٦
٦.	﴿سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾	٢٣١	٩٦
٧.	﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾	٢٣٧	٩٥
٨.	﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	٢٣٨	٣١
٩.	﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾	٢٤٩	١٠٩
١٠.	﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾	٢٥١	٧٥٨
١١.	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	٢٥٥	٢٣٤
١٢.	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾	٢٨١	٢١
١٣.	﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾	٢٨٥	٣٦
	سورة آل عمران		
١٤.	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ...﴾	١٤	٤١
١٥.	﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾	٣٧	٢٠٦
١٦.	﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾	٣٩	٢٠٦
١٧.	﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾	٤١	٨٥
١٨.	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ...﴾	٤٢	٣٧
١٩.	﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾	٤٣	٣٣،٣١
٢٠.	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾	١٥٩	٢٠٠،٤٢
	سورة النساء		
٢١.	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾	١	١٠٥

٢٢.	﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾	٢٠	١٢٧
٢٣.	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	٦٥	٧٤
٢٤.	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآن﴾	٨٢	١٠
٢٥.	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ...﴾	١١٤	٥٢
سورة المائدة			
٢٦.	﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	١٤	١٣٦
٢٧.	﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾	٣١	١٨٥
٢٨.	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي﴾	٣٣	١٨٥
٢٩.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ...﴾	١٠١	١٥٥
سورة الأنعام			
٣٠.	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ...﴾	٣٣	١٨٨
٣١.	﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾	٤٤	٢٢٨
٣٢.	﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ...﴾	٥٠	٢١٣
٣٣.	﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا...﴾	١٢٥	٧٥،٥٧
٣٤.	﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾	١٤٥	٥٧
سورة الأعراف			
٣٥.	﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾	٢	٧٥
٣٦.	﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	٣١	٥٢
٣٧.	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾	٤٣	١٨٢
٣٨.	﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾	١٣٤	١٨٥
سورة الأنفال			
٣٩.	﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ...﴾	١١	١٨٥
٤٠.	﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾	٣٢	٢٢٦
سورة التوبة			
٤١.	﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾	٤٢	٨
٤٢.	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ...﴾	١٠٣	١٢٦،٥٦
٤٣.	﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾	١٠٦	١٠٠
٤٤.	﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾	١١٧	٢٠٦

٤٥.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	١١٩	١٥٨
سورة يونس			
٤٦.	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ...﴾	١٨	٢٣٤
سورة هود			
٤٧.	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾	٤٤	٢٢٢
٤٨.	﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	١١٩	١٩٢
سورة يوسف			
٤٩.	﴿إِنِ الحكم إِلاَّ للَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تعبدوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾	٤٠	١٠٢
٥٠.	﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾	٦٩	١٠٠
٥١.	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	١٠٥	١٩٧
سورة الرعد			
٥٢.	﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾	١٧	١٢٧
سورة إبراهيم			
٥٣.	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ﴾	٧	٢٢٢
٥٤.	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ...﴾	٢٢	٢٣٠
٥٥.	﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ...﴾	٣٤	٢١٠
سورة الحجر			
٥٦.	﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٣٩	٢٢٩
٥٧.	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾	٣٩–٤٠	٢٣٠
٥٨.	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾	٤٢	٢٣٠
سورة النحل			
٥٩.	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾	٩	٨
٦٠.	﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	١٤٥
٦١.	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً...﴾	١١٢	٢٢٧
سورة الإسراء			
٦٢.	﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾	٣	٢١٠
٦٣.	﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾	٣٩	٥٨
٦٤.	﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾	٤٤	٢٠٢

٦٥.	﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾	٩٢	١٩٥
٦٦.	﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾	١٠٩	٢١٢
سورة مريم			
٦٧.	﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾	١١	٢٠٦
سورة طه			
٦٨.	﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾	١٥	١٨٥
٦٩.	﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾	٤٠	١٠٠
٧٠.	﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾	١٠٨	٦٥
سورة الأنبياء			
٧١.	﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾	٢٨	٢٣٤
٧٢.	﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾	٦٣	١٤٨
٧٣.	﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾	٤٩	١٥٩
سورة الحج			
٧٤.	﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾	٣٠	٥٧
٧٥.	﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	٣٨	١٥٤
سورة المؤمنون			
٧٦.	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٢٨	١٨٢
سورة النور			
٧٧.	﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾	٢٦	٣٣
٧٨.	﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾	٦٠	٤٨
٧٩.	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ...﴾	٦١	١١٤،٧٥
سورة الشعراء			
٨٠.	﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾	٤	٣٩
سورة النمل			
٨١.	﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾	٤٠	ث
٨٢.	﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾	٦٥	٢١٣
سورة العنكبوت			
٨٣.	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾	٤٥	٥٦

سورة الروم			
٨٤.	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾	١٢	٢٢٨
٨٥.	﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾	٣١،٣٣	١٩٥
سورة لقمان			
٨٦.	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾	١٢	٥٨
٨٧.	﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾	٣٤	١٤٤
سورة السجدة			
٨٨.	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾	١٣	٢٤
سورة الأحزاب			
٨٩.	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾	١	٢٦
٩٠.	﴿ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾	٤	٢٦،١٠٤
٩١.	﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾	٥	٨٠
٩٢.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾	٩-١١	٢٥
٩٣.	﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾	١٠	٢٠٦
٩٤.	﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ...﴾	٢٠	١٦
٩٥.	﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا...﴾	٢٢	١٦
٩٦.	﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا...﴾	٢٥-٢٧	٢٥
٩٧.	﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ...﴾	٣٠	٣١
٩٨.	﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾	٣٤	١١٥
٩٩.	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾	٤٥	١٨
١٠٠.	﴿وَلَا تُطِعِ﴾	٤٨	١٩
١٠١.	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾	٥٦	٨٦
١٠٢.	﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾	٦١	١٤٦
١٠٣.	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٧٢	٢٦
١٠٤.	﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ...﴾	٧٣	٢٦، ١٧٤
سورة سبأ			
١٠٥.	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	١	١٧٣،١٧٤
١٠٦.	﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ...﴾	٣	١٧١

١٠٧.	﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾	٥	١٨٥
١٠٨.	﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾	٦	١٦٩
١٠٩.	﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ...﴾	٩	١٧١
١١٠.	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ...﴾	١٥	١٦٧
١١١.	﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذا فُزِّعَ..﴾	٢٣	١٧٢،١٧٠
١١٢.	﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾	٢٣	١٤٨
١١٣.	﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾	٤٨	١٨٧
سورة فاطر			
١١٤.	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	١	١٧٤
١١٥.	﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا...﴾	٢	١٧٥
١١٦.	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾	٣	١٧٤
١١٧.	﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾	١٠	١٨٠
١١٨.	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ...﴾	٣٤-٣٥	١٨٢
١١٩.	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾	٤٤	١٨٥
سورة يس			
١٢٠.	﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ...﴾	٨١	١٩٧
١٢١.	﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾	٢٠	١٨٥
سورة الزمر			
١٢٢.	﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾	٣٣	١٥٨
١٢٣.	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾	٧٤	١٨٢
سورة فصلت			
١٢٤.	﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ...﴾	١١	١٦١
سورة الشورى			
١٢٥.	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾	١٨	١٤٤
سورة الزخرف			
١٢٦.	﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾	٦٣	٥٨
سورة محمد			
١٢٧.	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٢٤	ح

سورة الحجرات			
١٢٨.	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا ...﴾	١٤	٦٨
سورة النجم			
١٢٩.	﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾	٣٩	١٨٥
سورة القمر			
١٣٠.	﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾	١	١٤٥
١٣١.	﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾	٤٧	١٤٦
سورة الرحمن			
١٣٢.	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾	٦٠	١٨٦
١٣٣.	﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾	٧٢	٥٠
سورة الواقعة			
١٣٤.	﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾	٢٨	٢١٨
سورة الحديد			
١٣٥.	﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾	٢٥	٢٠٤
سورة المجادلة			
١٣٦.	﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾	٣	٩٥
سورة الحشر			
١٣٧.	﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾	٧	٩٩
سورة الصف			
١٣٨.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ...﴾	٢-٣	٥١
سورة الجمعة			
١٣٩.	﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾	٩	١٨٥
سورة الطلاق			
١٤٠.	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	٣	١٦٢
سورة التحريم			
١٤١.	﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾	٤	٢٣٢
سورة الحاقة			
١٤٢.	﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾	٤٧	٣٦

سورة المعارج			
١٤٣.	﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾	٣	١٧٩
١٤٤.	﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾	٤	١٧٩
سورة نوح			
١٤٥.	﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾	١٣	٤٨
سورة الجن			
١٤٦.	﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ﴾	١٢	١٨٥
سورة المدثر			
١٤٧.	﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	٥	١٨٥
سورة النبأ			
١٤٨.	﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾	١٣	٨٧
١٤٩.	﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ...﴾	٣٧-٣٨	٢٣٤
سورة التكوير			
١٥٠.	﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾	١٢	١٤٦
سورة قريش			
١٥١.	﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ...﴾	١-٤	٢٢٥

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م.	طرف الحديث	راوي الحديث	درجة الحديث	الصفحة
١.	أتيت النبي فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر	الترمذي	حسن صحيح	١٦٧
٢.	احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز	مسلم	صحيح	١١
٣.	إذا أصيب أحدكم بمصيبة، فليذكر مصيبته بي	الطبراني	صحيح	١٣٨
٤.	إذا دعا أحدكم أخاه فليجب، عرساً كان أو نحوه	مسلم	صحيح	١١٣
٥.	إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة	البخاري	صحيح	٢٣٤
٦.	أعطى رهطاً وسعد جالس، فترك رسول الله رجلاً هو	البخاري ومسلم	صحيح	٦٨
٧.	ألم تر الجن وإبلاسها؟	البخاري	صحيح	٢٢٨
٨.	أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له	البخاري	صحيح	٨٢
٩.	أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن	البخاري ومسلم	صحيح	١١١
١٠.	إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون	البخاري	صحيح	٢١٠
١١.	إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا	الترمذي وأحمد	صحيح	٨٣
١٢.	إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان	ابن خزيمة	إسناده صحيح	٥٠
١٣.	إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد	مسلم	صحيح	١٨٢
١٤.	أن رجلا من أهل البادية أتى النبي	البخاري	صحيح	١٤٤
١٥.	إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً	البخاري ومسلم	صحيح	٤٧
١٦.	إن سليمان بن داوود سأل الله ثلاثاً، أعطاه اثنتين	أحمد	إسناده صحيح	٢٠٨
١٧.	إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك	البخاري	صحيح	٦٨
١٨.	إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر	البخاري ومسلم	صحيح	٣٨
١٩.	إن موسى كان رجلاً حيياً سِتِّيراً، لا يرى من جلده	البخاري	صحيح	١٥٤
٢٠.	انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم	الترمذي	صحيح	١٠٧
٢١.	إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: ما لنا بد،	البخاري	صحيح	١٣٣
٢٢.	إياكم والدخول على النساء	البخاري	صحيح	١١٧
٢٣.	بايعت رسول الله ألا أخر إلا قائماً	سنن النسائي	صحيح الإسناد	٢١٢
٢٤.	بعثت أنا والساعة كهاتين	البخاري ومسلم	صحيح	١٤٥

٢٥.	بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله	البخاري ومسلم	صحيح	١٣٩
٢٦.	تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم	ابن ماجه	حسن	٩٧
٢٧.	ثلاث من عمل أهل الجاهلية لا يتركهن أهل الإسلام	أحمد	اسناده صحيح	٥٣
٢٨.	ثلاثة يُؤْتَون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأَمَة،	البخاري	صحيح	٣٣
٢٩.	جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي يقول: اتق الله	البخاري	صحيح	٧٩
٣٠.	خرج النبي غداة وعليه مرط مرحل	مسلم	صحيح	٥٩
٣١.	خطب النبي زينب وهو يريدها لزيد فظنت أنه يريدها	السيوطي	إسناده صحيح	٧٣
٣٢.	ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة	مسلم	صحيح	١٤٥
٣٣.	سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟	مسلم	صحيح	٧٠
٣٤.	صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ	مسلم	صحيح	٥٢
٣٥.	فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	البخاري	صحيح	٢٣١
٣٦.	قال لي أبيّ بن كعب كائن أي كم تقرأ سورة الأحزاب	ابن كثير	اسناده صحيح	١٨،١٦
٣٧.	قالت امرأة: يا رسول الله إحدانا ليس لها جلباب؟	البخاري	صحيح	١٣١
٣٨.	قَدْ أَذِنَ اللَّهُ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَوَائِجِكُنَّ	البخاري	صحيح	٥٠
٣٩.	قَرَأْتُ سورة الأحزاب على النبي فَنَسِيتُ منها سبعين آية	البخاري في تاريخه	لا تصح للاحتجاج	١٦
٤٠.	قلت: يا رسول الله ، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده	مسلم	صحيح	١٦٢
٤١.	كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل	البخاري	صحيح	٢٠٣
٤٢.	كان النبيّ يغزو بأمّ سليم ونسوة من الأنصار معه	مسلم	صحيح	٥٠
٤٣.	كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا	مسلم	صحيح	٤٤
٤٤.	كنت آكل مع النبي حَيْسًا، فَمَرَّ عمر، فدعاه فأكل	البخاري في الأدب المفرد	صحيح	١١١
٤٥.	لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	البخاري ومسلم	صحيح	٥٠
٤٦.	لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ،	البخاري	صحيح	٥٣
٤٧.	لك الأجر مرتين	النيسابوري	صحيح	٣٤
٤٨.	لما كان يوم حنين آثر النبي ناساً، أعطى الأقرع مائة	البخاري	صحيح	١٥٢
٤٩.	لما نزلت إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ	البخاري	صحيح	١٢٥

٥٠.	اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة	البخاري	صحيح	١٢٢
٥١.	لو دعيت إلى ذراع أو كُرَاعٍ لأجبت	البخاري	صحيح	١١٣
٥٢.	ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن	الترمذي	حسن غريب	٦٦
٥٣.	مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ	البخاري	صحيح	٢٠٤
٥٤.	ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء	البخاري ومسلم	صحيح	٤١
٥٥.	من ادّعى إلى غير أبيه، وهو يعلم فالجنة عليه حرام	البخاري	صحيح	٧٥
٥٦.	من أي شيء المنبر؟ فقال: ما بقي بالناس أعلم مني	البخاري	صحيح	٢١٧
٥٧.	من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً	مسلم	صحيح	١٢٦
٥٨.	من قال: حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله	مسلم	صحيح	٨٧
٥٩.	من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم	الدارمي	صحيح	١٠٤
٦٠.	مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ	الترمذي	صحيح	ث
٦١.	من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه	البخاري	صحيح	٦٩
٦٢.	من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى	مسلم	صحيح	٢٠
٦٣.	نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن	مسلم	صحيح	٤٤
٦٤.	وأبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة	مسند أحمد	صحيح	٢٢٨
٦٥.	وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا	البخاري	صحيح	١١١
٦٦.	وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا	البخاري	صحيح	٨
٦٧.	والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها	البخاري	صحيح	٥١
٦٨.	وإني أصبت منها ما دون أن أمسها	مسلم	صحيح	٩٥
٦٩.	وكانت تفخر على نساء النبي، وكانت تقول: إن الله	البخاري	صحيح	٨٠
٧٠.	يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود	البخاري	صحيح	٢٠٣
٧١.	يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال	مسند أحمد، سنن النسائي الكبرى	إسناده صحيح	٦٧
٧٢.	يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا	مسلم	صحيح	١٢٩
٧٣.	يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ،	البخاري	صحيح	٦٩
٧٤.	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار	البخاري	صحيح	٨٧

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

م.	اسم العلم	الصفحة
١.	ابن اسحاق	١٩
٢.	ابن عادل الحنبلي	١٩
٣.	ابن عاشور	٩
٤.	أبو العباس	١٢٠
٥.	أبو جعفر بن الزبير	٢٤
٦.	أبو حيان	٣٨
٧.	الأعمش	١١٥
٨.	الألوسي	٤٤
٩.	البقاعي	٩
١٠.	الحسن البصري	٢٠٨
١١.	الحصار	١٦٩
١٢.	الداني	١٦٨
١٣.	الرازي	٣٥
١٤.	الزجاج	١٠٦
١٥.	زر بن حبيش	١٦
١٦.	الزركشي	٥
١٧.	السدي	١٣٢
١٨.	السعدي	٤٦
١٩.	سعيد حوى	١٠
٢٠.	السمرقندي	١٩
٢١.	السمعاني	١٧٠
٢٢.	الشاطبي	١٠
٢٣.	عطاء بن يسار	٣٤
٢٤.	الغزالي	٨
٢٥.	الفاسي	٩

٢٦.	الفراء	١٠٥
٢٧.	فروة بن مسيك	١٦٧
٢٨.	الفيروز آبادي	١٦٨
٢٩.	القاسمي	١٧
٣٠.	قتادة	٣٧
٣١.	مالك	١٩
٣٢.	مجاهد	٧٠
٣٣.	المعرور بن سويد	٥٣
٣٤.	مقاتل بن حيان	٥٤
٣٥.	المقري	١٨
٣٦.	النسفي	١٤٥
٣٧.	الواحدي	٦٢
٣٨.	الوراق	٢١٠

رابعاً: فهرس البـــلدان

م.	اسم البلد	الصفحة
١.	إصطخر	٢٠٨
٢.	الربذة	٥٣
٣.	سبأ	١٦٧
٤.	الغابة	٢١٨
٥.	كابل	٢٠٨

خامساً: فهرس المصادر والمراجع

١. إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد سليمان مالُ اللهِ، دار التواصل بين المشرق والمغرب – الكويت، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٢. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٣. آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر – بيروت.

٤. أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٥. أحكام القرآن: محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي الاشبيلي المالكي، تخريج وتعليق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٧. الأدب النبوي: محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي، دار المعرفة – بيروت، ط٤، ١٤٢٣هـ.

٨. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩. الأساس في التفسير: سعيد بن محمد ديب حوى، دار السلام، ٢٠٠٩م.

١٠. أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١١. أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

١٢. أسرار ترتيب القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر– بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٤. إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية–حمص –سورية، دار اليمامة –دمشق –بيروت، دار ابن كثير –دمشق –بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ.
١٥. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزِّرِكْلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
١٦. الإكليل في استنباط التنزيل: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
١٧. الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم – خلفاء، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م.
١٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٩. أهداف التربية الإسلامية: د. ماجد عرسان الكيلاني الأردني، مكتبة دار التراث – المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٢٠. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: د. عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.
٢١. أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، ١٣٨٣هـ–١٩٦٤م.
٢٢. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.
٢٣. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود – د. زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
٢٤. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢٥. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩هـ.

٢٦. بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
٢٧. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار المعرفة – بيروت.
٢٨. البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي أبو جعفر، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٩. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، دار المعرفة – بيروت – لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٣٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م إلى ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
٣١. البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٢. البيان في عدّ آي القرآن: عثمان بن سعيد بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٣٣. تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محمّد بن محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٣٤. التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، تحقيق: هاشم الندوي وآخرون.
٣٥. تأويلات أهل السنة: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٦. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
٣٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٨. تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٩. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
٤٠. التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق وضبط: جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
٤١. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق وتعليق وتخريج: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م.
٤٢. تفسير ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة التونسي المالكي، أبو عبد الله، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
٤٣. تفسير الإمام الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٤٤. تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التُستري، جمع: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
٤٥. التفسير الحديث: دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط ، ١٣٨٣هـ.
٤٦. تفسير الشعراوي (الخواطر): محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
٤٧. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٤٨. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٤٩. تفسير القرآن العظيم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز– المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
٥٠. تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد المروزى السمعاني التميمي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم –غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن– الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.
٥١. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.

٥٢. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده – مصر، ط١، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.
٥٣. التفسير المظهري: المظهري محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – باكستان، ١٤١٢هـ.
٥٤. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
٥٥. التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٥٦. التفسير الواضح: الحجازي محمد محمود، دار الجيل الجديد – بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.
٥٧. التفسير الوسيط للزحيلي: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
٥٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر –الفجالة – القاهرة، ط١، ١٩٩٧م إلى ١٩٩٨م.
٥٩. تفسير آيات الأحكام: أ. محمد علي السايس، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م.
٦٠. تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية – الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
٦١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن جمال الدين المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٦٢. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٦٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٦٤. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الآملي أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٦٥. جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن عبد الرحمن الحسيني الإيجي الشافعيّ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٦٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٦٧. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني- إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٦٨. الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد- دمشق، مؤسسة الإيمان- بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.
٦٩. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية – بيروت.
٧٠. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٧١. حاشية السندي على سنن النسائي: أبو الحسن، محمد بن عبد الهادي التتوي، نور الدين السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٧٢. حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، تحقيق وتعليق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
٧٣. الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.
٧٤. الحجة للقراء السبعة: الحسن بن أحمد الفارسيّ أبو علي، تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، مراجعة وتدقيق: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث – دمشق- بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٧٥. حسن المدد في معرفة العدد: برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري، تحقيق: جمال الشايب، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
٧٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، السعادة – مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
٧٧. خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم: أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٢٥هـ.

٧٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.
٧٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت، ١٩٩٣م.
٨٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد – الهند، ط٢، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.
٨١. ذم الثقلاء: محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام، أبو بكر المحولي، تحقيق: د. مأمون محمود ياسين، مؤسسة علوم القرآن، دار ابن كثير – الشارقة، ط١، ١٤١٢هـ.
٨٢. ذم الثقلاء: محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام، أبو بكر المحولي، تحقيق: د. مأمون محمود ياسين، مؤسسة علوم القرآن – دار ابن كثير – الشارقة، ط١، ١٤١٢هـ.
٨٣. روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٨٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٨٥. الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م.
٨٦. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٨٧. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥هـ.
٨٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م إلى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٨٩. سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٩٠. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن عمرو السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.
٩١. سنن الترمذي: مسند الإمام أحمد بن حنبل: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: الأدب المفرد:
٩٢. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر – محمد فؤاد عبد الباقي – إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
٩٣. السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي، تحقيق وتخريج: حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٩٤. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٩٥. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق وتخريج: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، بإشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٣م.
٩٦. شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: أحمد بن عبد الفتاح زواوى، دار القمة – الإسكندرية.
٩٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٩٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
٩٩. صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت.
١٠٠. صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
١٠١. الصحيح المسند من أسباب النزول: مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٤، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م.

١٠٢. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني – القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٠٣. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي – د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر، ط٢، ١٤١٣هـ.
١٠٤. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد الهاشمي البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٠٥. علم مقاصد السور: د. محمد بن عبد الله الربيعة، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠١١م.
١٠٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد الحنفى بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٠٧. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٠٨. غرائب التفسير وعجائب التأويل: أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر، برهان الدين الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
١٠٩. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
١١٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
١١١. فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة- صيدا – بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١١٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب – دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
١١٣. الفرائد الحسان في عد آى القرآن: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، مكتبة الدار –المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ.
١١٤. الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر.

١١٥. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.
١١٦. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١١٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
١١٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: أ.نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.
١١٩. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٢٠. لباب النقول في أسباب النزول: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ضبط وتصحيح: أ. أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
١٢١. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.
١٢٢. لسان العرب: أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٢٣. لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣، ٢٠٠٠م.
١٢٤. مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، دار القلم، ط٤، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٢٥. مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف، ط٣، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
١٢٦. المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي): أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٢٧. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٢٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٢٩. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
١٣٠. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية – بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١٣١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق وتخريج: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
١٣٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن علي بن سلطان محمد، نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر– بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
١٣٣. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
١٣٤. المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
١٣٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
١٣٦. مسند الدارمي (سنن الدارمي): أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ – ٢٠٠٠م.
١٣٧. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٣٨. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
١٣٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد الفيومي الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت.
١٤٠. المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٤١. معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٤٢. معاني القراءات: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
١٤٣. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٤٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٤٥. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر- بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
١٤٦. معجم علوم القرآن: إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٤٧. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢.
١٤٨. معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨.
١٤٩. معجم المؤلفين: عمر رضا محمد راغب كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.
١٥٠. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار، دار الدعوة.
١٥١. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٥٢. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
١٥٣. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علَّال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط٥، ١٩٩٣م.
١٥٤. مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس – الأردن، ط٢، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
١٥٥. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د. يوسف حامد العالم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – الرياض، ط ٢، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
١٥٦. المنتخب في تفسير القرآن الكريم: لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر –طبع مؤسسة الأهرام، ط١٨، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م.
١٥٧. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
١٥٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢م.
١٥٩. المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث.
١٦٠. الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
١٦١. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر – المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.
١٦٢. الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، دار السلاسل – الكويت، ط٢، مطابع دار الصفوة – مصر، ط١، طبعة الوزارة، ط٢، من (١٤٠٤ – ١٤٢٧هـ).
١٦٣. الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.
١٦٤. الناسخ والمنسوخ: أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر المقري، تحقيق: زهير الشاويش – محمد كنعان، المكتب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٦٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.
١٦٦. نفحات من علوم القرآن: محمد أحمد محمد معبد، دار السلام – القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٦٧. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان.
١٦٨. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٦٩. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٧٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٧١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
١٧٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٩٤م.

المجلات والمواقع الالكترونية

١٧٣. مجلة البحوث الإسلامية: مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.
١٧٤. مجلة البيان: تصدر عن المنتدى الإسلامي – الرياض – المملكة العربية السعودية.
١٧٥. (http://ar.wikipedia.org/wiki)

سادساً: فهرس المحتويات

الإهـداء ..... ت

شـكر وتقديـر ..... ث

المقدمة ..... ج

أولاً: أهمية البحث ..... ح

ثانياً: أسباب اختيار البحث ..... ح

ثالثاً: أهداف البحث ..... ح

رابعاً: الدراسات السابقة ..... خ

خامساً: منهج البحث ..... خ

سادساً: خطة البحث ..... د

الفصل التمهيدي ١

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف ٣

المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها ٣

المطلب الثاني: تعريف بالأهداف والمقاصد وأهميتها ٦

تعريف عام بسورة الأحزاب ١٦

المطلب الأول: أسماء السورة ووجه تسميتها وعدد آياتها ١٦

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة، وجوُّ نزولها ١٨

المطلب الثالث: فضائل السورة، وترتيبها ٢٠

المطلب الرابع: المحور الأساس لسورة الأحزاب ٢٢

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها ٢٣

المطلب السادس: الأهداف العامة لسورة الأحزاب ٢٧

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣١-٤٨) ٢٩

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٣١-٣٤) ٣١

المطلب الأول: بيان ثواب أمهات المؤمنين ﷺ ٣١

المطلب الثاني: مكانة زوجات النبي ﷺ بين نساء المسلمين ٣٥

المطلب الثالث: نهي زوجات النبي ﷺ عن الخضوع في القول ٣٩
المطلب الرابع: أوامر ونواهي لأمهات المؤمنين ﷺ ٤٧
المطلب الخامس: فضل أهل بيت النبي ﷺ ٥٧
مقاصد وأهداف سورة الأحزاب: الآيات (٣٥-٤٠) ٦٥
المطلب الأول: المساواة بين الرجال والنساء في التكليف والثواب ٦٥
المطلب الثاني: وجوب السمع والطاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ وعاقبة مخالفتهما ٧١
المطلب الثالث: زينب بنت جحش ﷺ وزواج النبي ﷺ بها ٧٥
المطلب الرابع: الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والرسل ٨٠
مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤١-٤٨) ٨٥
المطلب الأول: فضائل ذكر الله ﷻ ٨٥
المطلب الثاني: صفات النبي ﷺ ٨٧
المطلب الثالث: التوكل على الله ﷻ يدفع أذى الكافرين ٩٠
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤٩-٦٢) ٩٣
مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٤٩-٥٢) ٩٥
المطلب الأول: لا عدة للمرأة المطلقة قبل الدخول بها ٩٥
المطلب الثاني: أحكام الحياة الزوجية الخاصة بالنبي ﷺ ٩٩
المطلب الثالث: نهي النبي ﷺ عن الزواج بغير نسائه أو استبدالهنّ بغيرهنّ ١٠٥
مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٥٣-٥٥) ١٠٩
المطلب الأول: أحكام دخول المسلمين بيوت النبي ﷺ ١٠٩
المطلب الثاني: حرمة إيذاء النبي ﷺ بنكاح زوجاته بعد وفاته ١١٨
المطلب الثالث: المحارم الذين أبيح للنساء أن يظهرن أمامهم ١٢١
مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٥٦-٦٢) ١٢٤
المطلب الأول: ثناء الله ﷻ وملائكته على النبي ﷺ ١٢٤
المطلب الثاني: عاقبة إيذاء النبي ﷺ والمؤمنين ١٢٧
المطلب الثالث: الأمر باحتجاب النساء ١٣١
المطلب الرابع: تهديد المنافقين من التعرض للنبي ﷺ وزوجاته ﷺ والمؤمنين ١٣٥
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٦٣-٧٣) ١٤١

مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٦٣-٦٩) ١٤٣
المطلب الأول: علم الساعة مرجعه إلى الله ﷻ ١٤٣
المطلب الثاني: وعيد الله ﷻ للكافرين باللعنة والعذاب الأليم ١٤٦
المطلب الثالث: تقلب وجوه الكافرين في نار جهنم ١٤٧
المطلب الرابع: تحذير المؤمنين من إيذاء النبي ﷺ ١٥١
مقاصد وأهداف سورة الأحزاب الآيات (٧٠-٧٣) ١٥٧
المطلب الأول: أمر المؤمنين بتقوى الله ﷻ وفضائل ذلك ١٥٧
المطلب الثاني: حمل الإنسان للأمانة ١٥٩
المطلب الثالث: أثر حمل الإنسان لأمانة التكليف ١٦٢
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١-٢٣) ١٦٥
تعريف عام بسورة سبأ ١٦٧
المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه تسميتها، وعدد آياتها ١٦٧
المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة، وجوُّ نزولها ١٦٩
المطلب الثالث: فضائل السورة، وترتيبها ١٧٢
المطلب الرابع: المحور الأساس لسورة سبأ ١٧٢
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها ١٧٣
المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة ١٧٦
مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١-٩) ١٧٩
المطلب الأول: افتتاح السورة بالحمد وشمول علم الله ﷻ ١٧٩
المطلب الثاني: إثبات الله ﷻ لقضية البعث ١٨٤
المطلب الثالث: العلم يهدي إلى الإيمان ١٩٠
المطلب الرابع: استهزاء الكافرين بالنبي ﷺ ١٩٢
المطلب الخامس: تهديد المنكرين للبعث بالخسف ١٩٥
مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١٠-١٤) ٢٠٠
المطلب الأول: نعم الله ﷻ على سيدنا داود عليه السلام ٢٠٠
المطلب الثاني: نعم الله ﷻ على سيدنا سليمان عليه السلام ٢٠٥
المطلب الثالث: نفي علم الغيب عن الجن ٢١١

مقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (١٥-٢٣) ٢١٧
المطلب الأول: نعم الله ﷻ على أهل سبأ في مساكنهم ومعاقبتهم لكفرهم بها ٢١٧
المطلب الثاني: نعم الله ﷻ على أهل سبأ في أسفارهم وما حلَّ بهم لجحودهم ٢٢٣
المطلب الثالث: اتباع قوم سبأ لوساوس الشيطان سبب هلاكهم ٢٢٨
المطلب الرابع: الشفاعة يوم القيامة مرهونة بإذن الله ﷻ ٢٣٢
الخاتمة ٢٣٦
أولاً: نتائج البحث ٢٣٦
ثانياً: التوصيات والمقترحات ٢٣٨
الفهـارس ٢٣٩
أولاً: فهرس الآيات القرآنية ٢٤٠
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية ٢٤٨
ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم ٢٥١
رابعاً: فهرس البـــلدان ٢٥٣
خامساً: فهرس المصادر والمراجع ٢٥٤
سادساً: فهرس المحتويات ٢٦٨
ملخص الرسالة ٢٧٢
Abstract ٢٧٣

ملخص الرسالة

تناولتُ في هذه الرسالة الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والأربعين من القرآن الكريم (لسورتي الأحزاب الآيات :٣١-٧٣، وسبأ الآيات: ١-٢٣)، وكان اختياري لهاتين السورتين لاحتوائهما على مواضيع هامة تُرَسّخ العقيدة في نفوس المؤمنين، كإثبات قضية البعث، ولأنهما تؤسسان لعلاقات اجتماعية كالأحكام المتعلقة بالأسرة المسلمة، ودورها في تماسك المجتمع، ولاشتمالهما على الكثير من العبر والعظات من القصص الواردة في هاتين السورتين كقصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش ﵂، وقصة داوود وسليمان ﵉، وقوم سبأ.

وقد سلكتُ في هذه الدراسة المنهج التحليلي والموضوعي، وقمتُ باستنباط المقاصد والأهداف من الآيات موضوع الدراسة، بعد بيان معاني المفردات، ووجه البلاغة والقراءات، ووجه المناسبة، وسبب النزول إن وجد، والمعنى الإجمالي للآيات، وقد اشتملت هذه الرسالة على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، والمنهج الذي اتبعه الباحث، وخطة البحث.

التمهيد: وتضمَّن تعريفاً بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف، وتعريفاً عاماً بسورة الأحزاب.

الفصل الأول: واشتمل على ثلاثة مباحث لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب للآيات (٣١-٤٨).

الفصل الثاني: واشتمل على ثلاثة مباحث لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب للآيات (٤٩-٦٢).

الفصل الثالث: واحتوى على مبحثين لمقاصد وأهداف سورة الأحزاب للآيات (٦٣-٧٣).

الفصل الرابع: واشتمل على أربعة مباحث لمقاصد وأهداف سورة سبأ للآيات (١-٢٣).

الخاتمة: وقد ذكر فيها الباحث أهم النتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج أنّ علم مقاصد وأهداف الآيات القرآنية يضع حلولاً للأزمات التي تعاني منها الأمة الإسلامية فيما يتعلق بجانب العقيدة والتربية والأخلاق وغيرها، ويحل كثيراً من المشكلات التي تعترض طريقها، وتوصلت الدراسة أيضاً إلى كثير من اللطائف البيانية التي تظهر إعجاز القرآن وروعة نظمه، كما أوصت الدراسة بوضع المقاصد والأهداف المُستنبطة من قصص القرآن في مجلدات مع بعضها البعض، والاهتمام بالقصص القرآني التي لا توجد لها مساحة كافية في المناهج التعليمية.

Abstract

In this thesis, the researcher has observed the analytical study of the purposes and objectives of the forty-third party of the Holy Qur'an (Surat Al-ahzab, verses: 31-73 and Surat Saba' , verses: 1-23). The reasons of choosing these two surats are relating to the essential topics they contain which assure the belief of believers' hearts such as the faith of Resurrection Day. Another reason is that because these two surats help in creating strong, social relations in the light of the instructions related to the Islamic family and its role in making a strong-boned society. The third reason is relating to the preaching of the stories in these two surats such as the story of the marriage of the prophet (pbuh) to Zainab bent Jahsh, the story of Dawwod, Suleiman and the story of Saba' nation.

The researcher, in this thesis, has followed the analytical objective approach, and derived the purposes from the verses of the study, after clarifying the meaning of their vocab, the rhetoric and readings, the suitability, the reason and overview meaning of the verses. This thesis includes an introduction, preface, four chapters and a conclusion as follows:

Introduction: It includes the importance of the study and the reasons of selecting it, the research objectives, the previous studies, the approach used by the researcher and the research plan.

Preface: It includes a definition of the analytical study, the goals and objectives and also a definition of surat Al-ahzab and surat Saba'..

Chapter I: It includes three sections for the purposes and objectives of surat Al-ahzab for the verses (31- 48).

Chapter II: It includes three sections for the purposes and objectives of surat Al-ahzab for the verses (49- 62).

Chapter III: It consists of two sections for the purposes and objectives of surat Al-ahzab for the verses (63- 73).

Chapter IV: It includes three sections for the purposes and objectives of surat Saba' for the verses (1- 23).

Conclusion: The researcher mentions the important findings and recommendations, and one of their most important is that the science of purposes and objectives of the Koranic verses produces solutions for crises that our Islamic nation is suffering from which relating to the Creed , Education and Morals, etc…It also solves many problems which Muslims face in their life. The thesis clarifies a big number of rhetorical positions which shows the miracle of Holy Qur'an.
The thesis recommends to collect the purposes and objectives of the Koranic stories in volumes, and it also recommends to give much care to Koranic stories in Educational curriculum.